مدخل الى
البلاغة العربية

علم المعاني - علم البيان- علم البديع

الأستاذ الدكتور
يوسف مسلم أبو العدوس

دار
المسيرة
للنشر والتوزيع والطباعة
www.massira.jo
شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه

دار المسيرة
للنشر والتوزيع والطباعة
www.massira.jo
شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى

البلاغة العربية

علم المعاني – علم البيان – علم البديع

رقـــــــم التصـــــنيف : 414

المؤلف ومن هو في حكمه : يوسف مسلم أبو العدوس

عنـــــــوان الكـــــتاب : مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني-علم البيان-علم البديع

رقـــــــم الإيـــــداع : 2006/5/1056

الــــواصـــــفـــــات : البلاغة العربية/ اللغة العربية

بـــيانـــــات الـــنشـــر : عمان - دار المسيرة للنشر والتوزيع

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار المسيرة للنشر والتوزيع عمان - الأردن ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على اشرطة كاسيت او إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Copyright © All rights reserved

No part of this publication my be translated, reproduced, distributed in any from or buy any means,or stored in a data base or retrieval system , without the prior written permisson of the publisher

الطبعـــة الأولــى 2007م - 1427هـ

الطبعـــة الثانيـة 2010م - 1430هـ

الطبعـــة الثالثـة 2013م - 1434هـ

دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة

شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه

عنوان الدار

الرئيسي : عمان - العبدلي - مقابل البنك العربي هاتف : 5627049 6 962+ فاكس : 5627059 6 962+

الفرع : عمان - ساحة المسجد الحسيني - سوق البتراء هاتف : 4640950 6 962+ فاكس : 4617640 6 962+

صندوق بريد 7218 عمان - 11118 الأردن

E-mail: info@massira.jo . Website: www.massira.jo

مدخل الى
البلاغة العربية

علم المعاني - علم البيان- علم البديع

الأستاذ الدكتور
يوسف مسلم أبو العدوس

الفهرست

المقدمة 9

الفصل الأول

مقدمات عامة في البلاغة العربية

أولاً: تقديم في تاريخ البلاغة العربية 13

ثانياً: تطور النقد وأثره في نضوج البحث البلاغي 18

ثالثاً: مدارس البلاغة:المدرسة الأدبية وخصائصها، المدرسة الكلامية وخصائصها، الجاحظ والبلاغة العربية، مدرسة عبدالقاهر الجرجاني البلاغية 24

رابعاً: وقفة موجزة عند أشهر كتب البلاغة العربية 31

1- البيان والتبيين للجاحظ 31

2- كتاب البديع لابن المعتز 32

3- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري 33

4- العمدة لابن رشيق 34

5- سر الفصاحة لابن سنان 35

6- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني 36

7- الكشاف وأساس البلاغة للزمخشري 37

8- نهاية الإيجاز للرازي 38

9- مفتاح العلوم للسكّاكي 39

10- المثل السائر لابن الأثير 40

11- الإيضاح للخطيب القزويني 41

12- الطراز للعلوي 42

خامساً: الفصاحة والبلاغة.. 43
الفصاحة لغة واصطلاحاً.. 43
ما يوصف بالفصاحة 43
فصاحة المفرد وشروطه، فصاحة الكلام وشروطه، فصاحة المتكلم 43
البلاغة لغة واصطلاحاً.. 48
ما يوصف بالبلاغة: بلاغة الكلام، بلاغة المتكلم.......................... 48

الفصل الثاني

علم المعاني

تعريفه وواضعه وفائدته.. 53
مباحث علم المعاني.. 53
الصدق والكذب،رأي الجمهور بهما، رأي النظّام، رأي الجاحظ 54
تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء 56
الخبر، معنى الخبر، الغرض من إلقائه، أضرب الخبر، الخبر الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب 56
الإنشاء، الإنشاء لغة واصطلاحاً، قسما الإنشاء: الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي 63
أقسام الإنشاء الطلبي، الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء 66
الإسناد، مواضع المسند، مواضع المسند إليه، تعريف المسند إليه، حذف المسند، حذف المسند إليه، حذف المفعول 89
التقديم والتأخير، أحوال تقديم المعاني، أنواع التقديم وأدواته وأغراضه، تقديم المسند، تقديم المسند إليه، تقديم المفعول على الفعل والفاعل، تقديم متعلقات الفعل الأخرى (الجار والمجرور، الظرف، الحال)، أغراض التقديم والتأخير الأخرى.. 97

الخروج على مقتضى الظاهر 103

الالتفات، معنى الالتفات لغة واصطلاحاً،صور الالتفات، وجه حسن الالتفات 103

الأسلوب الحكيم........................ 107

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل........................ 110

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي........................ 110

أسلوب القصر، تعريف القصر، أركان القصر، أنواع القصر تبعاً لغرض المتكلم، أنواع القصر باعتبار طرفيه، طرق القصر، الأغراض البلاغية للقصر 112

الوصل والفصل،تعريفهما وبيان منزلتهما البلاغية، الوصل، مواضع الوصل، محسّنات الوصل، الفصل، مواضع الفصل 119

الإيجاز والإطناب والمساواة،الإيجاز، الإيجاز لغة واصطلاحاً، نوعا الإيجاز: إيجاز الحذف، إيجاز القصر، الإطناب، تعريفه، أنواع الإطناب، المساواة، جماليات الإيجاز والإطناب........................ 126

الفصل الثالث

علم البيان

تعريفه وواضعه وفائدته........................ 143

مباحث علم البيان........................ 143

التشبيه،معنى التشبيه، أركان التشبيه، أدوات التشبيه، أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه والأداة، أنواع التشبيه الأخرى، التشبيه الضمني، التشبيه التمثيلي، التشبيه المقلوب، أغراض التشبيه 144

الحقيقة والمجاز، أنواع الحقيقة، أنواع المجاز، المجاز العقلي، المجاز المرسل، أهم علاقات المجاز المرسل 170

الاستعارة، تعريفها، وهل هي مجاز لغوي أم عقلي؟ الاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية، الاستعارة الأصلية والتبعية، الاستعارة المرشحة والمجردة

والمطلقة، الاستعارة التمثيلية، بلاغة الاستعارة، وشواهد ذلك من المنظوم والمنثور.. 186

الكناية، تعريفها، أقسام الكناية باعتبار المكنّى عنه، هل الكناية حقيقة أم مجاز؟ الفرق بين الكناية والمجاز، بلاغة الكناية 212

الفصل الرابع

علم البديع

تعريفه وواضعه 237

وجوه التحسين البديعي.. 237

المحسانات البديعية المعنوية (اللغوية)،التورية، الطباق، المقابلة، حسن التعليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، اللف والنشر (الطي والنشر)، الإرصاد (التسهيم)، التقسيم، تجاهل العارف، المبالغة، مراعاة النظير، تشابه الأطراف، التوجيه، الاستخدام، المشاكلة، الرجوع، العكس (التبديل)، حسن التعديد.. 238

المحسنات البديعية اللفظية، الجناس،الاقتباس والتضمين،رد العجز على الصدر (التصدير)، السجع، التصريع، الموازنة، الترصيع، التشطير، التشريع، المماثلة، لزوم مالا يلزم، الترديد 276

مصادر ومراجع في البلاغة العربية.. 312

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين وبعد،

فيهدف هذا الكتاب إلى:

1- تمكين الدارسين من توظيف علوم البلاغة في دراسة الظواهر اللغوية والفنية في الأعمال الأدبية والنص القرآني والحديث النبوي الشريف.

2- تنمية التذوّق الجمالي من خلال الاطلاع على أرفع النصوص النثرية والشعرية.

ومن هذا المنطلق قسّم الكتاب إلى أربعة فصول، هي:

1- مقدّمات عامّة في البلاغة العربيّة.

2- علم المعاني.

3- علم البيان.

4- علم البديع.

وما قلته في هذا الكتاب ليس أكثر من مدخل إلى البلاغة، إسهاماً متواضعاً منّي في خدمة المهتمين بهذا الموضوع... ولا أدّعي أن هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ، ولكني لم أدّخر جهداً في تهذيبه وتنقيحه.

والله أسأل السداد في القول والعمل.

يوسف أبو العدوس

1

الفصل الأول

مقدّمات عامة في البلاغة العربية

الفصل الأول
مقدّمات عامة في البلاغة العربية

أولاً: تقديم في تاريخ البلاغة العربية

يمكن القول: إن العوامل الأولى في نشأة البلاغة العربية هي:

1- إن العرب نشأوا على تذوق الأسلوب ونقده، والفطنة بجيده ورديئه، ونشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هي الأساس الأول للنقد الأدبي عند العرب، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية... لقد عرفت الأحكام الجمالية على إبداعات الشعراء قبل الإسلام، إذ تذكر الأخبار أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة أدم في سوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فيصدر عليها أحكامه التي تصور الدرجة التي بلغها تجويد الشاعر، وحديثه مع الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء معروف.

2- ومنذ مطلع النصف الثاني من القرن الهجري الأول تقريباً نلاحظ صدور الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي، إذ وجدت مجالس أدبية تضم عدداً من الأدباء وأصحاب البلاغة. من ذلك الأحكام التي أصدرها ابن أبي عتيق ناقد الحجاز على أشعار عمر بن أبي ربيعة وغيره، ومنها اجتماع جرير والفرزدق وكثّير وجميل ونصيب في ضيافة السيدة سكينة بنت الحسين بن علي في المدينة، وحكمها على نماذج من أشعارهم..

3- إن العرب أمة مفطورة على البلاغة، وقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها، ومن ثم كان العرب في بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم. لقد التفت العلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول تقريباً إلى تبين مزية القرآن الكريم، والبحث عن مصدر الخلابة والروعة في آياته، حتى تطور ذلك فيما

بعد إلى البحث في أسرار إعجازه، وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز، وتوجيه الأذهان إلى معرفة الخصائص الأسلوبية لأنواع الكلام، والمزايا التي تنفرد بها الصور الكلامية المختلفة.

4- يبدو أن فساد الأذواق، وانحراف الملكات، بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وامتزاج العرب بالشعوب الأخرى، وظهور أثر هذا الامتزاج في الألسنة والطباع، كان من البواعث على تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزاناً سليماً توزن به بلاغة الكلام، ولتعصم هذه الأصول الأدباء من الخطأ في الأسلوب والبيان.

5- وكان للمعتزلة دور كبير من نشأة علوم البلاغة العربية، فقد عني رجال المعتزلة بمسائل البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة... فقد كان النظّام لا يبارى في المناظرة وفي إيراد الحجج وتوليد المعاني، وكذلك ثمامة بن الأشرس وواصل بن عطاء، واهتم المعتزلة بما عند الأمم الأخرى من آراء في البلاغة ومسائلها المتنوعة، وقد نقل الجاحظ ما أثاره أقطاب المعتزلة في كتبه المتعددة.

وقد قررت صحيفة بشر بن المعتمر في البيان والبلاغة أشياء أصبحت مشتركة بين نقد الخطابة ونقد الشعر منها:

1- اعتبار اللحظات التي يسمح فيها بالقول والابتعاد عن الكد والاستكراه.

2- الملاءمة بين اللفظ والمعنى، فالمعنى الكريم يحتاج لفظاً كريماً، وليس ذلك بأن يكون المعنى من معاني الخاصة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، والبليغ التام من استطاع أن يفهم العامة معاني الخاصة.

3- الملاءمة بين المعنى والمستمعين، فلكل طبقة كلام، ولكل حالة مقام.

وقد اهتم المعتزلة بالمقاييس البلاغية والنقدية لعاملين هما:

1- أن البلاغة عنصر هام في الإقناع، والإقناع غاية الجدل الكلامي، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة معلمي بلاغة...

2- إيمان المعتزلة بأن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها...

6- برز في ساحة البحث البلاغي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ثلاثة علماء كان لمؤلفاتهم أهمية خاصة، وهؤلاء هم:

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)، وهو تلميذ الخليل بن أحمد، وقد وضع كتاباً في علم البيان سماه «مجاز القرآن»، لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد، بل هو أشبه بكتاب في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، وهو أحد زعماء المعتزلة، له كتب كثيرة، منها كتاب «البيان والتبيين» الذي ينطوي على أصول مهمة لعلم البلاغة؛ فقد تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة والطبع والصنعة، ودافع فيه عن بلاغة العرب وبيانهم.

3- أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت296هـ)، ألف كتاب «البديع» وجمع فيه سبعة عشر نوعاً بديعياً، منها: الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس... ومن الواضح أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان.

7- ومن الأعلام الذين اهتموا بالدرس البلاغي في القرن الرابع الهجري قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، الذي ألف كتاب «نقد الشعر»، حيث أضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعاً فتممها ثلاثين نوعاً، ومن الأنواع التي ذكرها:التقسيم والترصيع والترشيح والإيغال...

وألف أبو الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالقاضي الجرجاني (ت392هـ) كتاب «الوساطة بين المتني وخصومه»، وقد كان هدفه في الكتاب الحد من الهجوم على المتني من جانب ناقديه، واهتم في الكتاب بالاستعارة الحسنة والقبيحة، وعرض لأنواع من الجناس والتقسيم، وعرض لبعض نماذج التشبيه الجيدة، ثم تحدث عن السرقات الشعرية....

وضمّن أبو هلال العسكري (ت395هـ) «كتاب الصناعتين» حديثاً عن البلاغة، والاختلاف من المراد منها، وتحدث عن الإيجاز والإطناب، والتشبيه، والسرقات الشعرية، والسجع والازدواج، وأضاف بعض أنواع البديع إلى ما ذكره سابقوه.

8- ومن العلماء الذين اهتموا بالبلاغة في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403هـ) مؤلف كتاب «إعجاز القرآن»، الذي بيّن فيه جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وعرض لأنواع بلاغية عديدة مثل: الاستعارة، وحسن التشبيه، والغلو، والكناية، والتجنيس، والمساواة..

وألف أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف الرضي (ت 406هـ) كتابين مهمين هما: «تلخيص البيان عن مجازات القرآن» و «المجازات النبوية» ، حيث تحدث في الثاني عن الدلالة الوضعية للفظ ثم الدلالة المجازية.

وضمّن أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456هـ) كتابه «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» أبواباً عن البلاغة والبيان والإيجاز والبديع والمجاز والتشبيه والمطابقة والتمثيل...

وجمع عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) متفرقات البلاغة في كتابيه المشهورين «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» ، وأقام قواعد هذا العلم على أسس متينة، وإليه يعود الفضل في تفصيل مباحث علمي المعاني والبيان، ومن هنا يمكن القول: إن الجرجاني هو الذي وضع أساس هذين العلمين.

9- وقد نبغ في القرن السادس الهجري جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) الذي ألف تفسيراً أسماه «الكشاف»، فيه نجد دراسة تطبيقية للأساليب البلاغية من استعارة ومجاز وتشبيه وكناية. وقد ألف الزمخشري كتاباً آخر أسماه «أساس البلاغة» الذي بيَّن في كل مادة من مواده الاستعمالات الحقيقية لمواد العربية ثم بيّن تطورها الدلالي بطريق المجاز.

10- وفي القرن السابع الهجري ألف أبو يعقوب يوسف السكّاكي (ت626 هـ) كتاب «مفتاح العلوم»، وجمع في القسم الثالث منه خلاصة ما كتبه العلماء قبله في هذه الفنون، وتحدث في الكتاب عن علم الصرف،وعلم النحو،وعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، وعلم الاستدلال (المنطق)، وعلم العروض والقافية. وعلى الرغم من تأثره بالدرس الفلسفي وولعه به، إلا أنه استطاع أن يحدد الأنواع البلاغية وضبطها على نحو دقيق.

أما ضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت 637هـ) فقد ألف كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، الذي تحدث فيه عن أصول البيان وفروعه...

11- وفي القرن الثامن الهجري وما بعده أخذ المؤلفون يميلون نحو الشرح والتعليق والإيضاح ووضع الحواشي على المفتاح وتلخيصه... فقد قام الخطيب القزويني (ت 739 هـ) بتلخيص القسم الثالث من «مفتاح العلوم» للسكّاكي، وضمنه أمثلة وشواهد، ورتبه بطريقة تسهّل على الدارس تناوله ، وسمى ملخصه «تلخيص المفتاح»، إلا أنه لاحظ بعد ذلك أنه بالغ في التلخيص فوضع كتاباً آخر يوضح فيه بعض ما غمض، وسمى هذا الكتاب «الإيضاح»، حيث ضمّنه ما جاء به السكاكي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما على نحو يمكن أن يكون إيضاحاً للمسائل البلاغية المختلفة.

وبعد القزويني توالت الشروح والحواشي على «المفتاح» و «تلخيص المفتاح».

ثانياً: تطور النقد وأثره في نضوج البحث البلاغي

نشأ منذ القرن الثالث الهجري طائفة كبيرة من النقاد، منهم ابن سلام الجمحي المتوفى عام 231هـ صاحب كتاب «طبقات الشعراء»، وقدامة بن جعفر صاحب كتاب «نقد النثر»، وكتاب «نقد الشعر»، ثم أبو هلال العسكري صاحب كتاب «الصناعتين»، وأبو بكر الباقلاني صاحب كتاب «إعجاز القرآن»، وابن سنان الخفاجي المتوفى سنة 466هـ صاحب كتاب «سر الفصاحة»، وابن رشيق صاحب كتاب «العمدة»، وسواهم.

وهؤلاء النقاد أثاروا في محاضراتهم وبحوثهم وكتبهم كثيراً من بحوث البلاغة، بل إن كتاب الصناعتين وكتاب سر الفصاحة وكتاب العمدة أقرب ما تكون إلى كتب البلاغة منها إلى كتب النقد.

وفي القرن الرابع الهجري اتجه علماء الأدب في أوله إلى الكتابة في الأدب والنقد، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم للبّ البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة، فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البلاغة نفسها.

وهنا يمكن الوقوف عند بعض كتب النقد، لتبيان أهميتها في تطور البحث البلاغي ونضوجه:

عيار الشعر

لابن طباطبا (ت 322 هـ)

مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي، ولد ونشأ بأصبهان، وقد كان ناقداً وشاعراً.

وكتاب «عيار الشعر» من أهم المصادر التي تكشف عن موقف البلاغة العربية بين الاعتداد بالقيمة الفنية والتطلع نحو القياس. وقد عدّ ابن طباطبا في هذا الكتاب الشعر صنعة، ومن هنا بحث في صناعة الشعر وميزان بلاغته.

ومن الموضوعات التي بحثها في هذا الكتاب: الشعر وأدواته، وصناعة الشعر، والمعاني والألفاظ، وطريقة المولدين في التشبيه، وعيار الشعر، وضروب التشبيهات، وأدوات التشبيه، والسرقات، والتشبيهات البعيدة، وتأليف الشعر، والشعر المحكم النسج، والشعر الرديء النسج... وتحدث ابن طباطبا عن الغموض في الشعر، وحذر من الشعر البعيد القلق نظراً لما فيه من إشارات بعيدة، وإيحاءات مشكلة، وأوصى باستعمال المجازات الملائمة، والاستعارات المناسبة.

ومن بين أبواب البلاغة التي اهتم بها ابن طباطبا اهتماماً كبيراً في كتابه: «باب التشبيه»، حيث بين أنه على ضروب مختلفة، لذلك فقد قسمه أقساماً عدة، منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة وبطوءاً وسرعة ، ومنها تشبيهه به لوناً، وصوتاً، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض. ثم يأخذ في تفصيل كل لون عارضاً لأمثلة من جيد الشعر العربي توضح ما ذهب إليه.

واهتم كذلك بحسن الابتداءات، وتماسك المعاني، وأشار إلى التعريض الذي ينوب عن التصريح، والاختصار الذي ينوب عن الإطالة، وتلك إشارات إلى قيم بلاغية.

نقد الشعر

لقدامة بن جعفر (ت 337 هـ)

يعد قدامة بن جعفرمن أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية، وكان لكتابه «نقد الشعر» صدى كبير عند النقاد القدماء.

وقد تأثر قدامة بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً، وكان مِمَّن يشار إليهم في علم المنطق والفلسفة، وكتابه «نقد الشعر» مبني على التصور المنطقي والفلسفة، الأمر الذي جعل مؤلفه يطلق الأحكام الصارمة، البعيدة عن التعامل مع النصوص تعاملاً ذوقياً يكشف مواطن جمالها.

وقد عالج قدامة في كتابه كثيراً من قضايا النقد والبلاغة، ومن هذه القضايا :قضية لغة الشعر التي نظر إليها من خمس زوايا، هي: محاسن اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وعيوب اللفظ، وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وعيوب ائتلاف اللفظ والوزن....

وتحدث قدامة عن التشبيه، ورأى أن التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اتفاق في بعض الصفات، وافتراق في صفات ينفرد بها كل منهما عن صاحبه، لأن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، وإلا اتحدا وصار الاثنان واحداً.

وهنا يمكن الإشارة إلى القضيتين الآتيتين:

1- وضع قدامة في هذا الكتاب النقد على أساس من المنطق والفلسفة، وتحول النقد والبلاغة على يديه إلى منطق ذهني لا مجال فيه للذوق والشعور.

2- لقد باين قدامة بمنهجه العقلي في النقد مناهج النقاد العرب الذين كانوا قبله كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز... ووضع في هذا الكتاب منهجاً جديداً في تدوين البلاغة العربية وأصول البيان والنقد.

الموازنة بين الطائيين

للآمدي (ت 370 هـ)

مؤلف هذا الكتاب أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. وقد تحدث الآمدي في كتابه هذا عن قضايا كثيرة، والذي يهمنا هنا هو الإشارة إلى بعض القضايا البلاغية التي أثارها الآمدي في كتابه، وكان لها أثر في تطور البحث البلاغي، فمنها:

1- تحدث الآمدي عن أسلوب المجاز، ورأى أن اللفظة يجب أن تكون محتملة للاستعمال المجازي وتليق به ضمن الصيغة التي يتكون منها الكلام ، وإذا لم تتعلق اللفظة المستعارة بفائدة في النطق فلا وجه في استعارتها.

2- اهتم الآمدي بالاستعارة، ورأى أنها يجب ألا تستعمل إلا فيما يليق بالمعاني، فاللفظ لا يستعار لما ليس له إلا إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله... ورأى أن شعر أبي تمام زاخر بالاستعارات القبيحة والبعيدة عن الصواب، لأنها خرجت عن المألوف من استعارات العرب.

أما الاستعارات الحسنة عند الآمدي فهي التي تقوى فيها الرابطة بين اللفظ المستعار والمعنى الذي أعيرت له، وضرب لذلك أمثلة من استعارات القرآن الكريم.

3- وتحدث عن التعقيد، ونشأة البديع وتطوره، وعن الجناس والطباق، ورأى أن الجناس الجيد هو ما جاء عفو الخاطر، دون تعمد، والطباق الحسن هو ما اشتمل على حلاوة اللفظ، وصحة المعنى، ورأى أن استعمال أبي تمام للجناس كان ركيكاً.

وأخيراً يمكن القول: إن الآمدي قد طبّق على الشاعرين نظرية عمود الشعر تطبيقاً كاملاً، فالبحتري عنده هو الشاعر الأكبر، لأنه كان يسير على القيم الرفيعة التي سنها القدماء في اللفظ والمعنى، والوزن، والاستعارات، ولأنه كان صحيح الطبع، جيد السبك، قوي الملكة. أما أبو تمام فهو بعيد عن القدماء، ولهذا تعصب الآمدي على أبي تمام، وانتصر للبحتري، وخالف موضوعيته التي تبناها في مقدمة كتابه.

حلية المحاضرة

للحاتمي (ت 388 هـ)

مؤلف هذا الكتاب محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي. وكتاب «حلية المحاضرة» تحدث فيه عن النقد وأصوله، والبلاغة وعلومها، واللغة وقواعدها، والشعر ومحاسنه...

ويرى الحاتمي أن البلاغة أشرف الكلام، ثم يعقد مقارنة بين المنظوم والمنثور، لأنهما شطرا البلاغة، وكلاهما بليغ، ولكن المنظوم أولى بالمزية من المنثور.

ويبحث الحاتمي في موضوعات بلاغية عديدة، ويأتي بالأمثلة والشواهد أكثر من اهتمامه بالتحليل أو معالجة القضايا البلاغية. فيذكر أبدع أبيات المطابقة، وأحسن ما ورد من بديع الاستعارة، وأحسن ما قيل في المجانسة، والتقسيم، والتسهيم ، والطباق والإيغال، والتصدير، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتشبيه...

وبعد ذلك يتحدث عن الحشو، والإغراق، والأمثال السائرة، والاستعارة المستكرهة والكناية....

وهنا يمكن الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

أ- يعرض الحاتمي لأنواع البديع دون تحليل، ويكتفي بإيراد الأمثلة الكثيرة جداً من الشعر.

ب- خلا كتاب الحاتمي من الاستشهاد بالقرآن الكريم.

ج- لم يتمكن الحاتمي من وضع شيء جديد يكون دعامة مهمة لتطور البلاغة العربية.

د- وعلى الرغم من ذلك فإن الأبيات التي استشهد بها الحاتمي على حسن الاستعارات وغيرها من المباحث البلاغية، كانت مهمة لمن يريد أن يحلل مثل هذه الاستعارات.

هـ- ومن الذين تأثروا بالحاتمي في هذا الكتاب ابن رشيق في «العمدة» ، حيث أخذ منه الشيء الكثير.

الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي الجرجاني (ت 392 هـ)

مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي. وقد أراد الجرجاني في كتاب «الوساطة» أن يتوسط فيه بين المتني وخصومه، وهو توسط أقامه على محجة القضاء العادل، وقاعدته في ذلك أن الحكم على الشاعر يجب أن يكون من خلال جودته وإساءته، ومن خلال مقارنته مع الشعراء الآخرين. ومن هذا المنطلق أخذ الجرجاني يوازن بين المتني وغيره من الشعراء الفحول ليثبت في النهاية أن المتني لا يقل عن هؤلاء جودة، فإن أخطأ في بيت، فقد أخطأ فحول الشعراء الذين كانوا قبله في أبيات. فالكتاب في النهاية دفاع عن المتني فيما وجه إليه من أخطاء.

وقد تطرق القاضي الجرجاني في كتابه إلى موضوعات بلاغية عديدة، فتحدث عن البديع ووجوهه وصوره... ثم أخذ في الحديث عن ألوان البديع، فبدأ بالاستعارة، وذكر أبياتاً من الشعر يحتوي بعضها على استعارات حسنة، وبعضها على استعارات سيئة، ثم فرّق بين الاستعارة والتشبيه البليغ.

وتحدث عن التجنيس ، وقسّمه ثلاثة أقسام، هي:

أ- التجنيس المطلق. ب- التجنيس المستوفي ج- التجنيس الناقص.

ثم انتقل للحديث عن المطابقة والتصحيف ، والتقسيم، وجمع الأوصاف.

وتحدث عن السرقات حديثاً مفصلاً. وانتقل بعد ذلك للحديث عن الغلو والمبالغة والإحالة... وهو يرتضي المبالغة والغلو إلا أن يخرج بهما الشاعر عن حد المعقول إلى حدّ التوهم الشديد، الذي تصبح فيه المعاني مضادة للحقيقة تضاداً يؤذي السامع، وقد تصبح ضرباً من المحال الذي لا يمكن قبوله.

وربما استفاد عبد القاهر الجرجاني من هذه النظرات التحليلية للتشبيه عندما عالجها في كتبه المختلفة.

ثالثاً: مدارس البلاغة

هناك مدرستان بلاغيتان كان لهما أثر كبير في تاريخ البلاغة العربية، وهما المدرسة الأدبية والمدرسة الفلسفية، وأمر هاتين المدرستين قديم، فهو ليس وليد عصور متأخرة، ولا وليد فترة معينة، فقد نبه أبو هلال العسكري إلى اتجاهين مختلفين في دراسة البلاغة...

لقد كان للفلسفة وعلم الكلام أثر كبير في البلاغة، وتوثقت الصلة بين علم الكلام والبلاغة شيئاً فشيئاً حتى بلغت ذروتها في القرن السادس الهجري وما بعده على يدي السكّاكي وتلاميذه.

وفي الاتجاه الثاني يلاحظ أن عوامل أخرى غير الفلسفة والمنطق وعلم الكلام قد أثرت في نشأة البلاغة العربية وصبغت أبحاثها بصبغة أدبية. من هذه العوامل: القرآن الكريم، والكتّاب، والشعراء. وهذه المؤثرات طبعت البلاغة بطابع أدبي.

المدرسة الأدبية وخصائصها:

من أبرز خصائص المدرسة الأدبية في درس البلاغة ما يلي:

1- مجافاة الأحكام النظرية والشعور بجورها على العمل الفني...

2- الابتعاد عن اقتباسات المنطقيات، أو الفلسفيات العامة، أو الكلاميات الخاصة التي زخرت بها كتب المتكلمين من أهل البلاغة.

3- الإكثار من الشواهد الأدبية نثرها وشعرها.

4- الإقلال من البحث في التعريفات والقواعد والأقسام.

5- الاعتماد في النقد الأدبي على الذوق الفني، وحاسة الجمال أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام، وسلامة النظر المنطقي.

6- التأكيد على القيمة من حيث أثرها في التعبير، ودورها الجمالي والدلالي.

ومن أهم كتب هذه المدرسة:كتاب البديع لابن المعتز،وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، علماً بأنه لم ينج من أثر المتكلمين،والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن

رشيق القيرواني،وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي،وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني،والبديع لأسامة بن منقذ، والمثل السائر والجامع الكبير لابن الأثير، وبدائع القرآن وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ).

المدرسة الكلامية وخصائصها:

من أبرز خصائص المدرسة الكلامية في درس البلاغة ما يلي:

1- إصدار أحكام عقلية في المسائل البلاغية.

2- الاعتماد على الجدل والمناقشة والتحديد اللفظي.

3- العناية بالتعريفات، والقواعد..

4- الإقلال من الشواهد الأدبية.

5- عدم العناية بالناحية الفنية والجمالية في خصائص التركيب وتقدير المعاني الأدبية.

6- استعمال المقاييس الحكمية الفلسفية المعتمدة على قواعد منطقية أو نظريات خلقية في الحكم الأدبي، دون النظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق.

7- الانخراط في المعيارية، والتجرد المعياري لقيم البلاغة العربية.

ومن أهم كتب هذه المدرسة:

نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والكشاف للزمخشري، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي (ت606هـ)،ومفتاح العلوم للسكّاكي،والمصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك (ت686هـ)، وتلخيص المفتاح والإيضاح للقزويني،وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت773 هـ)، والمطول على التلخيص والمختصر لسعد الدين التفتازاني (ت793هـ)،ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي (ت1110هـ).

ولا بد من القول: إن المدرستين قد اتصلتا اتصالاً وثيقاً، وتداخلتا تداخلاً عجيباً، ومن الصعوبة بمكان الفصل بينهما، فالمعارف الإنسانية وحدة متشابكة الوشائج، يخدم بعضها بعضاً، والميادين التي بحثت فيها المدرستان، كانت بطبيعتها متشابكة، يأخذ بعضها

من بعض، فالميدان الفلسفي الذي كان يجاهد فيه أصحاب المدرسة الكلامية من أجل الدعوة الإسلامية، كان في جداله عن هذه الدعوة، يؤسس عمله على القرآن الكريم، ليثبت أنه معجز.. واطمأن أصحاب الاتجاه الأدبي إلى أن القرآن الكريم طراز من الفن القولي في العربية يوقف عنده، ويرجع إليه في فهم أدبهم... فالقرآن موضوع جهاد المتكلمين، ومادة أدب المتأدبين، وهذا التداخل ظهر أثره في كتابات المؤلفين وتفكير المفكرين، فليس يسهل أن تميّز بلاغياً أدبياً محضاً، لم يتأثر بالتفكير والتناول الكلامي، ولا تستطيع القول: إن بلاغياً متكلماً قد بعد عن الأسلوب الأدبي والتناول الفني.

وهنا لا بد من الإشارة إلى علمين من أعلام البلاغة العربية كان لهما دور كبير في نضوج البحث البلاغي، وفي تأسيس هاتين المدرستين البلاغيتين، وهما: الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني.

الجاحظ والبلاغة العربية:

يعد الجاحظ أحد أقطاب المعتزلة، وقد درس في كتابيه المشهورين: «البيان والتبيين» و «الحيوان» كثيراً من قضايا البلاغة والبيان، وكان لآرائه الأثر الكبير فيمن جاء بعده من النقاد والبلاغيين، ويمكن تلخيص القضايا التي أثارها الجاحظ في هذين الكتابين بما يلي:

1- وقف الجاحظ عند ما أثاره بشر بن المعتمر في صحيفته من صفات الألفاظ والمعاني، ووجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

2- تحدث عن الإيجاز والإطناب ومواضعهما... وتحدث عن صفات الألفاظ والمعاني، ورأى أن الألفاظ الجيدة هي التي تشف عن معانيها، حتى ليسابق المعنى اللفظ، ومتى كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع، بعيداً عن الاستكراه، ومنزهاً من الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

3- فرق الجاحظ بين التكلف والتنقيح، فالتنقيح يعني تخير اللفظ الجيد، أما التكلف فيعني اغتصاب الألفاظ وقهرها، حتى يبين فيها الاستكراه والتعقيد.

4- تحدث عن السجع وتأثيره في النفوس، وعن الازدواج، والتقسيم، ووقف عند مجموعة

من اللغز في الجواب، وأدرج فيها ما سمي فيما بعد باسم الأسلوب الحكيم.

5- نوه الجاحظ بدور المعتزلة في الرد على الآخرين، ورأى أنه لولا المتكلمون لهلكت العوام، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون، ومن هذا المنطلق أخذ يتحدث عن الآيات القرآنية حديثاً دقيقاً مشيراً إلى ما فيها من استعارات وتمثيلات وتشبيهات، وكذلك كان حديثه عن بعض الأشعار.

6- لقد ألمّ الجاحظ بكثير من الصور البيانية المختلفة وبكثير من فنون البديع، غير أنه لم يسبق ذلك بتعريفات وتحديدات، بل أتى بالنماذج البلاغية.. ورأى أن البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة....

7- ومن أجل الرد على الشعوبية الذين رأوا أن معاني القرآن الكريم موجودة عندهم وعند غيرهم، رأى الجاحظ أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الجميع، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج... ورأى أن إعجاز القرآن الكريم في نظمه.. ولكن الجاحظ عندما وقف عند اللفظ والمعنى وأهميتهما في النقد الأدبي رأى أن كليهما يكمل الآخر.

ويلاحظ أن المسحة الكلامية قد ظهرت في كتابات الجاحظ عند عرضه بعض مسائل البلاغة في كتابيه «البيان والتبيين» و «الحيوان»، ولكن هذه المسحة الكلامية لم تسيطر سيطرة تامة، ولم يظهر أثرها واضحاً؛ لأن عصر الجاحظ كان عصراً ازدهر فيه الأدب، فطغت هذه النزعة على اتجاه الجاحظ المتكلم المعتزلي.

لقد تتلمذ الجاحظ أو روى عن عدد من علماء العربية وأدبائها في كتبه المختلفة، كالأصمعي، وأبي عبيدة، وابن الأعرابي، وابن سلاّم، وثمامة بن الأشرس، والنظام وغيرهم.. وقد جمع في كتبه وبخاصة «البيان والتبيين» آراء رجال البلاغة والبيان الذين كانوا قبله أو عاصروه.. يضاف إلى ذلك أن باحثاً قبل الجاحظ لم يفرد كالجاحظ البيان العربي بتأليف مستقل، وإن كانت الآراء مبثوثة في كتب شتى.

وتأثر عدد من النقاد والبلاغيين بما كتبه الجاحظ حول البيان العربي، ومن هؤلاء:

أ- ابن قتيبة (ت 276هـ) ، صاحب كتاب «الشعر والشعراء»، حيث تبع الجاحظ في مذهبه الأدبي من إيثار الطبع.. والبعد عن التكلف والتعقيد.

ب- قدامة بن جعفر، في الكتاب المنسوب إليه «نقد النثر»، حيث تأثر بالجاحظ في حديثه

عن أنواع البيان، واختيار مواقع الكلام وأوقاته، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن البلاغة تعني فيما تعني تساوي المعنى واللفظ.

ج- الآمدي، صاحب «الموازنة» ، حيث دعا إلى المذهب الأدبي الذي دعا إليه الجاحظ في «البيان والتبيين».

د- القاضي الجرجاني، صاحب «الوساطة» ، تابع الجاحظ في دعوته إلى ترك التكلف والاسترسال مع الطبع، وإلى تقسيم الألفاظ على رتب المعاني.

ه- أبو هلال العسكري، صاحب كتاب «الصناعتين»، حيث كان الجاحظ المرجع الأول لأبي هلال في هذا الكتاب، فنقل عنه صحيفة بشر بن المعتمر وغيرها.

و- ابن سنان الخفاجي، صاحب «سر الفصاحة»، نقل عن الجاحظ كثيراً في كتابه.

ز- عبدالقاهر الجرجاني صاحب كتابي «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة»، حيث تأثر بالجاحظ في كتابيه «البيان والتبيين» و«الحيوان» ، فكلام عبد القاهر عن البيان، والسجع، وبلاغة الألفاظ.. متأثر بالجاحظ وإن كان لا يشير كثيراً إليه في كتبه...

مدرسة عبدالقاهر الجرجاني البلاغية:

هناك اتجاه يمزج بين خصائص الكلاميين من البلغاء وأولئك الأدباء حتى يكاد يشكل مدرسة واحدة، ونلحظ هذا في كتابي عبدالقاهر الجرجاني المشهورين: «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة».

فعبد القاهر الجرجاني بليغ أديب في كتاب «أسرار البلاغة»، ويتمثل ذلك في:

أ- عدم حديثه عن قضية الإعجاز في هذا الكتاب.

ب- الاعتماد على الحاسة الفنية وتمكين الذوق الأدبي.

ج- الخلو من الأسلوب المنطقي الاستدلالي.

د- التحليل الأدبي التفصيلي لما يعرض عليه من قضايا.

أما في كتاب «دلائل الإعجاز» فكان عبدالقاهر بليغاً كلامي الدرس، فقد عني في

هذا الكتاب بقضية إعجاز القرآن، واستخدم في مناقشته هذه القضية الجدل المنطقي، وأتى بالأدلة والبراهين، واتكأ على أسلوب الفلاسفة، ونجد في كتابه أمثلة كثيرة على ذلك، نحو قوله:

أ- كيف لا يكون الأمر كذلك.

ب- وما هو إلا كذا وكذا.

ج- إنْ قلتم قلنا.

ومع ذلك فإننا نجد في هذا الكتاب حديثاً فنياً مفاده أن المقاييس الجمالية ليست باتة قاطعة، فقد تكون في موضوع دون موضوع، وفي كتاب «أسرار البلاغة»، لجد في بعض الأحيان الطابع المنطقي الكلامي نحو مناقشته لقضية تنزيل الوجود منزلة العدم، أو العدم منزلة الوجود.

ومن الذين تأثروا بعبد القاهر الجرجاني:

1- طبق الزمخشري فكرة الجرجاني في علم المعاني في تفسير «الكشاف»، واستغلها للدفاع عن الفكر الاعتزالي.

2- أخذ ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» فكرة الذوق كمقياس من الجرجاني.

3- اهتم الرازي في كتابه «نهاية الإيجاز» بما أثاره الجرجاني من قضايا بلاغية.

4- لخص الزملكاني في كتابه «التبيان» ما جاء به الجرجاني.

5- جمع السكاكي في كتابه «المفتاح» الموضوعات البلاغية التي أثارها الجرجاني، وحددها تحت ثلاثة علوم هي: «المعاني والبيان والبديع»، وزاد في موضوعات علم البديع، وعلى الرغم من أخذه فكرة النظم عن الجرجاني إلا أنه لم يطبقها.

6- عندما لخص القزويني كتاب «المفتاح» للسكاكي، رجع إلى شواهد الجرجاني لكي يوضح ما غمض عند السكاكي.

7- أخذ ابن أبي الإصبع المصري في كتابه «تحرير التحبير» فكرة النظم والذوق من عبدالقاهر الجرجاني.

8- كان تأثر يحيى بن حمزة العلوي في كتابه «الطراز» واضحاً بما أثاره الجرجاني، وهذا

التأثر جاءه عن طريق «كشاف» الزمخشري الذي طبق نظرية الجرجاني، وعن طريق «نهاية الإيجاز» للرازي الذي كان تلخيصاً للجرجاني، وذلك لأن العلوي لم يطلع مباشرة على ما كتبه الجرجاني. يضاف إلى ذلك أن العلوي اطلع على ما كتبه ابن الأثير والزملكاني، وكلاهما أخذ من الجرجاني.

رابعاً: وقفة موجزة عند أشهر كتب البلاغة العربية

البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)

كتاب البيان والتبيين واحد من الكتب الكثيرة التي ألفها الجاحظ في شتى فنون المعرفة، وهذا الكتاب عبارة عن مختارات من الأدب والحكمة والخطابة والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، مزجها الجاحظ بآراء ومسائل في البيان واللغة وغيرها. ويبدو أن الغاية الأولى من تأليف هذا الكتاب هي الرد على الشعوبية، وتفنيد ما وجهوا من طعن إلى خطباء المسلمين.

بدأ الجاحظ كتابه بالتعوذ من العي، ثم تحدث عن اللثغة والفصاحة والفصحاء، والخطابة، والخطباء، والبيان، وأهم البلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء، ثم أعقب ذلك بأبواب عن البلاغة وتعريفاتها المختلفة، واللسان، والصمت، والشعر والخطب، والسجع، ثم عاد مرة أخرى للخطباء والبلغاء وقبائلهم وأنسابهم، ثم تحدث عن أسماء الكهان والحكام والخطباء ، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، واللحن.. ثم جاء بعد ذلك باب العصا في الرد على الشعوبية... وفي أثناء ذلك كان الجاحظ يورد كثيراً من الأشعار، والخطب، والقضايا، والحكم، والأحاديث النبوية، والآيات القرآنية.

ويمتاز الكتاب بدقة الوصف والاستقصاء ، والقدرة على التحليل والتعليل، وتفسير الظواهر وفق العوامل المختلفة، وإيراد الآراء المختلفة في الموضوع الواحد، وهو كذلك يمزج الجد بالهزل.

وأخيراً يمكن القول: إن كتاب «البيان والتبيين» يحتوي على نصوص أدبية: شعرية ونثرية ، قلّما نعثر عليها في مصادر أخرى، ويضم الكتاب مجموعة من الآراء النقدية والبلاغية للجاحظ، وهو يحتوي بذور بعض النظريات في البيان والبلاغة والنقد وغيرها. وقد عدّه ابن خلدون في مقدمته واحداً من أربعة أصول لفن الأدب هي: البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي القالي، وأدب الكاتب لابن قتيبة.

كتاب البديع

لعبد الله بن المعتزّ (ت 296هـ)

يعدّ كتاب البديع من أشهر كتب ابن المعتزّ، وقد استهدف به أن يثبت للمحدثين في عصره أن ما يسمونه بديعاً ليس من اختراعهم حيث إنه موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام الإسلاميين والجاهليين من قديم، ولا فضل لهم إلا أنهم أكثروا من استخدام فنونه.

ويمكن أن يمثل هذا الكتاب حجر أساس في أصول البلاغة العربية، فقد ضم الكتاب ألوان البديع المشهورة التي كانت سائدة في عصره وقبل عصره ، التي لم يجمعها أحد قبله بهذا الشكل، علماً بأن الكثير منها كان معروفاً.

تضمن كتاب البديع ثمانية عشر نوعاً من الأنواع البديعية هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، والالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم ما لا يلزم، وحسن الابتداء.

وفي رأي ابن المعتز أن الأنواع الخمسة الأولى هي أنواع بديعية حقاً، وأما ما سواها فمن محاسن الكلام والشعر.

أما منهج المؤلف في دراسة كل فن من هذه الفنون التي عددها فإنه يقوم على تعريف هذا الفن أولاً، ثم الإتيان بشواهد نثرية مختارة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن كلام العرب في الجاهلية والإسلام، ثم يردفها بشواهد مختارة من الشعر القديم جاهليه وإسلاميه، يتبعها بالأمثلة التي يختارها من شعر المحدثين ونثرهم، ثم يختم البحث في كل فن يذكر ما جاء فيه من المعيب، ولا يعرج إلا في القليل على بعض الألفاظ فيشرحها، أو يذكر مناسبتها، وهو في كل هذا يعزو القول إلى صاحبه، والكلمة إلى قائلها ما وسعه ذلك.

كتاب الصناعتين

لأبي هلال العسكري (ت 395هـ)

ويريد بالصناعتين صناعتي الكتابة والشعر. وقد افتتح الكتاب بمقدمة نوه فيها بمعرفة علم البلاغة، وأنه ضروري لفهم إعجاز القرآن الكريم، وللتمييز بين جيد الكلام ورديئه، ولوقوف الكاتب والشاعر على ما ينبغي استعماله من أساليب اللغة وألفاظها الجيدة البليغة.

ورأى العسكري أن البلاغة هي الانتهاء إلى غاية، وسميت بلاغة، لأنها تنهي المعنى في قلب السامع فيفهمه، أما الفصاحة فهي تمام آلة البيان، فالبلاغة كأنها مقصورة على المعنى، بينما الفصاحة مقصورة على اللفظ....

وكتاب العسكري في عشرة أبواب تشتمل على ثلاثة وخمسين فصلاً، وأبواب الكتاب هي:

الباب الأول: في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة...

الباب الثاني: في تمييز الكلام، جيده من رديئه، ومحموده من مذمومه ...

الباب الثالث: في معرفة صناعة الكلام...

الباب الرابع: في البيان عن حسن السبك، وجودة الرصف...

الباب الخامس: في ذكر الإيجاز والإطناب...

الباب السادس: في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته ...

الباب السابع: القول في التشبيه...

الباب الثامن: في ذكر السجع، والازدواج...

الباب التاسع: في شرح البديع، والإبانة عن وجوهه، وحصر أبوابه وفنونه...

الباب العاشر: في ذكر مقاطع الكلام، ومباديه...

العمدة في صناعة الشعر ونقده

لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ)

ألف ابن رشيق أكثر من ثلاثين مؤلفاً، ويعد كتاب العمدة أهم هذه المؤلفات، وقد حاول ابن رشيق لهذا الكتاب أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، وفي البلاغة وفنونها المختلفة، وضمنه أبواباً تعين على فهم الشعر، كما يستفيد بها الشاعر في صناعته.

ومجموع أبواب الكتاب مائة وسبعة أبواب، منها تسعة وخمسون باباً لها صلة واضحة بدراسة الشعر ونقده. وهناك تسعة وثلاثون باباً تتصل بعلوم البلاغة، من الباب الحادي والثلاثين إلى التاسع والستين، ومنها: البلاغة، والإيجاز، والبيان، والنظم، والمخترع والبديع، والمجاز، والاستعارة، والتشبيه، والتجنيس، والترديد، والمطابقة، والغلو، والتكرار، والاتساع، والاشتراك.. الخ.

وهناك أبواب يمكن أن تعين على فهم التراث الشعري، منها: ذكر منازل القمر، في ذكر الوقائع والأيام، في أصول النسب...

ومن هنا يظهر أن كتاب العمدة كتاب موسوعي في الأدب والنقد والبلاغة ، ولا غنى للباحث عنه.

ويمكن القول: إن ابن رشيق احتفظ في كتابه بنصوص نقلها عن كتب ضاعت ولم تصل إلينا، كطبقات الشعراء لدعبل، وكتاب الزجاجي في الأنواء...

وقد أخذ ابن رشيق عن الجاحظ، والحاتمي، وابن قتيبة، وابن سلام الجمحي، وأبي زيد الكلابي في كتاب «النوادر»، وسيبويه، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري....

ومن الكتّاب الذين تأثروا بابن رشيق السجلماسي في «المنزع البديع»، وضياء الدين ابن الأثير الجزري في الكتاب المنسوب إليه «كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب»، وغيرهما.

سر الفصاحة

لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)

يتألف هذا الكتاب من مقدمة وثمانية فصول.وقد تحدث المؤلف في الفصول الثلاثة الأولى عن الصوت والحرف والكلام وأورد كثيراً من المعلومات الصوتية التي تتعلق بالمخارج وأنواعها، وأسباب اختلاف الحروف، والمهموس والمجهور منها...وفي الفصل الرابع تحدث عن نشأة اللغة توقيفاً أم مواضعة، وهو يميل إلى الرأي الثاني..

وفيما يلي ذلك من فصول يتحدث عن بعض مزايا العربية، ثم يفصل حديثه عن الفصاحة والبلاغة، ويرى أن الفصاحة خاصة بالألفاظ، بينما البلاغة عامة في الألفاظ والمعاني، فكل كلام بليغ فصيح وليس العكس..

ويستطيع الدارس أن يجد كثيراً من القيم الفنية التي أولاها ابن سنان اهتمامه وهو يبحث في سر الفصاحة وفنيتها، فهو مثلاً يقيم التأليف على أصول منها: التقديم والتأخير، والاستعارة، والتشبيه، ورد الأعجاز على الصدور، والكناية.. وخلال ذلك يناقش كثيراً من آراء سابقيه كالرماني والقاضي الجرجاني وأبي بكر الصولي...

وتحدث كذلك عن السجع والازدواج والجناس والطباق والمقابلة والإيجاز والمساواة والإطناب، والغموض، واللغز في الكلام، وصحة التقسيم، وصحة الأوصاف في الكلام....

وخلاصة القول: إن ابن سنان كان في كتابه هذا حلقة وصل مهمة في تطور القيم الفنية للبلاغة العربية، لا سيما وهو يولي اهتماماً كبيراً لصحة النسق والنظم ورعاية مقتضى الحال والتناسب كأساس لفصاحة التأليف. وكان حديثه عن فنون البلاغة والبديع في ثنايا حديثه عن سر الفصاحة، إذ هي عنده تشمل حسن اللفظ وحسن المعنى. وقد تأثر من جاء بعد ابن سنان به ، وبخاصة الخطيب القزويني في كتاب «الإيضاح» .

«أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز»

لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)

أسرار البلاغة:

غرض المؤلف من هذا الكتاب التوسل إلى بيان أمر المعاني، وكيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفضل أجناسها وأنواعها...

وأهم محاور الكتاب: التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، لأن جل محاسن الكلام كما يرى الجرجاني متفرع عنها، وراجع إليها.. وقد بدأ حديثه عن الحقيقة والمجاز، ثم التشبيه والتمثيل، ثم الاستعارة، وسبب ذلك أن المجاز أعم من الاستعارة غير أنه بدأ بالاستعارة وعرفها.. ومن بين الموضوعات التي ناقشها في الكتاب: الاستعارة والتطبيق، وتشبيه المعقول بالمعقول، والفرق بين التشبيه والتمثيل، وسبب قبح الكلام المعقد، وقلب التشبيه، والاستعارة والمبالغة في التشبيه، والحقيقة والمجاز، والمجاز العقلي والمجاز اللغوي ومنه الاستعارة... الخ.

دلائل الإعجاز:

يتضح من عنوان الكتاب أن المؤلف يستهدف البحث في الدلائل والخصائص الموضوعية التي تكشف عن الإعجازالقرآني.

ويرى الجرجاني أن مرد الإعجاز ليس في معانيه فحسب؛ لأن المعاني لا تتصور من غير الألفاظ، وإنما السبيل الذي يمكن به فهم الإعجاز هو فكرة النظم التي يمكن أن تتسع لكل ما سبق، وهي تقوم على تعلق الكلم بعضه ببعض، ومن خلال إدراك هذه العلاقات تتكشف المعاني الإضافية، فضلاً عن المعنى الأصلي.

وأهم الموضوعات في هذا الكتاب: بيان الحاجة إلى علم النحو، وفضل علم البيان، والفصاحة والبلاغة، وإعجاز القرآن، ونظم الكلام، والكناية والاستعارة ودقة النظم، والأخذ والسرقة عند الشعراء، ووصف الشعراء بالبلاغة، وذم السجع والتجنيس المتكلفين، وغير ذلك....

«الكشاف» و «أساس البلاغة»

لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)

كان الزمخشري معتزلياً، يعنى بتفسير الإعجاز البلاغي للقرآن.وحاول في تفسيره «الكشاف» أن يستفيد من دراسات البلاغيين السابقين ، لا سيما عبد القاهر الجرجاني، وقد اعتمد بشكل رئيس على فنون البيان والمعاني كما عرضها الجرجاني في كتاب أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وانطلق يبيّن الجمال البلاغي في آي الذكر الحكيم، فكانت دراسته للبلاغة دراسة تطبيقية، بعد أن كانت الدراسات قبله دراسات نظرية. ومن الموضوعات البلاغية التي استخدمها في تفسيره:قضية النظم التي تحدث عنها الجرجاني،والفصل والوصل،والكناية وأنواعها،والاستعارة وأنواعها،والتشبيه والتمثيل،والمجاز المرسل، والتقديم والتأخير، وغير ذلك... .

ومن هنا يعد الزمخشري هو الذي أعد لاكتمال الفروع المختلفة لشجرة نظرية علم المعاني، وعلم البيان، وذلك من خلال تطبيقاته المختلفة لهذه الفروع على القرآن الكريم بذوق أدبي مرهف، وحسّ فني دقيق.

وربما كانت قلة اهتمام الزمخشري بالبديع راجعة إلى أن المتكلمين قد نحوا البديع من مباحث أسرار البلاغة في القرآن الكريم، لأنه لا يدخل في قضية الإعجاز، ولأن كثيراً منه مستحدث، وما ورد منه في القرآن جاء دون تكلف له.

أما «أساس البلاغة» فهو معجم مرتّب وفق أول حروف الكلمة وثانيها وثالثها،وقد تخير الزمخشري في هذا المعجم ما وقع في عبارات المبدعين، وساق الكلمات بتناسق ونظام، وركّز على الكلام الفصيح، وأفرد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح... ويبدأ بشرح المادة لغوياً، مركزاً على المعاني الحقيقية لها، ثم ينتقل إلى المعاني المجازية، مكثراً من التعبيرات الاصطلاحية والسياقية والعاديّة، ويستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال، والحكم، والشعر ...

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز

لفخر الدين الرازي (ت 606هـ)

يتمحور كتاب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» حول البلاغة باعتبارها مدار الإعجاز القرآني.. وعني الرازي في هذا الكتاب بما صنفه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» ، فحاول ترتيبه، وتهذيبه على صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية وتنحصر فروعها وأقسامها حصراً دقيقاً... يضاف إلى ذلك أن الرازي قد تأثر بالرماني والزمخشري...

ويلاحظ في هذا الكتاب أن الرازي يرد أحياناً على من يأخذ منهم من العلماء، مثل الرماني والجرجاني.

وقد قسم الرازي كتابه إلى مقدمة، وجملة أولى، وجملة ثانية.

ففي المقدمة التي تتكون من فصلين يتحدث عن أن القرآن معجز، وأن الإعجاز في فصاحته، ثم يتحدث عن شرف علم الفصاحة.

وفي الجملة الأولى التي عنونها بـ «في المفردات»، وقسمها إلى عدة أقسام وأبواب، تحدث عن الدلالة اللفظية، والمحاسن والمزايا الحاصلة بسبب الألفاظ وما يتبعها، وأحكام الدلالات المعنوية، وأحكام الخبر، والحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية...

وجعل عنوان الجملة الثانية «في النظم»، وفيها تحدث عن حقيقة النظم، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار والإيجاز....

ويلاحظ أن الرازي قد ملأ كتابه بالأقسام، وفرع من الأقسام فروعاً، ثم شعب هذه الفروع، وبذلك تكاثرت عنده التقسيمات، فأصبحت البلاغة في هذا الكتاب كأنها علمٌ من علوم اللغة مع ما يداخلها من أقيسة المنطق الصارمة، ومع ذلك فقد كان الرازي يقف أحياناً وقفات ذوقية عند عدد من القضايا البلاغية.

مفتاح العلوم

لأبي يعقوب السكّاكي (ت 626هـ)

مؤلف هذا الكتاب هو سراج الدين أبو يعقوب السكاكي، وقد تحدث فيه عن علم الصرف، وعلم النحو، وعلم المنطق، وعلم العروض والقافية، وجمع في القسم الثالث من الكتاب خلاصة ما كتبه العلماء قبله في علوم البلاغة.. وفي هذا القسم -الذي لخص فيه ما سبقه من كتابات في البلاغة قبله، لا سيما ما أتى به عبد القاهر الجرجاني والزمخشري، وما أضافه من أفكار إليه - أعطى للبلاغة العربية صيغة شبه نهائية عكف عليها العلماء من بعده بالشرح أو التلخيص..

وقد أصبحت البلاغة عند السكاكي منضبطة في قوانين وقواعد ذات قوالب منطقية، كما تميزت بالإحاطة الكاملة للأقسام والفروع، فغدت قواعد كقواعد النحو، وتجردت من التحليلات الفنية الذوقية، ومالت للمعيارية المجردة.

فتحدث أولاً عن علم المعاني، وبحث فيه الخبر والطلب، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والقصر.

ثم تحدث عن علم البيان بما يشتمل عليه من تشبيه ومجاز وكناية، مردفاً ذلك بحديث عن البلاغة والفصاحة.

وتميزت ألوان البديع لديه باستقلال مباحثها، وجعلها قسمين، قسماً يعود إلى المعنى كالطباق والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير.. وقسماً يرجع إلى اللفظ كالتجنيس والسجع والترصيع...

وقد قام عدد كبير من النقاد والبلاغيين ممن جاءوا بعد السكّاكي بشرح كتابه أو تلخيصه.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

لضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ)

وجد ابن الأثير أن موضوع علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام.وأشار إلى أنه لم يجد في الجهود السابقة ما ينتفع به إلا كتابي «الموازنة» للآمدي، و «سر الفصاحة» للخفاجي، ومن هنا قام بتأليف هذا الكتاب.

ويتألف الكتاب من مقدمة تشتمل على أصول علم البيان، ومقالتين تشتملان على فروع علم البيان. الأولى في الصناعة اللفظية، والثانية في الصناعة المعنوية.

وقد تنبه ابن الأثير في مقدمته إلى أن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم، الذي هو أنفع من ذوق التعليم، ومقدمة الكتاب في عشرة فصول هي:

الأول: في موضوع علم البيان.

الثاني: في آلات علم البيان وأدواته.

الثالث: في الحكم على المعاني.

الرابع: في الترجيح بين المعاني.

الخامس: في جوامع الكلم.

السادس: في الحكمة التي هي ضالة المؤمن.

السابع: في الحقيقة والمجاز.

الثامن: في الفصاحة والبلاغة.

التاسع: في أركان الكتابة.

العاشر: في الطريق إلى تعلم الكتابة.

فموضوع علم البيان عند ابن الأثير هو الفصاحة والبلاغة.

وبعد ذلك تحدث عن آلات علم البيان وأدواته، ثم عن أركان الكتابة...

الإيضاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني (ت 739هـ)

ألف القزويني أولاً مختصراً صغيراً للمفتاح في البلاغة، أي القسم الثالث من الكتاب، وسمى هذا المختصر «تلخيص المفتاح»..

أما كتاب « الإيضاح» الذي ألفه القزويني فهو كتاب في البلاغة على ترتيب التلخيص، وبسط القول فيه ليكون كالشرح له، فأوضح ما غمض في التلخيص، وفصل معانيه المجملة. وقد اعتمد في هذا الكتاب على «المفتاح» و «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» وغير ذلك.

وكتاب الإيضاح كتاب مهم في البلاغة من حيث التنظيم والترتيب والتقسيم والتحليل والاستقصاء، فقد تحدث عن جميع فروع البلاغة المعروفة (المعاني والبيان والبديع) بشكل واسع ودقيق، حتى غدا المصدر الرئيس لمن يكتب عن هذا الموضوع.

ومن أهم ميزات هذا الكتاب ما يلي:

1- جمع فيه خلاصة بحوث علماء البلاغة الذين جاءوا قبله.

2- إنه كتاب تطبيقي في البلاغة.

3- فيه يتعمق ويبحث ويستقصي أسرار البلاغة العربية.

4- من أوضح الكتب المؤلفة في البلاغة نظاماً وترتيباً.

5- أوفى كتاب في بحوث البلاغة، وفيه مسائل نقدية وأدبية وبيانية مهمة.

6- وعلى الرغم من استفادته من السكاكي إلا أنه يفند آراءه أحياناً.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز

ليحيى بن حمزة العلوي (ت 749هـ)

مؤلف هذا الكتاب الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، وكان مولده سنة 629 للهجرة، ووفاته سنة 749 للهجرة. له عدة مؤلفات منها: كتاب الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة، وأقاويل الأمة، ويقع في ثمانية عشر مجلداً.

أما كتاب «الطراز» فهو من أهم الكتب القديمة في البلاغة العربية، ويقع في ثلاثة أجزاء، تحدث فيه عن علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني، وفصل القول في هذه العلوم الثلاثة، كما فصل القول في قضية إعجاز القرآن، وأتى بالشواهد والبراهين على ذلك. ويلاحظ أنه أكثر من التقسيمات الفرعية بشكل كبير، وقد استفاد من البلاغيين الذين جاءوا قبله بصورة واضحة.

خامساً: الفصاحة والبلاغة

الفصاحة لغة واصطلاحاً

الفصاحة لغة: البيان والظهور، يقال: «أفصح الصبي في منطقه، إذا بان وظهر كلامه». ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ أي أبين مني منطقاً وأظهر مني قولاً.

ويقال: أفصح الأعجمي، وفصح، إذا انطلق لسانه بالعربية، لا تشوبه لكنة.

ويقال: أفصح الصبح، إذا أضاء ولمع. ومنه المثل المشهور: «أفصح الصبح لذي عينين».

ويقال: أفصح اللبن، إذا نزعت رغوته، فظهر، ومنه المثل المعروف: «وتحت الرغوة اللبن الفصيح».

ويقال: يوم مفصح، أي جلي لا غيم فيه.ويقال: لسان فصيح، أي طلق.

والفصاحة في الاصطلاح عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها.

وهي تقع وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم.

ما يوصف بالفصاحة:

فصاحة المفرد وشروطه:

اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلمة أن تسلم من عيوب ثلاثة هي:

1- تنافر الحروف، وهو وصف في الكلمة، ينشأ عنه ثقلها على اللسان والسمع، وهو نوعان:

أ- تنافر شديد، كلفظ «الهُعْخُع» في قول أعرابي سئل عن ناقته فقال:

«تركتها ترعى الهُعخُع»، وهو نبت ترعاه الإبل.

ب- تنافر خفيف،كلفظ «مستشزرات» في قول امرئ القيس:

غدائـره مستشـــزراتٌ إلى العـــلا   تَضِـلُّ العقـاصَ في مُثنـى ومرسَـلِ

ومعنى مستشزرات: مرتفعات أو مرفوعات.

ويلاحظ أن الضابط لمعرفة الثقل والصعوبة هو الذوق السليم، فما عدّه الذوق السليم ثقيلاً متعسر النطق، فهو متنافر، سواء أكان متقارب الحروف أو متباعدها، وسواء أطالت حروفه أم قصرت.

2- مخالفة الوضع، ومعناه أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت من الواضع، سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أم لا، فمدار المخالفة على ما ثبت عن الواضع. ومن هنا لم يخرج عن الفصاحة ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح.

ومثال مخالفة الواضع أي العرف العربي الصحيح والقياس الصرفي لفظ «الأجلل» في قول أبي النجم:

الحمـــدُ للهِ العلـــيِّ الأجلَـــلِ   الواهـبِ الفضـلِ الكريـمِ المجـــزلِ

فهو غير فصيح، لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، وللقياس الصرفي، إذ الوارد عن الواضع «الأجلّ» بالإدغام، لا بالفك، والقياس الصرفي يقتضي إدغام المثلين.

ومن ذلك لفظ «بوقات» في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فإنْ يكُ بعضُ الناسِ سـيفاً لدولـةٍ   ففـي النـاسِ بُوقـاتٌ لهـا وطُبـول

القياس الصرفي يقتضي جمعه على أبواق؛ لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها.

3- غرابة الاستعمال، أي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ويكون ذلك لسببين:

الأول: عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص، فيحتاج في بحثها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة، كلفظ «جؤشوش» في قول البحتري:

فـلا وصـل إلا أن يُطيـفَ خيالهـا   بنا تحت جُؤشوشٍ من الليلِ مُظلم

ومعناه: القطعة من الليل.

الثاني: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة، كلفظ «مسرج» في قول رؤبة بن العجاج:

ومقلةً وحاجباً مزججاً   وفاحماً ومرسناً مُسرّجا

فقد اختلف أئمة اللغة في تفسير هذه الكلمة، فقال بعضهم إن الشاعر أراد أن يشبه أنفها في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، أي منسوبة إلى حداد يقال له سُريج يجيد صنعها. وقال بعضهم هو من السراج أي المصباح، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج.

فصاحة الكلام وشروطه:

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه، ويحول دون المراد منه، وقد اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلام أن يسلم من ثلاثة عيوب هي:

1- تنافر الحروف: هو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، وإن كانت كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها، وهو نوعان:

أ- تنافر شديد، كقول الأعشى:

وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني   شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ

شاو: يشوي اللحم.

مشل شلول: سائق ماهر.

شلشل: خفيف في العمل سريع.

شول: يحمل الشيء.

وكقول المتنبي:

فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا   قلاقل عيس كلهنّ قلاقل

قلقل: أي حرك، وقلاقل الأولى بمعنى الناقة السريعة، وقلاقل الثانية بمعنى الحركة.

ب- تنافر خفيف: كقول أبي تمام:

فـالمجدُ لا يرضَـى بـأن ترضـى بـأن   يرضـى المؤمـلُ منـكَ إلا بـالرِّضَى

2- ضعف التأليف: هو أن يكون في نظمه مخالفاً للمشهور من قواعد النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإتيان بالضمير متصلاً بعد إلا، وكعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. فمن الأول قول الشاعر:

ليـسَ إلاكَ يـا علـي همـام   سـيفه دون عرضـه مسـلول

ومن الثاني قول سليط بن سعد:

جزى بنـوه أبـا الغيـلان عـن كـبر   وحسـن فعـل كمـا يجـزى سـنمارُ

فالضمير (بنوه) في المصراع الأول يعود على (أبا الغيلان)، وهو متأخر في اللفظ ومتأخر في الرتبة لأنه مفعول به.

3- التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه، وهو نوعان:

أ- التعقيد اللفظي: أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد، لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني، بسبب تقديم أو تأخير أو حذف.. مما ينشأ عنه صعوبة فهم المعنى المراد. ومن ذلك قول الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

ومـا مثلـهُ في النـاسِ إلا مملكـاً   أبـو أمـه حـيٌّ أبـوهُ يقاربـه

ومعنى البيت، ليس في الناس مثل إبراهيم أحد يشبهه في الفضائل والمكارم إلا ابن أخته الخليفة.

فترتيب النظم في البيت مختل، لأن أصل الكلام: «وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه»، ولكن الفرزدق قدم المستثنى «مملكا» على المستثنى منه «حي» بمعنى «أحد»، ومثل هذا التقديم لا يجيزه النحاة، وفصل بين «مثل وحي» وهما مبدل منه وبدل، وفصل بين المبتدأ والخبر وهما «أبو أمه أبوه» بـ «حي» وبين الصفة والموصوف وهما «حي يقاربه» بـ «أبوه»، ومن ثمّ ضعف النظم، فتعقد اللفظ، وخفي المراد، وخرج البيت عن دائرة الكلام الفصيح.

ب- التعقيد المعنوي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود، بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم، يحتاج إلى تكلف وتعسف، بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول، ومن ذلك قول العباس بن الأحنف:

سأطلبُ بُعْدَ الدار عنكُم لتقربوا وتسكبُ عيناي الدموعَ لتجمُدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم في فراق الأحبة من الحزن والكمد، فأصاب في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجب التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحبته، وهو خفي وبعيد، إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له: جمدت عينك، بل المعروف أن جمود العين إنما يكنى بها عن عدم البكاء حالة الحزن.

وقد زاد بعض علماء البلاغة عيبين آخرين على العيوب الثلاثة المخلة بفصاحة الكلام وهما: أن يكثر فيه التكرار، وتتوالى فيه الإضافات أو تتابع الصفات. ولكن الملاحظ أن هذين النوعين ليسا عيباً مخلاً بالفصاحة دائماً، فقد لا يؤديان إلى الثقل، ولا يخلان بالفصاحة، بل يكسبان الكلام حسناً وجمالاً. وقد ورد كل من التكرار والتتابع في القرآن الكريم، وكان فيهما خفة وسهولة وطلاوة.

فصاحة المتكلم:

فصاحة المتكلم هي ملكة أوصفة قائمة في نفس المتكلم، يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحاً عما يجول في خاطره من الأغراض. وهذه الملكة تتكون بكثرة الاطلاع، وطول الممارسة، والثقافة الواسعة.

البلاغة لغة واصطلاحاً

البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى إليها، أو شارف عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي قاربنه.

وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عما في نفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴾. من هنا يلاحظ أن البلاغة في الاصطلاح، يختلف معناها باختلاف موصوفها، وهو الكلام والمتكلم، يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة فلا يقال: هذه كلمة بليغة.

ما يوصف بالبلاغة:

بلاغة الكلام:

البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

والحال(المقام): هو الأمر الذي يحمل المتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة؛ فالمدح مثلاً حال يدعو لإيرادها على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى.

ومقتضى الحال: هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال: هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة.

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى.

ومن هنا فإن البلاغة تقوم على الدعائم الآتية:

1- اختيار اللفظة الواضحة الجزلة، والمعنى الجليل.

2- حسن التركيب وصحته.

3- اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء ، وحسن انتهاء.

4- التأثير.

فالبلاغة لا بد فيها من ذوق وذكاء، بحيث يدرك المتكلم متى يتكلم، ومتى ينتهي، وما القوالب التي تصب فيها المعاني التي رتبها في نفسه.

وقد حفلت كتب الأدب بشواهد فيها فصاحة الكلمات، وجودة السبك، ولكن لم يراع فيها المقام الذي قيلت فيه، مثال ذلك أن أبا النجم دخل على هشام بن عبد الملك فأنشده:

صفراءُ قد كادتْ ولمّا تَفْعَلِ   كأنّها في الأفق عينُ الأحوَلِ

وكان هشام أحول، فأمر بحبسه.

ومدح جرير عبدالملك بن مروان بقصيدة مطلعها:

أتَصْحُو أم فُؤادُك غيرُ صاحِ   غداةَ هَمَّ صَحْبُك بالرَّواحِ

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء، وقال له: بل فؤادك أنت.

بلاغة المتكلم:

هي ملكة أوصفة قائمة في نفسه راسخة فيه يستطيع بها أن يؤلف كلاماً بليغاً في أي غرض يريده.ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى:

1- الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خلقية.

2- الثقافة اللغوية والنحوية، ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها، وإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وهذه صفات مكتسبة.

تطبيقات

◆ **بيّن العيوب التي أخلت بفصاحة الكلمة أو الكلمات في الأمثلة الآتية:**

1- أمِنا أن تُصرَّع عن سماحٍ وللآمالِ في يَدِكَ اصطراعُ

2- لم يلقها إلا بشكَّةِ باسلٍ يخشى الحوادثَ حازمٍ مُسْتَغْدِدِ

3- إلى مَلكٍ ما أمّهُ من مُحاربٍ أبوهُ، ولا كانتْ كليبٌ تُصاهره

4- وازورَّ من كان له زائراً وعافَ عافي العرفِ عرفانه

5- لما عَصا أصْحَابهُ مُصْعباً أدّوا إليه الكيلَ كيلاً بصاعِ

6- ولمْ أر مثلَ جيراني ومثلي لمثلي عندَ مثلهم مقامُ

7- فما من فتى كنا من الناسِ واحداً به نبتغي منهم عديلاً نُبادلُه

8- وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتهم خُضعَ الرِّقابِ نواكس الأبصار

9- فلا يبرمُ الأمرَ الذي هو حاللٌ ولا يُحللُ الأمرَ الذي هو يُبرم

10- أنى يكونُ أبا البرايا آدمٌ وأبوكَ والثقلانِ أنتَ محمدُ

11- والشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تبكي عليك نجومُ الليلِ والقمرُ

2

الفصل الثاني

علم المعاني

الفصل الثاني

علم المعاني

تعريفه وواضعه وفائدته:

هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو الطريق الـذي يجـب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية، وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل..

وأول من دوّن قواعد هـذا العلـم عبـد القـاهر الجرجـاني، حيـث هـذّب مسـائله، وأوضح قواعده، وقد وضع فيه بعض الأدباء والنقاد قبله نتفـاً، كالجـاحظ، وأبـي هـلال العسكري، إلا أنهم لم يصلوا إلى مثل ما وصل إليه الجرجاني.

وفائدته الوقوف على معرفة أسرارالإعجاز القرآني من براعة التركيب وحسـن السـبك والإيجاز، وجزالة الكلمات والوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه.

مباحث علم المعاني:

لتسهيل دراسة مباحث هذا العلم قسمه العلماء إلى ثمانية مباحث هي:

1- الخبر

2- الإنشاء.

3- أحوال المسند.

4- أحوال المسند إليه.

5- أحوال متعلقات الفعل

6- القصر.

7- الفصل والوصل.

8- الإيجاز والإطناب والمساواة.

الصدق والكذب:

وهذا بحث عقلي لا صلة له بعلوم البلاغة إلا من ناحية أنه كالتفسير والشرح لتعريف الخبر والإنشاء.. وقد اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، وهنا يمكن الوقوف عند ثلاثة آراء هي:رأي الجمهور، ورأي النظام، ورأي الجاحظ.

1- رأي الجمهور:

رأي الجمهور أن صدق الخبر هو مطابقة حكمه للواقع، أي الخارج الذي يكون لنسبة الكلام الخبري، فصدق الخبر هو مطابقة نسبته الكلامية للنسبة الخارجية، سواء أطابقت الاعتقاد أم لم تطابق.. ففي قولنا : زيد قائم، له ثلاث نسب:

أ- نسبة كلامية، وهي ما يدل عليه الكلام.

ب- نسبة ذهنية، وهي ما يحصل في الذهن من النسبة الكلامية.

ج- نسبة خارجية، وهي النسبة التي بين الطرفين في الواقع.

فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية -بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين- صدق، وعدم مطابقتها لها - بأن تكون إحداهما ثبوتية، والأخرى سلبية -كذب.

2- رأي النظّام:

النظّام أحد شيوخ المعتزلة، توفي سنة 231 للهجرة، ورأيه أن صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له.. ومثال ذلك لو قال قائل: «السماء تحتنا» ، فإن قوله يكون صدقاً إذا كان يعتقد ذلك، ويكون قوله: «السماء فوقنا» كذباً إذا لم يعتقد ذلك. والمراد بالاعتقاد الحكم الذهني الجازم أو الراجح فيعم العلم والظن، أما الشك فواسطة بين الكذب والصدق، إذ لا اعتقاد للشاك، وعلى هذا لا يتحقق الصدق والكذب لوجود الواسطة وهي خبر الشاك، اللهم إلا أن يقال إنه كاذب، لأنه إذا انتفى الاعتقاد صدق عدم مطابقته للاعتقاد...

3- رأي الجاحظ:

أنكر الجاحظ انحصار الخبر في الصادق والكاذب، ورأى أنه ثلاثة أقسام: صادق،

وكاذب، وغير صادق ولا كاذب، لأن الحكم إما مطابق للواقع مـع اعتقـاد المخـبر لـه أو عدمه، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه.

فالأول، أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق، وصدق الخبر علـى هـذا هـو مطابقـة الخبر للواقع مع اعتقاد المخبر أنه مطابق له.

والثاني والرابع، أي المطابق مع عدم الاعتقاد أصلاً أو مع الاعتقاد بأنه غير مطابق، وغير المطابق مع عدم الاعتقاد أصلاً أو مع اعتقاد المطابقة، كل منـهما ليـس بصـادق ولا كاذب.

فالذي ليس بصادق ولا كاذب أربعة:

1- المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة.

2- المطابقة بدون الاعتقاد أصلاً.

3- عدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة.

4- عدم المطابقة بدون الاعتقاد أصلاً.

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

معنى الخبر:

هو قول يحتمل الصدق والكذب، والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع، والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع. فلو قال قائل :حضر الزائر الذي ننتظر، فهذا خبر، يحتمل الصدق والكذب. فإذا خرجنا من البيت وتأكدنا من حضور الزائر، فالخبر صادق، وإن لم نر الزائر فالخبر كاذب.

الغرض من إلقائه:

يقصد المخاطِبُ في خبره للمخاطَب أحد أمرين:

1- إعلام المخاطَب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلاً به، ويسمى هذا النوع فائدة الخبر؛ لأنه المقصود بالخبر والمستفاد منه، نحو: «الدين المعاملة»، لمن يجهل هذا الأمر.

2- إعلام المخاطَب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمنه الجملة، حيث يكون المخاطب عالماً بالحكم، ولكنه يجهل أن المتكلم يعلمه أيضاً، ويسمى هذا النوع لازم الفائدة، لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به. ومثال ذلك قولك لمن حفظ المعلقات السبع: «قد حفظت المعلقات السبع». وأنت هنا تقصد إفادة المخاطب أنك عالم بالحكم، وهو حفظه للمعلقات السبع.

أغراض الخبر وخروجه عن الغرضين السابقين:

قد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن ، ومن سياق الكلام، منها:

1- الاسترحام والاستعطاف، كقوله تعالى:﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾.

2- تحريك الهمة إلى أمر يجب تحصيله، ومثال ذلك : «الناس يشكرون المحسن».

3- إظهار الضعف، كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾.

4- إظهار التحسر والأسف، كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران ﴿ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾.

5- إظهار الفرح، كما يقول من نجح في الامتحان لمن يعرف ذلك: «فزت في الامتحان».

6- الفخر، كقول الرسول ﷺ: «إن الله اصطفاني من قريش».

7- المدح، كقول النابغة:

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ   إذا برزت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

8- التحذير، نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

9- التحقير، كقول المتنبي:

ما يقبضُ الموتُ نفساً من نفوسهم   إلا وفي يده من نتنها عودُ

10- النصح والإرشاد، كقول ابن الوردي:

جَانب السُّلطانَ واحذر بطشَهُ   لا تُعانِدْ مَنْ إذا قال فَعَلْ

11- التوبيخ، كقولك لتارك الصلاة: «الصلاة عمادُ الدين».

12- التذكير بما بين المراتب من التفاوت، نحو: لا يستوي كسلان ونشيط.

ولا شكّ أن الأغراض التي يخرج إليها الخبر كثيرة جداً، والمرجع في إدراكها الذوق السليم المدرك لمجيء الصفة الخبرية في غير إرادة إفادة مضمون الخبر أو لازمه، فمثلاً هناك التهديد، والحضّ على الصبر، وإظهار العجز..إلخ.

أضرب الخبر (أنواعه)، [أحوال متلقي الخبر]:

هناك ثلاث طرق يمكن أن يلقي فيها المتكلم الخبر على المخاطب هي:

1- الخبر الابتدائي:

إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم في مضمون الخبر، فعندئذ يلقي المتكلم عليه الخبر دون تأكيد، ومثال ذلك قول ابن هانئ الأندلسي:

يا أهلَ أندلس لله درّكم   ماءٌ وظلٌّ وأشجارٌ وأنهارُ

ما جنــةُ الخلــدِ إلا في ديــاركُمُ ولـو تخيرتُ هـذي كنـتُ أختـارُ

ومن ذلك قول مجنون ليلى:

أتاني هواها قبل أن أعـرفَ الهـوى فصــادفَ قلبــاً خاليـــاً فتمكّنـــا

2- الخبر الطلبي:

إذا كان المخاطب متردداً في الحكم المقصود، فعندئذ يلقى إليه الخبر مؤكـداً بـإحدى أدوات التوكيد «إنّ، أنّ، لام الابتداء، أحرف التنبيه [ألا، أما، ها]، أحرف القسم [الواو، الباء، التاء]، نون التوكيد الثقيلة، نون التوكيد الخفيفة، الحروف الزائدة [إنْ، أنْ، مـا، لا، من، الباء». وقد سمي طلبياً لأن المخاطب به متردد في تصديق مضمونـه وطـالب بلسان حاله معرفة حقيقته ، ومن أمثلة ذلك قول النابغة:

ولســت بمســتبقٍ أخــاً لا تلمُّـــه على شَعَثٍ أيّ الرجــالِ المهذب؟

فالمؤكد الباء الزائدة في (بمستبق).

ومن ذلك قول الشاعر:

ليس الصَّديـقُ بمـن يعـيركَ ظـاهراً متبسِّــماً عـــن بـــاطنٍ مُتَجَـــهِّمِ

فالمؤكد (بمن).

3- الخبر الإنكاري:

إذا كان المخاطب منكراً للحكم الذي أطلقه المتكلم، معتقداً خلافـه، فحينئـذ يجـب على المتكلم تـأكيد الخـبر للمخـاطب بمؤكـد أو بمؤكديـن أو أكـثر،حسـب درجـة إنكـار المخاطب للحكم قـوة وضعفـاً. ومثـال ذلـك قولـه تعـالى: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾.

ومن ذلك قول الشاعر:

ولقد نصحتُك إنْ قَبِلْـتَ نصيحـتي والنُّصْـحُ أغلـى مـا يُبـاعُ ويوهـبُ

فالمؤكدات إنّ ولام الابتداء في الآية الكريمة، والقسم وقد في بيت الشعر.

ويسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال.

الخبر الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب:

قد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى ظاهر الحال، ويورد الكلام لاعتبارات يلحظها المتكلم، وأهم الصور الممكنة لخروج الخبر على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب هي:

1- تنزيل العالم بفائدة الخبر، أولازمها، أو بهما معاً، منزلة الجاهل بذلك، لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة، وهو لا يصلي: الصلاة واجبة، توبيخاً على عدم عمله بمقتضى علمه.

2- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، ومن ذلك قول المتنبي:

ترفَّقْ أيُّها المولى عليهم فإنَّ الرفقَ بالجاني عتابُ

3- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من إمارات الإنكار، وذلك إذا كان مضمون الخبر شيئاً معنوياً يحتاج في إدراكه والاقتناع به إلى تأمّل وتدبّر، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾، فالمخاطبون لا ينكرون أنهم سيموتون، لكنهم على الرغم من ذلك يتصرفون وكأنهم مخلدون.

4- تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن، وذلك إذا لم يكن هناك داع لتردده، فلا نؤكد له الخبر بأي مؤكد، كقولك للمتردد في قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير.

5- تنزيل المتردد منزلة المنكر، وذلك إذا كانت درجة تردده عالية فتؤكد له الخبر بأكثر من مؤكد، كقولك لمن يتردد في مجيء صديقه من السفر، ولكنه يرجح عدم مجيئه: «إنَّ صديقك لقادم».

6- تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن، وذلك إذا كان لديه ما إن تأمله ارتدع عن إنكاره، كقوله تعالى: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾.

7- تنزيل المنكر منزلة المتردد إذا كانت درجة إنكاره غير عالية، كقولك لمن ينكر فضل العلم: «إنّ العلم نافع»، ألقيت إليه صورة الخبر المناسبة للمتردد رغم أنه منكر، لأن

إنكاره ضعيف يزول بأدنى تأكيد.

ولا شك أن التوكيد هنا يعني تمكين الحكم في النفس وتقويته، على نحو يزيل شك المخاطب، وليس التوكيد هنا توكيد المسند والمسند اليه.

تطبيقات

◆ بيّن أغراض الخبر والمقاصد المستفادة منه في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴾.

4- قال المتنبي:

يـا سـاقييَّ أخمـرٌ في كؤوسـكما ... أم في كؤوسـكُما هـمٌّ وتسـهيدُ
أصخـرةٌ أنـا مـالي لا تُحركُـني ... هـذي المُدامُ ولا هـذي الأغـاريدُ
مـاذا لقيـتُ مـن الدُّنيـا وأعجَبُـهُ ... أنـي بمـا أنـا شـاكٍ منـهُ محسـودُ
أمسيتُ أروحَ مُثرٍ خازنـاً ويـداً ... أنـا الغـنيُّ وأمـوالي المواعيـدُ

5- وقال مخاطباً سيف الدولة:

وقفتَ وما في الموتِ شـكٌّ لواقـفٍ ... كأنكَ في جفـنِ الـرَّدى وهـو نـائمُ
تمـرُّ بـكَ الأبطـالُ كلمـى هزيمـةً ... ووجـهكَ وضَّـاحٌ وثغـركَ باسـمُ
نثرتـهمُ فـوقَ الأُحيـدبِ نـثرةً ... كما نُثِرَتْ فوقَ العـروسِ الدَّراهـمُ

6- وقال مخاطباً سيف الدولة:

يـا أعـدلَ النـاس إلا في مُعـاملتي ... فيك الخصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحكمُ

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسبَ الشَّحْمَ فيمنْ شحمُهُ ورمُ

7- وقال عنترة:

ولقد حفظتُ وصاةَ عمّي بالضّحى ... إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ

في حومةِ الحربِ التي لا تشتكي ... غمراتِها الأبطالُ غيرَ تغمغمِ

يدعونَ عنتَرَ والرماحُ كأنَّها ... أشطانُ بئرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ

ولقد شَفَى نفسي وأذهبَ سُقمَهَا ... قيلُ الفوارسِ ويكَ عنترَ أقدمِ

8- قال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون:

أتيتُ جرماً شنيعاً ... وأنتَ للعفوِ أهلُ

فإنْ عفوتَ فمنٌّ ... وإنْ قتلتَ فعدلُ

9- قال ابن الوردي:

لا تقلْ أصْلي وفَصْلي أبداً ... إنَّما أصْلُ الفَتَى ما قَدْ حَصَلْ

10- قال الفرزدق في مدح علي زين العابدين بن الحسين:

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابتِه ... فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حينَ يبْتَسِمُ

◆ **بيّن اضرب الخبر في الأمثلة الآتية:**

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾.

4- قال السري الرّفاء:

إن البناءَ إذا ما انهدَّ جانبُهُ ... لم يأمَنِ الناسُ أن ينهدَّ باقيهِ

5- قال المتنبي:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسْمعتْ كلماتي من به صممُ

أنـامُ مـلءَ جفونـي عـن شَـواردها   ويسـهرُ الخَلْقُ جرَّاهـا ويختصـــم

6- قال السموأل:

تُعَيِّرُنـــا أنّـــا قليـــلٌ عديدنـــا   فقلـــتُ لهـــا إنّ الِكـــرَامَ قليـــلُ

7- وقال:

وإنّ الـذي بيـني وبـين بـــني أبـــي   وبـين بـــني عمّـــي لمنقطـــع جـــدّا

فإن أكلـوا لحمـي وفـرْت لحومـهم   وإن هدموا مجدي بنيـت لهـم مجـدا

8- قال المعرّي:

ألا إنّ أخـــلاقَ الفَتَـــى كَزَمَانِـــهِ   فمنـهنّ بيـضٌ في العيـونِ وسـودُ

9- وقال:

إنّ الشّـــبَابَ والفـــراغَ والجِـــدَة   مَفْسَـــدةٌ للمـــرءِ أيّ مفســـدة

الإنشاء

الإنشاء لغة واصطلاحاً:

الإنشاء في اللغة: الإيجاد والإحداث.

وفي الاصطلاح: ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به.

قسما الإنشاء:

الإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي.

الإنشاء الطلبي:

هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء. وسيكون الحديث عنها بعد قليل.

الإنشاء غير الطلبي:

هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويضم مجموعة من الصيغ، منها: أفعال المدح والذم ويكونان بـ «نعم» و «بئس» وما جرى مجراهما نحو: «حبّذا» «ولا حبّذا»، والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم، وأفعال العقود، وحروف القسم، وصيغتا التعجب، وأفعال الرجاء، وكم الخبرية، وربّ.

وللتفريق بين الإنشاءين الطلبي وغير الطلبي، يلاحظ أن وجود معنى الجملة في الإنشاء الطلبي يتأخر عن وجود لفظه، على عكس الإنشاء غير الطلبي، إذ يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه.

ويميل العلماء إلى إخراج الإنشاء غير الطلبي من حيز البلاغة، لقلة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه، ويرون أن ألوان الإنشاء غير الطلبي يمكن أن تدرج في سلك الأخبار، اللهم إلا أسلوب الرجاء، فهو أقرب إلى الإنشاء الطلبي، ويلحق ببحث التمني. ومن ثم فإنّ الإنشاء غير الطلبي أقرب إلى مباحث النحو من مباحث البلاغة.

صيغ الإنشاء غير الطلبي:

1- أفعال المدح والذم ويكونان بـ «نعم» و «بئس» وما جرى مجراهما نحو حبذا ولا حبذا، والأفعال المحوّلة إلى معنى المدح والذمّ، ومن أمثلة ذلك:

- نعم الخليفة عمر.
- وقوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.
- وقول عبدالله بن قيس الرقيات:

حبذا العيشُ حين قومي جميعٌ   لم تفرّق أمورَها الأهواءُ

- لا حبذا بلدٌ أنت فيها مظلوم
- طاب محمد نفساً.

2- أفعال العقود: هي ألفاظ تستعمل في مواضع البيع والشراء وأمثالهما، نحو: بعت، اشتريت، وهبت، أعتقت، قبلت، وأمثالها، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾.
- وقوله: ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾.
- قبلت منك هذا الزواج.
- أنا الموقع أدناه.. .

3- حروف القسم: وتكون بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.
- وقوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

ومن القسم صيغة لعمر مضافة إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير نحو: لعمر الله أو لعمرك أني أحبّك.

4- صيغتا التعجب: ويكون قياساً بصيغتين هما: ما أفعلَهُ، وأفعِل به، ومن أمثلة ذلك:

- قول المتنبي:

ما أبعدَ العيبَ والنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفي   أنـا الثُّريَّـا وذانِ الشَّـيْبُ والهَـرَمُ

- وقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾.

ويكون سماعاً بصيغ أخرى نحو: ليت شعري، وللّه درك، واللّه أكبر، وسبحان الله..

5- أفعال الرجاء، وتكون بحرف واحد هو (لعلّ) وبثلاثة أفعال هي «عسى، حَرَى، اخلولق»، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

أسِربَ القَطَا هلْ مَنْ يُعيرُ جناحَهُ   لعلّي إلى مَنْ قَدْ هَويتُ أطيرُ

- وقوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾.

6- كم الخبرية ورُبّ:

كم: ويقصد بها الكثرة، ومن أمثلتها قول أبي تمام:

كمْ منزلٍ في الأرضِ يَعْشقه الفتى   وَحَنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

ربّ: وهي حرف جرّ زائد يجر الاسم الواقع بعده لفظاً، ومن أمثلة ذلك:

- قول أبي العلاء المعري:

ربَّ يوم بكيتُ فيه ولمّا   صرتُ في غيره بكيتُ عليهِ

أقسام الإنشاء الطلبي

يضم الإنشاء الطلبي الأنواع الآتية:

الأمر

وهو طلب حصول الفعل من المخاطب. وإذا كان الأمر حقيقياً فإنه يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام، أما إذا تخلف كلاهما أو أحدهما فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي ويكون أمراً بلاغياً.

وللأمر أربع صيغ هي:

1- فعل الأمر، نحو: اذهب، اصنع..

2- المضارع المقترن بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾.

3- اسم فعل الأمر، نحو: حيّ، هلمّ، إليك، أمامك، آمين، صه..

4- المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني:

1- الدعاء، وهو طلب الأدنى من الأعلى، والضعيف من القوي، والمخلوق من الخالق... ومثال ذلك قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

أخَا الجودِ أعْطِ الناسَ ما أنتَ مالك ولا تُعطينَّ الناسَ ما أنا قائلُ

وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾.

2- الالتماس، ويكون بين نظيرين متساويين منزلة وقدراً، فهو طلب الند من الند، والصديق من الصديق. ومثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

يا خليليّ قرِّبا لي ركابي واسْتُرا ذاكُما غداً عَنْ صِحَابي

واقرأا منّي السّلام على الرسـ ـم الذي من منىً بجنب الحصاب

واعلمـــا أنـــني أصبـــت بـــداء   داخـل في الضلـوع دون الحجـاب

3- النصح والإرشاد، ومثال ذلك قول خالد بن صفوان لابنه: «دع من أعمال السرِّ ما لا يصلح لك في العلانية».

4- التهديد،ومثـال ذلـك قولـه تعـالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ ﴾.

5- التمني، ومثال ذلك قول امرئ القيس:

ألا أيُّـها الليـلُ الطويـل ألا انجـلِ   بصبحٍ ومـا الإصبـاحُ منـكَ بـأمْثلِ

وكقول الخنساء:

أعيـــنيَّ جُـــودا ولا تجمـــدا   ألا تبكيـــانِ لصخـــر النَّـــدَى؟

6- التعجيز، ومثالـه قولـه تعـالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾.

7- الإهانة، ومثال ذلك قول جرير في هجاء الراعي النميري وقومه:

فغُـضَّ الطـرفَ إنَّـك مـن نُمـيرٍ   فـلا كَعبـاً بلغـت ولا كِلابـا

وقوله تعالى: ﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾.

8- الإباحة، وتكون حيث يتوهم المخاطب أن الفعل محظور عليه، فيكـون الأمـر إذنـاً لـه بالفعل، ولا حرج عليه في الترك، ومثال ذلك قوله تعالى يخاطب مريم العـذراء عليـها السلام:فكُلي واشْربي وقَرّي عيناً.

وكقولـه تعـالى:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾.

9- التخيير، وهو طلب يقصد به تخيير المخاطب بين أمرين، على أنه لا يحـق لـه أن يـأتي

بالأمرين معاً في وقت واحد، ومثال ذلك قول المتنبي:

عشْ عزيـزاً أو مـتْ وأنـتَ كريـمٌ   بيَـن طعـنِ القَنـا وخَفْـقِ البنـودِ

- وكقول الفقهاء: تزوّج فاطمة أو أختها.

10- التسوية، وتكون في مقام يتوهم فيه أن أحد الشيئين أرجح من الآخر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ ﴾.

11- التعجب، كقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾.

12- الوجوب، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

تطبيقات

◆ دلّ على صيغة الأمر وبيّن المراد منها في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾.

3- قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام يخاطب السحرة: ﴿ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾.

6- قال ابن الوردي:

واهجـرِ الخمـرةَ لا تحفـلْ بهـا   كيفَ يَسْـعَى في جنـون مـن عَقَـلْ

7- قال عنترة:

يـا دارَ عبلـةَ بـالجواءِ تكلّمـي   وعِمي صباحاً دارَ عبلـةَ واسْلَمي

8- قال الفرزدق يخاطب جريراً:

أولئكَ آبائي فَجِئْني بمثلِهم ... إذا جَمَعتنا يا جَريرُ المجامعُ

9- قال كُثير:

أسيئي بِنَا أو أحْسِني لا ملومةً ... لدينا ولا مقليةً إن تقلَّتِ

10- قال بشار:

فعشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ ... مفارقُ ذنبٍ مرةً ومُجَانِبه

11- قال امرؤ القيس:

قِفَا نبكِ منْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسَقْطِ اللّوى بين الدّخولِ فَحَوْمَلِ

12- قال الشاعر:

أرَى العنقاءَ تكْبُرُ أن تُصادا ... فعانِدْ من تُطيقُ لـه عِنَادا

13- قال جرير مخاطباً قوم الفرزدق:

خُذُوا كُحْلا ومجمرةً وعطراً ... فلستمْ يا فرزدق بالرِّجالِ

النهي

هو طلب الكف عن الشيء، وله صيغة واحدة، هي المضارع المقرون بلا الناهية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾.

والنهي نهيان: نهي حقيقي، وهو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾.

ونهي بلاغي، وهو الذي يفتقد إلى شرطي الإعلاء والإلزام.

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني:

1- الدّعاء، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾.

2- الالتماس، ومثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة لمحبوبته:

فَلا تقتليني إن رأيتِ صَبابتي   إليكِ فإني لا يَحِلُّ لكمْ قَتلي

3- النصح والإرشاد،كقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾.

وكقول الشاعر:

ولا تجلسْ إلى أهلِ الدّنايا   فإنَّ خلائقَ السُّفهاءِ تُعْدي

4- التمني، عندما يكون موجهاً إلى ما لا يعقل، ومثال ذلك قول الخنساء:

أعينيَّ جُودا ولا تَجْمُدا   ألا تبكيانِ لصخرِ النّدى

5- التهديد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

6- التحقير، ومثال ذلك قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر:

دع المكارمَ لا ترحَلْ لبُغيتها   واقعدْ فإنّك أنتَ الطاعمُ الكاسي

وكقول الشاعر:

لا تَطْلُبِ المجْدَ إنَّ المجدَ سُلَّمُهُ   صعبٌ وعشْ مُستَريحاً ناعمَ البالِ

7- التيئيس (التعجيز)، ومثال ذلك قول الشاعر:

لا تعرضَنَّ لجعفرٍ مُتشبهاً   بندى يديه فلستَ من أندادِه

8- التوبيخ، ومثال ذلك قول أبي الأسود الدؤلي:

لا تنهَ عن خُلق وتأتيَ مثلَه   عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

تطبيقات

❖ بيّن ما يراد من صيغ النهي الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾.

2- قال تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

6- قال أبو العلاء المعري:

لا تطويا السرَّ عني يومَ نائبةٍ   فإنَّ ذلكَ ذنبٌ غير مُغتفرِ

7- قال المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومِ   فلا تقنعْ بما دونَ النُّجومِ

8- وقال:

إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً   فلا تظننَّ أنَّ الليثَ يبتسمُ

9- وقال:

لا تَطْلُبَـنَّ كريمـاً بعـد رؤيتـهِ إنّ الكـرامَ بأسـخاهُمْ يـداً خُتِمُـوا

10- قال أبو نواس في مدح الأمين:

يا نـاقُ لا تَسْـأمِي أو تبلُغـي ملكـاً تقبيـلُ راحتِـه والركـن سـيان

متى تُحُطّـي إليـه الرحـلَ سـالمةً تستجمعي الخلْـق في تمثـالِ إنسـانِ

الاستفهام

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل. وأدواته هي:

الهمزة، وهل، ومَن، وما، ومتى، وأيان، وأين، وأنّى، وكيف، وكم، وأيّ.

ولكل من هذه الأدوات أحكام ووجوه استعماله... .

أحكام ووجوه استعمال أدوات الاستفهام:

الهمزة:

تستخدم لغرضين هما:

1- أن يطلب بها التصديق، أي إدراك النسبة الواقعة بين الطرفين ثبوتاً أو نفياً، وذلك إذا كان المتكلم يجهل مضمون الجملة، ويتردد في ثبوتها لأمر أو نفيها عن ذلك الأمر، تقول: أخالد بطل؟ فالسائل هنا تصور خالداً وتصور البطل وتصور النسبة بينهما أي نسبة البطولة إلى خالد، والسؤال إنما هو عن وقوع هذه النسبة: هل البطولة المنسوبة إلى خالد متحققة أو غير متحققة؟ فإذا قيل في الجواب: «نعم بطل»، أو قيل: «لا، ليس بطلاً»، حصل التصديق، والجواب في طلب التصديق بنعم أو لا، وحينئذ يمتنع معها ذكر المعادل «أم» فإذا جاءت أم بعدها كانت متصلة بمعنى «بل» كما في قول الشاعر:

ولست أبالي بعد فقدي مالكاً   أموتي ناء أم هو الآن واقعُ؟

2- أن يطلب بها التصور، أي إدراك أحد طرق هذه النسبة أو شيء من المتعلقات، ففي قولنا: أمحمد فاز بالجائزة أم صالح؟

نلاحظ أن السائل يصرف النسبة التي تضمنها الكلام، ولكنه يتردد في شيئين ويطلب تعيين احدهما. وهو يعرف أن الفوز بالجائزة قد وقع فعلاً، وأنه منسوب إلى واحد من اثنين: محمد وصالح، ولذلك فهو لا يطلب معرفة النسبة، لأنها معروفة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسؤول أن يعين له ذلك المفرد ويدله عليه، ومن أجل ذلك يكون جوابه بالتعيين، فيقال له، محمد مثلاً.

ويلاحظ أن المسؤول عنه بالهمزة التي للتصور يلي الهمزة مباشرة سواء:

1- المسند: أمسافر أنت في الصيف أم مقيم؟

2- المسند إليه: أأنت الذي جاء لزيارتي أمس أم غيرك؟

3- المفعول به: أكتاباً قرأت في الآداب أم أكثر من كتاب؟

4- الحال: أماشياً تغدو إلى عملك أم راكباً؟

5- الظرف: أبعد الحصة قابلت علياً؟

6- أو غير ذلك من المتعلقات: أإلى الشعر تميل أم إلى النثر؟

ملحوظة:

إذا كانت الهمزة سابقة لفعل موجب، فالجواب بنعم للإيجاب وبلا للنفي، مثال ذلك: أتحب طلب العلم؟ نعم = إيجاب، لا = نفي.

أما إذا كانت الهمزة سابقة لفعل منفي فالجواب يكون «بلى» إذا أردت الإيجاب، و «نعم» إذا أردت السلب أو النفي، مثال ذلك:

«ألم تأخذ مني خير ما عندي؟»، لو قلت: «بلى»، فأنت تقرّ بذلك، ولو قلت «نعم» فأنت تنكر أن تكون أخذت خير ما عندي.

هل:

يطلب بـ «هل» التصديق فقط، أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها، ويمتنع ذكر المعادل، ويكون استفهامها إقرارياً أو إنكارياً، مثال ذلك: هل حافظ الأبناء على مجد آبائهم؟ فالجواب يكون بـ «نعم» أو «لا».

وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾.

ويلاحظ أن باقي أدوات الاستفهام يطلب بها التصور فقط، أي إدراك المفرد وتعيينه، كما هي الحال في الوجه الثاني من استعمال الهمزة.

مَنْ:

يطلب بها تعيين العقلاء، نحو: من بنى دمشق؟

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾، أي أملك هو أم بشر أم جني؟ منكراً لأن يكون لهما ربّ سواه، لادعائه الربوبية لنفسه.

ما:

للاستفهام عن غير العقلاء، وهي إما أن يطلب بها:

أ- شرح الاسم، أي بيان معناه اللغوي أو الاصطلاحي مثل: ما العسجد؟ والجواب هو الذهب.

ب- حقيقة المسمى، أي شرح ماهيته، مثل: ما الحسد؟ والجواب هو تمني زوال نعمة المحسود.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾، أي: أيّ أجناس الخطوب خطبكم؟

وقوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾، أي: أيّ من في الوجود تؤثرونه للعبادة؟

كم:

ويسأل بها عن العدد المبهم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾.

كيف:

ويسأل بها عن الحال، كقولك: كيف حضرت؟ والجواب حضرت ماشياً مثلاً، وكيف أنت؟ والجواب: بخير.

أين:

ويسأل بها عن المكان، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾.

أنّى:

وتأتي تارة بمعنى «من أين»، فيسأل بها عن المكان، كقوله تعالى:﴿ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾، أي من أين لك هذا الرزق؟

وتأتي تارة بمعنى «متى»، فيسأل بها عن الزمان، ومثال ذلك: أنّى تسافر؟ أي متى.

متى:

ويسأل بها عن الزمان ماضياً، أو مسقبلاً، مثل: متى جئت؟ متى تسافر؟

أيّان:

ويسأل بها عن الزمان المستقبل خاصة، وترد كثيراً في مواضع تعظيم المسؤول عنه، كقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾.

أيّ:

تستعمل في تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، كقوله تعالى:﴿ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾، وتستمد دلالتها مما تضاف إليه، فتفيد المعنى الذي تفيده أدوات الاستفهام من السؤال عن العاقل، وغير العاقل، والزمان، والمكان، والحال، والعدد.

وقوله تعالى: ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾، اي: انحن أم أصحاب محمد ﷺ؟

وقوله: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾، اي: الإنسي أم الجني؟

خروج الاستفهام إلى المعنى المجازي:

قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معان أخرى مجازية، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وأشهر هذه المعاني:

1- الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ أي انتهوا.

ومن الاستفهام الذي خرج إلى معنى الأمر وورد كثيراً في القرآن الكريم صيغة «أرأيت» بمعنى أخبرني.

2- النهي، كقوله تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾، أي لا تخشونهم.

3- النفي، كقول المتنبي:

ومَـن لم يَعْشقِ الدُّنيا قديمـاً؟ ولكـنْ لا سـبيلَ إلى الوِصـالِ

أي لا أحد لم يعشق الدنيا قديماً.

وكقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ؟﴾، أي ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان.

4- التشويق، كقوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ؟﴾

5- التعجب، كقول الرّصافي:

فما بـالكُمْ لا تُحسنون وواجـبٌ على الابن للأمّ الكريمـةِ إحسـانُ؟

وكقوله تعالى: ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ؟ ﴾.

وكقول المتنبي:

أمعفّـرَ اللَّيْـثِ الهِزَبْـرِ بِسَـوْطِهِ لمن ادَّخَرْتَ الصَّارمَ المَصْقُـولا؟

يعجب المتنبي مما رآه؛ فإذا كان بإمكان بدر بن عمار التغلب على الأسد بسوطه، فمتى يستخدم سيفه؟ فلا لزوم لاستخدام السيف.

6- التمني، كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ؟﴾.

وكقول الشاعر:

أسِرْبَ القَطَا هلْ من يعيرُ جناحَـهُ لَعَلّي إلى مـن قَـدْ هويـتُ أطِـيرُ

فالشاعر يتمنى أن يكون له جناحان كالطير، ليصل إلى محبوبته.

7- التهكم، كقول المتنبي في الدمستق:

أفي كـل يـومٍ ذا الدمسـتق مقـدمٌ قفاهُ علـى الأقـدامِ للوجهِ لائـمُ؟

8- التحقير، كقول المتنبي:

من أيةِ الطرقِ يأتي مثلكَ الكرمُ   أينَ المحاجمُ يا كافورُ والجلمُ؟

والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير.

9- التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بأمر يعرفه، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾، فالله – سبحانه وتعالى- حين سأل الملائكة: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، أي أنهم أقروا واعترفوا بذلك.

10- التسوية: كقوله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. أي أن إنذار الرسول ﷺ وعدمه سواء عند هؤلاء.

11- الاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ؟ ﴾.

12- الاستبعاد: وهو اعتداد الشيء بعيداً حساً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ؟﴾، أي لا يمكن أن يذكروا أو يعتبروا.

13- التعظيم: كقول المتنبي في الرثاء:

مَنْ للمحافلِ والجحافلِ والسُّرى   فقدتْ بفقْدِكَ نيّراً لا يطلُعُ

وكقول طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنّني   عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلّدِ

14- الإنكار، ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة، ويكون الاستفهام الإنكاري على أوجه منها:

أ- إنكار للتكذيب في الماضي، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ؟﴾.

ب- إنكار للتوبيخ على أمر وقع في الماضي، كقوله تعالى:﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ؟﴾.

ج- إنكار للتكذيب في الحال أو المستقبل بمعنى لا يكون، كقول المتنبي:

أيقتلُني والمشرفيُّ مضاجعي   ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

د- إنكار الوقوع في الإيجاب، كقوله تعالى: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾.

15- التوبيخ: كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

16- التحسر: كقول شمس الدين الكوفي في نكبة بغداد:

مَا للمنازلِ؟ أصبحتْ لا أهلُها أهلي ولا جيرانُها جِيراني

17- الاستئناس: كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ؟ ﴾.

18- التهويل: كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ؟﴾.

19- التنبيه على الخطأ، أو الباطل، أو الضلال:

كقوله تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ؟ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ؟ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟﴾.

20- التكثير: كقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ؟ ﴾.

21- الوعيد والتخويف، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ؟ ﴾.

تطبيقات

❖ ما المعاني التي استعمل فيها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ؟﴾.

2- قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ؟﴾.

3- قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ؟﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

6- قـال تعـالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾.

7- قال أبو تمام:

مـا للخطـوبِ طغـتْ علـيَّ كأنَّـها جـهلتْ بـأنَّ نـداكَ بالمرصـادِ؟

8- قال أبو نواس:

عجبـتُ مـن نعتـها وناعِتـها وأيّ نعـتٍ يكـونُ في الجمَـلِ؟

9- قال المتنبي:

حتَّامَ نحنُ نساري النجمَ في الظُّلَـمِ ومـا سـراه علـى خـفٍ ولا قـدمِ؟

10- وقال:

ومـا قَتَـلَ الأحـرار كـالعفوِ عنـهم ومَنْ لكَ بالحرِّ الذي يحفظُ العهدا؟

11- وقال :

ولسـتُ أبـالي بعـد إدراكـيَ العُـلا أكـانَ تراثاً مـا تنـاولتُ أم كَسـبا؟

12- قال جرير:

ألسـتم خـيرَ مـن ركِـبَ المطايـا وأنـدى العـالمينَ بطـونَ راحِ؟

13- قال شوقي:

إلامَ الخلـفُ بينكـمُ إلامـا وهـذي الضجةُ الكُبرى عَلامـا؟

14- قال الأعشى:

ألمْ تغتمـضْ عينـاكَ ليلـةَ أرمـدَا وعـادكَ مـا عـادَ السَّـليمَ المُسَـهَّدا

15- قال أبو العلاء المعري:

صـاحِ هـذي قبورُنـا تمـلأ الرحـ ـبَ فأينَ القبـور مـن عـهدِ عـادِ ؟

التّمني

هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، لاستحالة الحصول عليه، أو بعد مناله، ومثال ذلك قول الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرهُ بما فَعلَ المشيبُ

وقوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾.

أدوات التمني:

للتمني أداة واحدة أصلية هي «ليت»، وثلاث أدوات فرعية هي: «هل، لو، لعلّ»، ومثال على ذلك:

قول العجّاج: يا ليتَ أيّامَ الصِّبا رواجعا

رواجعاً: قد تكون خبر ليت لأنها قد تنصب اسمها وخبرها ، أو حال، والتقدير: يعدن رواجعا.

وقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾، أي ليت.

وقول جرير:

ولّى الشّبابُ حميدةً أيامهُ لو كان ذلك يشترى أو يُرجَع

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾.

ولاستعمال الأدوات الفرعية في التمني ينصب الفعل المضارع الواقع في جوابها عند اقترانه بالفاء وجوباً.

خروج التمني عن معناه الأصلي:

قد يخرج التمني عن معناه الأصلي إلى معان أخرى مجازية، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وهي:

1- الاستبعاد، وفيه يكون التمني ممكن الوقوع، ولكن غير مطموع في حصوله، ومثاله قول الشاعر:

يا ليت من يمنع المعروفَ يمنعُهُ   حتى يذوق رجالٌ غِبَّ ما صنعوا

2- الرجاء، وفيه يكون التمني مترقب الوقوع، مطموعاً في حصوله، كقوله تعالى:﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾.

إذا كان الأمر المحبوب ما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبر فيه بلعل أو عسى، وقد تستعمل فيه ليت لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله.

تطبيقات

❖ **بيّن المعاني المستفادة من صيغ التمني الآتية:**

1- قال صريع الغواني:

واهاً لأيامِ الصِّبا وزمانِه   لو كان أسعفَ بالمقامِ قليلا

2- قال المتنبي:

فليتَ هوى الأحبةِ كانَ عدلاً   فحمّل كل قلبٍ ما أطاقا

3- قال ابن الرومي في رمضان:

فليتَ الليلَ فيه كان شهراً   ومرَّ نهارُه مرَّ السحابِ

4- قال أبو فراس:

أقولُ وقدْ ناحتْ بقربي حمامةٌ   أيا جارتا لو تشعُرينَ بحالي

5- قال المتنبي:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ   بما مضَى؟ أم لأمرٍ فيك تجديدُ

أمّا الأحبّةُ فالبيداءُ دونهم   فليتَ دونكَ بيداً دونها بيدُ

6- قال أبو فراس الحمداني مخاطباً سيف الدولة:

فليتــك تحلــو والحيــاةُ مريــرةٌ وليتـك ترضَـى والأنـامُ غِضــابُ

وليــتَ الـذي بيـني وبينـكَ عــامرٌ وبيــني وبــين العــالمينَ خــرابُ

7- قال تعالى: ﴿قَالَ سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

النّداء

هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء يحلّ الفعل المضارع «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء محلّه. وقد يحذف حرف النداء إذا فهم من الكلام.

أدوات النداء:

أدوات النداء ثمانٍ هي: الهمزة، و أي، ويا، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا .

اختصاص حروف النداء:

تقسم حروف النداء حسب اختصاصها إلى قسمين:

1- قسم ينادى به القريب، وهو «الهمزة» و «أي».

2- قسم ينادى به البعيد، وهو بقية حروف النداء.

تنزيل المنادى البعيد منزلة المنادى القريب:

الأصل في استعمال الهمزة وأي أن تكونا لنداء القريب نحو:

أمحمد، افتح الباب.

أي فاطمة، أعطيني الصورة.

هذا هو الأصل في استعمالهما، لكنه قد يخالف الأصل وتستعملان في نداء البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في القلب لا يغيب عنه أصلاً، ومثال ذلك:

أسُكانَ نُعمانَ الأراكِ تيقّنُوا بأنكُم في ربعِ قلبي سُكّانُ

أيْ بلادي في القلبِ مثواكِ مَهْما طالَ منفايَ عنْ ثراكِ الحبيبِ

تنزيل القريب منزلة البعيد:

وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة وأي لأغراض بلاغية يحددها السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه الأغراض:

1- الإشارة إلى علو منزلة المنادى، ومن ذلك قول أبي نواس:

يـا ربّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبيَ كـثرةً فلقـد علمـتُ بـأنّ عفـوكَ أعظـمُ

2- الإشارة إلى انحطاط منزلة المنادى، كقول الفرزدق:

أولئـك آبـائي فجئـني بمثلـهم إذا جمعتنـا يـا جريـرُ المَجَـامعُ

3- الإشارة إلى غفلة السامع وشروده، ومثال ذلك قول أبي العتاهية:

أيـا مـن عـاشَ في الدُّنيـا غريبـاً وأمضَـى العُمْـرَ في قيـلٍ وقـالِ

خروج النداء عن معناه الأصلي:

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي «وهو طلب الإقبال» إلى معان أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، من أهمها:

1- الإغراء: وهو الحث على التزام الشيء والزيادة فيه، ومثاله قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

يـا أعـدلَ النّـاسِ إلاّ في معـاملتي فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ

أعيذهـا نظـراتٍ منـك صادقـةً أن تحسب الشَّحمَ فيمنْ شحمهُ ورمُ

2- التحسّر، كقوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة: ﴿ يَـٰلَيۡتَنِى كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ .

3- التعجب، كقول طرفة:

يـا لـكِ مـن قُـبرة بمعمـر خلا لـكِ الجوُّ فبيضي واصفْري

4- الندبة، كقول المتنبي يرثي جدته:

فـوا أسـفا أن لا أكـب مقبـلاً لرأسكِ والصدر اللّذي مُلئا حزما!

5- الزجر، كقول الشاعر:

يا قلبُ ويحكَ ما سمعـتَ لناصحٍ لمـا ارتميـتَ ولا اتقيـتَ ملامـا

6- الاستغاثة، كقول الشاعر:

يـا لَقومـي ويالأمثـال قومـي لأنـاس عتوهـم في ازديـادِ

7- التدله والتضجر، ويكثر هذا في نداء الأطلال والمنازل والديار والمطايا ، كقول الشاعر:

أيا منزلَ سَلمى أين سلماك   من أجلِ هذا بكَيناها بكيناك

8- الاختصاص: هو ذكر اسم ظاهرٍ بعد ضميرٍ لأجل بيانه، مثل قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾.

9- التحقير: كقولك لمن أغضبك: يا ألأم الناس.

10- التحبيب: كقولك لمن تحبه وتعطف عليه: يا حبيبي..

تطبيقات

❖ **وضّح النداء، وبين المعاني المجازية التي خرج إليها في الأمثلة الآتية:**

1- قال شوقي يرثي عمر المختار:

يا أيُّها السيفُ المجردُ بالفلا   يكسُو السيوفَ على الزّمانِ مضاء

2- قال امرؤ القيس:

فيا لك من ليلٍ كأن نُجومه   بكلّ مغار الفتل شُدَّتْ بيذْبُلِ

3- قال أبو العلاء:

فواعجباً كمْ يدَّعي الفَضْلَ ناقصٌ   وواأسفاً كم يُظْهِرُ النَقْصَ فَاضِلُ

4- قال الحارث يخاطب عمرو بن كلثوم:

أيها الناطقُ المرقّش عنا   عند عمرو وهلْ لذاكَ بقاءُ

5- قال ابن الفارض:

يا قلبُ أنتَ وَعدتني في حُبِّهم   صبراً فحاذِرْ أن تضيقَ وتَضْجرا

6- قال أبو فراس الحمداني:

يا حسرةً ما أكادُ أحمِلُها   آخرُها مزعجٌ وأوّلُها

7- قال الشاعر يرثي معن بن زائدة:

أيا قبرَ مَعْـنٍ كيـف واريـتَ جـودَهُ   وقد كان منـه الـبرّ والبحـرُ مُتْرَعَـا

8- قال حافظ إبراهيم في الرثاء:

يـا درةً نُزِعَـتْ مـن تـاجِ والدِهـا   فـأصبحتْ حلـةً في تـاجِ رضـوانِ

9- قال الشاعر:

فواكبـدي ممـا آلاقـي مـن الهـوى   إذا حـنّ إلـفٌ أو تـألق بـارقُ

10- قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾.

11- نحن العلماء ورثة الأنبياء.

12- يا للرجال ليوم الثأر.

تطبيقات عامة على الإنشاء الطلبي

❖ **بيّن أنواع الإنشاء الطلبي، والمعاني البلاغية التي يفيدها كل نوع في الأمثلة الآتية:**

1- قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ؟﴾.

5- قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟﴾.

6- قال ابن الوردي:

لا تقلْ قد ذهبتْ أربابهُ   كلُّ من سارَ على الدربِ وَصَلْ

7- قال المتنبي في مدح سيف الدولة:

فلا تُبلغاهُ ما أقولُ فإنّه   شجاعٌ متى يُذكر له الطعنُ يشتق

8- قال النابغة مخاطباً النعمان بن المنذر:

فلا تتركني بالوعيدِ كأنني   إلى النّاسِ مطليٌّ به القارُ أجرب

9- قال المتنبي:

علّ الأميرَ يرى ذُلّي فيشفع لي   إلى التي تركتني في الهوى مَثلا

10- قال شوقي:

مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسألهُ   هلْ في المصلّى أو المحرابِ مروانُ؟

11- قال الفرزدق:

فواعجباً حتى كليب تسبني   كأن أباها نهشل أو مجاشع

الإسناد

يبحث علم المعاني في كل تركيب من لفظتين، يسمى الأول «مسنداً»، والثاني «مسنداً إليه»، وأما صلة النسبة التي بينهما فتسمى «إسناداً».

فمثلاً في قولنا: «محمد مجتهد»، فإن المسند إليه: محمد، ومجتهد: مسند،وعملية الحكم بالاجتهاد: الإسناد.

مواضع المسند:

ينشأ المسند في الجملة في الحالات الآتية:

1- الفعل التام، نحو «جاء» في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾.

2- اسم الفعل، نحو «إيَّاك» في قول الشاعر:

رماهُ في البحرِ مكتوفاً وقال لـه ... إيـاكَ إيـاكَ أن تبتـلَّ بالمـاء

3- المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر، كقوله تعالى:﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾.

4- خبر المبتدأ، نحو «نعمة» في قولك: العقل نعمة.

5- خبر الأفعال الناقصة، نحو «جميلاً» في قولك: كان الجو جميلاً.

6- خبر الأحرف المشبهة بالفعل، نحو «واقع» في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

7- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو «صبراً» في قول قطري بن الفجاءة:

فَصَبْرَاً في مَجَالِ الموت صبراً ... فما نيلُ الخلودِ بمُسْتَطاعِ

8- خبر الأحرف التي تعمل عمل ليس، نحو «باقيا» في قول قطري بن الفجاءة:

تعزَّ فلا شيء عَلَى الأرضِ باقيا ... ولا قَدَرٌ مما قَضَى اللَّـهُ واقيا

مواضع المسند إليه:

ينشأ المسند إليه في الجملة في الأحوال الآتية:

1- الفاعل، نحو «الرجل» في قولك : جاء الرجل.

2- نائب الفاعل، نحو «الأمر» و «الأمور» في قوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

3- المبتدأ المخبر عنه، نحو «المؤمنون» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

4- اسم الأحرف المشبهة بالفعل، نحو لفظ الجلالة «الله» في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

5- اسم الأفعال الناقصة، نحو «الجو» في قولك: كان الجوّ جميلاً.

6- اسم الأحرف التي تعمل عمل ليس، نحو «عمل» في قولك: لا عملٌ معيباً للرجل.

7- اسم لا النافية للجنس، نحو «رجل» في قولك: لا رجلَ في الدّار.

تعريف المسند إليه:

إنّ من حقّ المسند إليه أن يكون معرفة، لأن المحكوم عليه يجب أن يكون معلوماً وإلا لما كان الحكم مفيداً.

والمقصود بالتعريف هنا ليس عكس التنكير (النكرة) وإنما جعل المسند إليه معلوماً للسامع، معيّناً ومحدداً له.

ويكون التعريف بإحدى الوسائل الآتية:

1- التعريف باسم الموصول، كقول تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

2- التعريف بالإشارة، كقول الفرزدق يهجو جريراً ويفتخر عليه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

3- التعريف بأل التعريف، كقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾، حيث عرف كلمة رسول بأل التعريف، بدل قوله رسولنا.

4- التعريف بالإضافة، كقول جعفر بن علبة:

هواي مع الركب اليمانين مُصعدُ جنيبٌ وجثماني بمكة موثقُ

أي: إن من أهواه سائر مع الركب اليماني، وأنا بمكة موثق محبوس فمقصود الشاعر بكلمة «هواي» هو: الذي أهواه.

5- التعريف بالضمير، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ ﴾. والمقصود الرجوع أزكى لكم، حيث استعمل الضمير «هو» مكان المصدر المؤول «الرجوع».

6- التعريف بالعلمية، كقوله تعالى:﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾.

ومن ذلك: حمزة سيد الشهداء، وأسد الله.

والمقصود هنا: الاسم، اللقب (الفاروق) مثلاً، والكنية (أبو لهب).

7- التعريف بالاستغراق، ومثال ذلك قول البحتري:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني   فمضيتُ، ثُمّت قلت لا يعنيني

استعمل البحتري كلمة اللئيم للدلالة على كل لئيم، أينما وجد. وبهذا يكون استغرق النوع كله في كل زمان ومكان.

8- التعريف بالنداء، ومثال ذلك: يا عالماً بحالي عليك اتكالي.

حيث ناديت عالم الأحوال «الله» بأداة النداء.

حذف المسند:

إنّ ترك المسند عند قيام القرينة عليه يحقّق إيجاز العبارة، وصونها من التمدد، وإثارة الفكر الذي يأخذ في تعرف جزء المعنى الذي لم يذكر لفظ دالّ عليه، ويحذف المسند لأغراض كثيرة منها:

1- أن تدلّ عليه قرينة ويتعلق بحذفه غرض مما جاء في حذف المسند إليه، والقرينة إما مذكورة كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، أي خلقهن الله.

وإما مقدرة، كقوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ ...﴾، أي: يسبحهُ رجال، كأنه قيل: من يسبحه؟

2- الاحتراز عن العبث: كقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾، اي:

ورسوله بريء منهم أيضاً.

3- ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الحارث بن حلزة:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفُ

أي نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

4- الاستهانة به، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾، فـ«فمن» مبتدأ، والخبر محذوف تقديره «كمن ليس لذلك».

5- اتباع الاستعمال الوارد، كقول الأعشى:

إنّ محلاً وإن مرتحلاً وإنّ في السّفر، إذ قضوا مَهَلا

أي إنّ لنا محلاً في الدنيا، وإنّ لنا مرتحلاً عنها في الآخرة، حذف المسند الذي هو خبر «إنّ» اتباعاً للاستعمال الوارد على حذف الخبر عند تكرار إنّ وتعدد اسمها.

حذف المسند إليه:

المسند إليه هو الأصل، لذلك وجب ذكره في الجملة، إلاّ أنه قد يحذف خلافاً للأصل، وذلك لأغراض عديدة منها:

1- الاحتراز عن العبث، كقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾، أي هم في سدر مخضود.

- وقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾، أي عمله لنفسه وإساءته عليها.

- وقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾، أي: قالوا القرآن أساطير الأولين.

ففي الآية الأولى وقع المسند إليه في جواب الاستفهام، وفي الآية الثانية وقع بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط، وفي الآية الثالثة وقع بعد القول.

2- ضيق المقام عن ذكره بسبب شعر أو ضجر أو خوف فوات فرصة، ومثال ذلك قول الشاعر:

على أنني راضٍ بأنْ أحمِلَ الهَوَى   وأخرجَ منهُ لا عليَّ ولا ليا

أي لا عليّ شيء ولا لي شيء، فحذف المسند إليه حتى لا يختل الوزن.

ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

قالَ لي كيفَ أنتَ قلتُ عليلُ   سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويلُ

أي: أنا عليل، وحالي سهر دائم وحزن طويل.

وكقولك لصديقك: حريق، أي: هذا حريق.

3- إجراء الكلام على الاستعمال الوارد بترك المسند إليه، كما في المثل: «ربّ رمية من غير رام»، أي: هذه رمية.

4- المحافظة على السجع، كقولهم: «من طابت سريرته، حمدت سيرته»، فلو قيل: حمد الناس سريرته لتغير السجع.

5- تكثير الفائدة، نحو قوله تعالى:﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾، أي فأمري صبرٌ جميل.

6- تعيّنه بالعهدية، نحو قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾، أي: السفينة.

7- ظهوره بدلالة القرينة، نحو قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾، أي: أنا عجوز عقيم.

8- كون المسند إليه معلوماً حقيقة، نحو قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾، ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾، والقصد: الله يحيي ويميت.

9- إضمار اسم المسند إليه خوفاً عليه، نحو قولك: ضُرب سعيد، والقصد ضرب محمد سعيداً.

10- الإيجاز والاختصار: نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾، فقد حذف الفاعل هنا، ولم يقل بما عاقبكم الناس به.

11- الخوف من الفاعل، كقولنا: قتل فلان، إذا كنا نعرف القاتل لكنا نخاف على أنفسنا منه.

ومرجع ذلك إلى الذوق السليم، فهو الذي يوحي بما في القول من بلاغة.

12- عدم الإفادة من ذكره، كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ ﴾، لم يقل إذا قال لكم قائل لعدم جدوى ذلك.

13- العلم بالفاعل، كقوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾، أي عرضهم الله عليه صفا.

14- اتباع الاستعمال الوارد على ترك نظائره لقصد إنشاء المدح أو الذم أو الترحم، ومنه قولهم في المدح: الحمد لله أهل الحمد، برفع أهل أي: هو أهل الحمد.

وفي الذم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيمُ، برفع الرجيم أي: هو الرجيم.

وفي الترحم: اللهم ارحم عبدك المسكينُ، برفع المسكين أي: هو المسكين.

وكثيراً ما يحذفون المبتدأ بعد أن يذكروا الديار والمنازل، كقول حسان بن ثابت:

عفت ذات الأصابع فالجواءُ ... إلى عذراء منزلها خلاءُ

ديارٌ من بني الحسحاس قفرٌ ... تعفيها الرواسيُ والسماء

أي هي ديار.

حذف المفعول:

إذا أسند الفعل المتعدي إلى فاعله، ولم يذكر له مفعول، لا بدّ فيه من داع لهذا الحذف، وأهم هذه الدواعي:

1- البيان بعد الإبهام، كما في فعلي المشيئة والإرادة ونحوهما، إذا وقعا شرطاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

ويقدر المفعول مصدر فعل جواب.

وإذا كان تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً، لم يحسن حذف المفعول، إذ لا يدلّ عليه الجواب حينئذ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾، إذ من الغرابة أن يتخذ الله تعالى ولداً.

2- دفع توهم غير المراد، ومثال ذلك قول البحتري يمدح أبا الصقر الشيباني:

وكم ذدتَ عني من تحامل حادثٍ ... وسورةِ أيام حززن إلى العظم

يريد القول: لقد ذدت عني كثيراً، ودفعت عني شدة أيام قاسية بلغت الشدة فيها مبلغاً، والشاهد في قوله: «حززن إلى العظم»، أي: حززن اللحم، وهذه كناية عما لاقاه من كرب، ولكنه حذف المفعول، وقال: حززن إلى العظم، ولو أنه ذكر المفعول، لتوهم الذي حزّ بعض اللحم، وبقي لبعضه أثر، ولكنه أراد أن ينفي هذا التوهم، ويبين أن الشدة بلغت مبلغاً ليس بعده مبلغ.

3- الإيجاز، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾، أي من يهده ومن يضلله.

4- المحافظة على موسيقى الكلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾، أي ما قلاك بمعنى ما كرهك.

5- التعميم، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾، أي: يدعو جميع عباده.

وهناك حالات أخرى يحذف فيها المفعول مثل استهجان ذكره، وقصد إخفائه عن الآخرين خوفاً عليه، والتمكن من إنكاره إن مست الحاجة إليه، وإيهام صونه عن اللسان لسمو منزلته.

تطبيقات

❖ عيّن الطريقة التي عرف بها المسند إليه فيما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾.

4- قال عبدة بن الطبيب:

إنَّ الذينَ ترونَهُمْ إخوانكم ... يشفي غليلَ صدورهم أن تصرعُوا

5- قال ابن الرومي:

هذا أبو الصَّقْرِ فرداً في محاسنهِ ... من نسلِ شيبانَ بينَ الضّالِ والسَّلم

6- قال الحارث الذهلي:

قومــي هــمُ قتلــوا أميــمَ أخــي   فــإذا رميــتُ يُصيبــني سَــهْمي

7- قال كعب بن زهير:

بــانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبــولُ   متيــمٌ إثرهــا لم يُفْــدَ مَكبُــولُ

❖ وضّح المحذوف فيما يلي وبين نوعه والغرض من حذفه:

1- قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾

4- قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾.

6- قال البحتري:

لــو شئتَ لم تفسد سماحة حــاتمٍ   كرمــاً ولم تــهدمْ مــآثرَ خــالدِ

7- قال صابىء بن الحارث:

ومــنْ يــكُ أمْسَى بالمدينةِ رحلُــهُ   فــإنّي وقيــارٌ بــها لغريــبُ

8- قال الشريف الرضي:

عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكُرُهــا   لــولا الرقيــبُ لقــد بلّغتُــها فــاكِ

9- قال الفرزدق:

يُغضِي حيــاءً ويُغضَى مــن مهابتــهِ   فــلا يكلّــمُ إلا حــينَ يَبْتَسِــمُ

التقديم والتأخير

التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى.

واختلف البلاغيون في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه. ومنهم من رأى أنه ليس من المجاز؛ لأن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع له.

أحوال تقديم المعاني:

للمعاني في التقديم خمسة أحوال، وهذه المعاني ثابتة معروفة عقلاً، ولذلك لا يقع فيها تفاوت أو تفنن في التعبير، وهي:

1- تقدم العلة على معلولها عند القائلين بها، كتقدم الكون على الكائنية والعلم على العالمية.

2- التقدم بالذات، كتقدم الواحد على الاثنين.

3- التقدم بالشرف، كتقدم الأنبياء على الأتباع.

4- التقدم بالمكان، كتقدم الإمام على المأموم.

5- التقدم بالزمان، كتقدم الأب على الابن.

أنواع التقديم وأدواته وأغراضه:

تقديم المسند:

يقدم المسند على المسند إليه، والمسند -كما هو معروف - حقه التأخير، ولكنه يقدم إذا اقتضى الحال تقديمه، فمن مقتضيات تقديم المسند:

1- تخصيصه بالمسند إليه، كقوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. فتقديم المسند قصد منه التخصيص، فإذا قلت: لله الحمد، فمعنى هذا أنه لله وحده، لا لأحد غيره.

2- التنبيه على الخبرية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾. والخبر أقوى من الصفة في دلالته؛ لأن الخبر ركن في الجملة، وليس كذلك الصفة، فإذا جعلنا الشيء خبراً، فهو أدل على شأنه وخطره، أكثر من كونه صفة من الصفات.

3- التشويق للمتأخر إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره، كقول محمد بن وهيب يمدح المعتصم:

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

إذ الأصل: الشمس والقمر وأبو إسحق ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها...

4- التفاؤل، كقول الشاعر:

سَعِدَتْ بغُرَّةِ وجهكَ الأيامُ وتزيَّنتْ بلقائِكَ الأعوامُ

5- إفادة قصر المسند إليه على المسند، كقوله تعالى:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

6- المساءة نكاية بالمخاطب، كقول المتني:

ومِنْ نكَدِ الدُّنيا على الحرِّان يرى عَدُوّاً له ما من صَدَاقته بُدُّ

تقديم المسند إليه:

يقدم المسند إليه لأغراض بلاغية أهمها:

1- أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر.

2- أن يتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، كقول المعري:

والذي حَارَتِ البريةُ فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جمادِ

فالمسند إليه: الاسم المحصول وهو (الذي) ، والجملةالتي بعده صلة له (حارت البرية فيه)، والموصول وصلته متلازمان، والمخاطب يتشوق لمعرفة المسند، ذلك لأن في المسند إليه غرابة، ما الذي حارت البرية فيه ؟ فيجيء الخبر متأخراً: «حيوان مستحدث من جماد».

3- أن يقصد تعجيل المسرَّة إن كان في ذكر المسند إليه تفاؤل، مثل: «العفو عنك صدر به الأمر».

4- أن يقصد تعجيل المساءة إن كان في ذكر المسند إليه ما يتطير به مثل: «السَّفاح في دار صديقك».

5- إفادة العموم، مثل: «كل إنسان لم يقم» ، فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس.

6- إيهام التلذذ بذكره، كقول الشاعر:

باللّهِ يا ظبيات القاعِ قُلن لنا ... ليلايَ منكُنَّ أم ليلى من البشرِ؟

7- تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي، كقول المتنبي:

وما أنا أسقَمتُ جسمي به ... ولا أنا أضرمتُ في القلب نارا

8- التبرك، مثال ذلك: اسم الله اهتديت به.

9- تقوية الحكم وتقريره، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾.

ومما يدخل في هذا الحكم تقديم «مثل» و «غير» ، كقول الشاعر:

مِثلك يثني المزنَ عن صوبهِ ... ويستردُّ الدمعَ عن غَرْبِهِ

وقول المتنبي:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ ... إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا

10- كون المتقدم محطّ الإنكار والغرابة، كقول الشاعر:

أبعد المشيبِ المنقضي في الذّوائبِ ... تُحاولُ وصلَ الغانياتِ الكواعبِ؟

تقديم المفعول على الفعل والفاعل:

الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول، وقد يعكس الأمر فيتقدم المعمول على العامل لاعتبارات عديدة من أهمها:

1- إرادة التخصيص، والتخصيص ملازم للتقديم أبداً، كما في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، أي نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك، ولا نستعين به.

2- الحفاظ على موسيقى الكلام، كقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾، قدم المفعول «الجحيم» على الفعل «صلوه» مراعاة للفاصلة.

3- كون المعمول محط الإنكار، كقول الشاعر:

أكــل امــرئ تحســبين امــرأً   ونــار توقــدُ بــالليل نــارا؟

فهو يريد أن ينكر عليها أن كل الناس «في حسبانها» سواسية، لا فرق بين كامل وناقص، وأن كل نار في زعمها نار كرم وسماحة.

4- التلذذ، مثال ذلك: الحبيبَ قابلتُ.

5- التبّرك، مثال ذلك: قرآناً كريماً تلوتُ.

6- لعظمة الاهتمام به، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، فبدأ بالصلاة لأنها أهم.

تقديم متعلقات الفعل الأخرى:

أ- الجار والمجرور، مثال ذلك: في المسجد صليت.

ب- الظرف، مثال ذلك: يوم الجمعة قدمت.

ج- الحال، نحو: مررت راكباً بمحمد.

وهنا يكون التقديم لواحد من الأمور الآتية:

1- إما لأمر معنوي، كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾، فلو أخّر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع، لأنه صلة لفعله.

2- وإما لأمر لفظي، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

3- وإما للأهمية، نحو: قتل الخارجيَّ فلانٌ.

4- أو لإخلال في تأخيره، نحو: مررت راكباً بمحمد، فلو أخر الحال لتوهم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل ،والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلاّ لأغراض.

5- أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه، والهمة معقودة به، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾، بتقديم الجار والمجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل.

أغراض التقديم والتأخير الأخرى:

هناك أنواع كثيرة من التقديم لا ترجع إلى المسند إليه والمسند ولا إلى متعلقات الفعل، وإنما ترجع إلى أمور كثيرة، بحثها الزركشي في كتاب «البرهان في علوم القرآن»، ورأى أن أسباب التقديم والتأخير كثيرة (عدد منها خمسة وعشرين لوناً) منها (عدا التي ذكرت سابقاً):

1- السبق، كقوله تعالى: ﴿ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ﴾.

2- العلة والسببية، كقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾؛ لأن العبادة سبب حصول الإعانة.

3- المرتبة، كقوله تعالى: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

4- التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾.

5- الغلبة والكثرة ، كقوله تعالى:﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . . ﴾.

وقد بحث عبد القاهر الجرجاني قضية التقديم والتأخير بشكل رائع، وذلك عندما تحدث عن نظريته في «النظم».

تطبيقات

• ما نوع المقدّم، وما فائدة التقديم في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

5- قال المعري:

وكالنـــار الحيـــاة فمـــنْ رمـــادٍ   أواخرُهـــا وأوَّلُـــها دخــــانُ

6- قال حسان بن ثابت يمدح الرسول ﷺ:

لـــه همـــمٌ لا منتـــهى لكبارهـــا   وهمَّته الصُّغْرى أجـلُّ مـن الدَّهْـرِ

لـهُ راحـةٌ لـو أنَّ معشـارَ جودِهـا   على البرِّ كان البرُّ أندى مِنَ البحـرِ

7- شرّاً ينال عدوّك.

8- ليلى وصلت.

الخروج على مقتضى الظاهر

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلافه لنكتة أو سبب من الأسباب، ولهذا الخروج أساليب مختلفة أهمها: وضع المضمر موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمر، والقلب، والتغليب، والأسلوب الحكيم، والالتفات، والانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين، والانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، والانتقال من الاثنين إلى الواحد، والانتقال من الاثنين إلى الجمع، والانتقال من الجمع إلى الواحد، والانتقال من الجمع إلى التثنية...

ويمكن الوقوف عند أربعة أساليب لتوضيح ذلك، وهذه الأساليب هي:

1- الالتفات:

معنى الالتفات لغة واصطلاحاً:

الالتفات لغة: اللّي والصرف والتحول، تقول: لفته يلفته إذا أدار عنقه من اليمين إلى الشمال أو العكس.

وهو في الإصطلاح التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث التي هي التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع.

ويشترط في الالتفات أمران:

1- وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما طريق مغاير لطريق الأول.

2- مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومترقب السامع.

صور الالتفات:

1- من التكلم إلى الخطاب، كقوله تعالى في حكاية عن الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

عبر عن المعنى أولاً بطريق المتكلم ومالي لا أعبد..،وعبر ثانياً بطريق الخطاب فقال: وإليه ترجعون بدلاً من «وإليه أرجع».

2- من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾.

فقوله: إنا أعطيناك تكلّم، وقوله: لربك غيبة، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل «فصلِّ لنا» ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة.

3- من الخطاب إلى التكلم: كقول علقمة الفحل:

طَحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ   بُعيد الشباب عصْرَ حان مشيبُ
يكلّفني ليلى وقد شَطَّ وليُّها   وعادتْ عوادٍ بيننا وخُطُوبُ

فقد التفت من الخطاب في «بك» إلى التكلم في «يكلفني»، وكان مقتضى الظاهر أن يقول «يُكلفُك».

4- من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾. فقد التفت من الخطاب في كنتم إلى الغيبة في بهم، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: «وجرين بكم».

5- من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾.

فقد التفت من الغيبة في قوله: أسرى بعبده إلى التكلم في قوله: لنريه، وقوله: من آياتنا، إذ مقتضى الظاهر أن يقال: «ليريه من آياته».

6- من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾، فقد التفت من الغيبة في قوله: مالك يوم الدين، إلى الخطاب في قوله: إياك نعبد، إذ مقتضى الظاهر أن يقال: «إياه».

وجه حسن الالتفات:

حصر البلاغيون أسباب الالتفات في فوائد عامة وخاصة، فمن الفوائد العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفاته، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية.

وأما الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف الحالة، ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم، ومنها:

1- قصد تعظيم شأن المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. فالانتقال من خطاب الغائب إلى الحاضر، أفاد تعظيم شأن المخاطب... .

2- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه، كقوله تعالى:﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾. أصل الكلام: «وما لكم لا تعبدون الذي فطركم».

3- أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم، فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب، كقوله تعالى:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. أصل الكلام «إنا كنا مرسلين رحمةً منا».

4- قصد المبالغة، كقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾.

5- قصد الدلالة على الاختصاص، كقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾.

6- قصد الاهتمام، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾.

7- قصد التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾، عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخاً ومنكراً عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور، فقال: «لقد جئتم»، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.

تطبيقات

❖ بيّن صور الالتفات في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

6- قال عنترة:

ولقد نزلتِ فلا تظني غيرهُ ... بمنّي منزلةَ المحبِّ المُكرَم

ثم قال مخبراً عنها:

كيف المزارُ وقد تربَّعَ أهلُها ... بعُنيزتينِ وأهلُنا بالغَيلمِ

7- قال القاضي الأرجاني:

وهلْ هيَ إلا مهجةٌ يطلبونها ... فإنْ أرضتِ الأحبابَ فَهْيَ لهمْ فدى

إذا رُمْتُمُ قتلي وأنتمْ أحِبَّتي ... فماذا الذي أخشى إذا كنتمْ عدى

8- قال ابن النبيه:

من سحر عينيك الأمان الأمان ... قتلت ربّ السيف والطيلسان

أسمر كالرمح له مقلة ... لو لم تكن كحلاء كانت سنان

2- الأسلوب الحكيم:

هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إما بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى. ومن أمثلة ذلك:

سئل شيخ هرم: كم سنك؟ فأجاب: إني أنعم بالعافية. فالشيخ ترك الإجابة عن السؤال، وصرف سائله بلطف، وأخبره بأنه ينعم بالصحة والعافية، وكأنه يشعره بأن السؤال عن الصحة أولى من السؤال عن السنّ.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾.

فأصحاب الرسول ﷺ سألوه عن الأهلة، لم تبدو صغيرة؟ ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى، وهذه مسألة دقيقة في علم الفلك.. فصرفهم اللهُ عن هذا السؤال، ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات، والعبادات، إشارة إلى أنّ الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

ومنه قول الشاعر:

ولقدْ أتيتُ لصاحي وسألته في قرضِ دينارٍ لأمرٍ كانا

فأجابني واللّهِ داري ما حوتْ عيناً فقلتُ له ولا إنسانا

فالبيت الثاني جاء على أسلوب الحكيم، لأن المخاطب أراد بكلمة (عيناً) الذهب، ولكن المتكلم حملها على العين الباصرة، وهو ما لم يقصده المخاطب إشارة إلى أن منعه من القرض لا يجوز، (والإنسان قد يراد به إنسان العين وقد يراد به أحد الناس).

ويوضح البلاغيون هذا الضرب من أسلوب الحكيم بما حدث من ولد القبعثرى للحجاج؛ إذ قال له الحجاج متوعّداً إياه: «لأحملنّك على الأدهم»، يعني الحجاج القيد، إذ من أسمائه الأدهم، فقال ولدُ القبعثرى: «مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب»، فحوّل وعيد الحجاج إلى وعد وتلقاه بغير ما يترقب، حيث حوّل المراد من الأدهم (وهو عند الحجاج القيد الذي سيقيده به) إلى الفرس الأدهم، وهو الذي غلب سواده، وضمّ إليه وصفاً آخر للفرس وهو (الأشهب)، أي الذي غلب بياضه على سواده. وهكذا فاجأ

ابن القبعثرى الحجاج وحمل كلامه على غير ما يريد، فنبهه على أنّ الأولى به، وهو الأمير ذو السلطان والغلبة وبسطة اليد، أن يعطي ويكرم لا أن يقيّد ويسجن، ويقال في تتمّة القصة أن الحجاج عدل عن العقوبة إلى المثوبة.

ومن ذلك قول الحجاج للمهلب: أنا أطول أم أنت؟ قال المهلب: أنت أطول وأنا أبسط قامة. أراد الحجاج بكلمة (أطول) طول القامة، وحملها المهلّب على معنى التفضيل إذ اعتبرها مشتقة من الطَّوْل بمعنى التطوّل.

ومن ذلك قول الشاعر:

طلبتُ منه درهماً يوماً فأظهر العَجَبْ

وقال ذا من فضة يُصنعُ لا مِن ذَهَبْ

إن الشاعر صرف المخاطب بلطف عن طلب الدرهم، فأخذ يحدثه فيما يصنع منه الدّرهم، فهو من فضة لا من ذهب إشعاراً بأنه ما كان ينبغي له أن يطلب ذلك.

ومنه قول شاعر يجيب ابنا له سأله عن الروح والنفس:

جاء ابني يوماً وكنتُ أراه لِيَ ريحانةً ومصدرَ أنسِ

قال: ما الرُّوحُ؟ قلتُ: إنّكَ روحي قال: ما النفسُ؟ قلتُ: إنّكَ نفسي

ففي البيت الثاني سأل الابن عن الروح والنفس وهما من الأمور التي حار العلماء والفلاسفة في تعريفهما وتحديدهما، ولهذا صرف الشاعر ابنه عن ذلك ببيان منزلته منه، إشعاراً بأنه ما كان ينبغي له أن يتكلم في ذلك، لقصوره عن أن يتكلم فيما دق من الأمور.

ويتضح أن أسلوب الحكيم يستعمل لأغراض مختلفة كالتخلص من إحراج السائل، أو التظرف، أو تقديم الأهم أو التهكم، ويلاحظ أن أسلوب الحكيم تسمية جاء بها السكاكي، ويسميه عبدالقاهر الجرجاني المغالطة.

تطبيقات

❖ **بين أسلوب الحكيم في ما يلي:**

1- قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

2- قال ابن الدويدة المغربي في رجل أودع قاضياً مالاً فادعى القاضي ضياعه:

إنْ قـالَ قـد ضـاعت فصـدّقْ أنّـها   ضاعت، ولكنْ منك يَعني لو تعـي

أو قـال قـد وقعـت فصـدّقْ أنـها   وقعَتْ، ولكـن منـه أحسـنَ موقـعِ

3- دخل سيد بن أنسٍ على المأمون، فقال له المأمون: أنت السيد، فقال: أنت السـيد وأنـا ابن أنس.

4- يحكى أنه لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربـة، فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيـابي، فقـال: عـلام أنـت؟ فأجـاب علـى الأرض، فقال: كم سنّك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال: أسألك عن شيء، وتجيبني بغـيره، فقـال: إنما أجبتك عمّا سألت.

5- قيل لتاجر: كم رأس مالك؟ فقال: إني أمين.

6- قال شاعر راثياً:

ولمـا نعـى النـاعي سـألناه خشـية   وللعين خوف البين تسكب أمطـار

أجاب قضى! قلنا قضى حاجة العـلا   فقـال مضـى! قلنـا بكـل فخـار

7- قال حاتم الطائي مخاطباً زوجته عندما أتته تشكو صعوبـة إعـداد الطعـام للضيفـان إذ رأتهم يتقاطرون على منزله، فقال مفتخراً:

أتت تشتكي عندي مزاولـة القِرى   وقد رأتِ الضّيفـانَ ينحـونَ مـنزلي

فقلت - كأنّي ما سمعتُ كلامها-:   هُمُ الضيفُ جِدّي في قِراهُمْ وعجّلـي

3- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

تعبر الأساليب البليغة عن الماضي بصيغة المستقبل؛ لغرض استحضار الصورة العجيبة. وهذا كثير في البيان القرآني، ومنه قوله سبحانه في شأن داود عليه السلام: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾، قال سبحانه: يسبحن، ومقتضى السياق أن يقال: «مسبحات»؛ لأن التسبيح قد وقع في عهد داود عليه السلام، لكن غرابة صدور التسبيح عن الجبال، ودلالة ذلك على قدرة العزيز، استدعت التعبير عن ذلك بصيغة المضارع، التي نقلت الحدث من الماضي البعيد، وعرضته في مقام المشاهدة؛ ليستيقن منه ولا يناقش فيه.

4- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

تعمد الأساليب البليغة إلى مخالفة مقتضى الظاهر في ميدان استخدام الأفعال، فتعبر عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه، وأنه في حكم المنقضي الذي لا مدافعة فيه، ووراء ذلك أيضاً إشارات بلاغية تأنسها الأذواق الصافية. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. قال سبحانه: «ففزع» والمراد «يفزع»؛ لأن الحدث لما يقع بعد، ولكنه عبر عنه بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه، فهو لا محالة واقع ليس له من دافع.

تطبيقات

◆ وضّح الأسلوب الذي خرج به الكلام على مقتضى الظاهر في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾.

4- قال جرير:

طرب الحمامُ بـذي الأراكِ فشاقني   لا زلـت في علـلٍ وأيـكٍ نـاضر

5- وقال:

متى كـان الخيـامُ بـذي طلـوح   سُـقيتِ الغيـثَ أيتـها الخيـامُ

6- قال ابن حجاج:

قـال: ثقلـت إذا أتيـت مـرارا   قلـتُ: ثقلـت كـاهلي بالأيـادي

قال: طوّلت قلـتُ: أوليـت طـولاً   قـال: أبرمـتُ قلـت: حبـلَ ودادي

7- قال امرؤ القيس:

تطـاولَ ليلُـك بـالأثمد   ونـامَ الخلـي ولم ترقـد

وبـاتَ وبـاتتْ لـه ليلـة   كليلـةِ ذي العـائِر الأرمـدِ

وذلـك مـن نبـأ جـاءني   وبلّغتـه عـن أبـي الأسـودِ

أسلوب القصر

تعريف القصر:

القصر في اللغة: الحبس، وامرأة مقصورة وقصيرة: أي محبوسة في البيت، لا تترك أن تخرج، ومنه قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾.

وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.

أركان القصر:

يتكون أسلوب القصر من طرفين هما: المقصور والمقصور عليه، ومن أداة القصر. تقول مثلاً: ما المتنبي إلا شاعر. تريد بهذا التعبير تخصيص المتنبي بـ «الشعر» وقصره على هذه الملكة، تقول هذا رداً على من ظن أنه شاعر وكاتب مثلاً.

فالمقصور «المتنبي»، والمقصور عليه «شاعر»، وطريق القصر «ما + إلاّ».

أنواع القصر تبعاً لغرض المتكلم:

ينقسم القصر تبعاً لغرض المتكلم إلى قسمين:

1- قصر حقيقي، ويقسم قسمين:

أ- قصر حقيقي حقيقة: وهو أن يختص المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعداه إلى غيره أصلاً، مثال ذلك : «لا خالق إلا الله».

ب- قصر حقيقي بحسب الادعاء والمبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم، مثال ذلك:

لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فكل من هذين القصرين حقيقي على وجه الادعاء والمبالغة، فالافتراض هو أن غير ذي الفقار من السيوف، وغير علي من الفتيان في حكم المعدوم.

2- قصر إضافي: وهو أن يختص المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، مثال ذلك: ما محمد إلا مسافر. فإنك تقصر قصر السفر عليه

بالنسبة لشخص آخر، كزيد مثلاً وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد خلاف ذلك.

وإذا قلنا: إنما عمرو شاعر، فغرضنا تخصيص عمرو بصفة الشاعرية، وقصره عليها.

وإذا قلنا: ما شاعر إلا المتنبي، أي لا ابن الرومي مثلاً، فأنت هنا قصرت الشعر على المتنبي بحيث لا يتجاوزه إلى ابن الرومي، فقصر الشعر على المتنبي جاء مقارنة مع ابن الرومي لا مع كل الشعراء.

أنواع القصر باعتبار طرفيه:

يقسم القصر باعتبار طرفيه إلى:

1- قصر الصفة على الموصوف: هو أن تحبس الصفة على موصوفها، وتختص به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات، ويتم ذلك بتقديم الصفة على الموصوف، ومن أمثلة ذلك:

- القصر الحقيقي حقيقة: لا رازق إلاّ الله، حيث قصرت صفة (الرازق) على ذات الله سبحانه.
- القصر الحقيقي ادعاء: ما عادل إلا عمر، حيث قصرت صفة العدل على عمر رضي الله عنه مدعياً أن عدالة غيره مما لا يعتد به؛ وهي في حكم المعدوم.
- القصر الإضافي: ما كاتب إلا الجاحظ، أي: لا ابن المقفع مثلاً.

2- قصر الموصوف على الصفة: هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، ويتم ذلك بتقديم الموصوف على الصفة، ومن أمثلة ذلك:

- القصر الإضافي:كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾.
- القصر الحقيقي: «ما الله إلا خالق كل شيء»، «ما سعيد إلا شاعر».

ويلاحظ أن قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها، ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف.

ويلاحظ أن القصر الإضافي يأتي كثيراً في كل من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة.

ولا شك أن المراد بالصفة في هذا المقام هي الصفة المعنوية التي تدل على معنى قائم بشيء، وليست الصفة النحوية «النعت».

طرق القصر:

للقصر طرق كثيرة ، أهمها:

1- النفي والاستثناء، ومن أمثلة ذلك:

- لا فتى إلا علي.
- ما نزار إلا شاعراً.
- لا هادي إلا الله.
- ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾

وتلاحظ هنا أن القصر سواء أكان صفة على موصوف، أم قصر موصوف على صفة، فإن المتقدم هو المقصور، وما بعد إلا (حرف الاستثناء) هو المقصور عليه دائماً، وليس بلازم أن تكون أداة الاستثناء هي «إلا» بل قد تحلّ محلها «غير» أو «سوى»، وما في معناهما، ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي:

لعمركَ ما الحياةُ لكلِّ حيٍّ ... إذا نفدَ الشّبابُ سوى عذاب

وقول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيوفَهُم ... بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

2- إنّما، ومن أمثلة ذلك:

- إنّما الشاعر شوقي.
- إنّما شوقي شاعر.

المقصور هو الكلمة الأولى.

المقصور عليه هو المؤخر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.

3- القصر بلا، وبل، ولكن، نحو:

أ- المتنبي شاعر لا كاتب.

الشاعر المتنبي لا ابن الرومي.

ب- ما البحتري فارساً بل شاعر.

ما الفارس البحتري بل المتنبي.

ج- ليس أبو حيان شاعراً بل كاتب.

ليس الشاعر أبا حيان بل المتنبي.

لاحظ أن المقصور هو الكلمة الأولى.

المقصور عليه هو الذي يأتي بعد أداة العطف.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك قول الشاعر:

عُمْرُ الفتى ذكرهُ لا طول مدّته   وموتُه خزيهُ لا يومه الداني

4- تقديم ما حقه التأخير، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، أي نخصك بالعبادة والاستعانة.

- الشرابُ شربت.

- في الحديقة جلست.

وتلاحظ هنا أننا قدمنا المعمول على العامل، أياً كان المعمول، وأياً كان العامل، فالمتقدم هو المقصور عليه، والمتأخر هو المقصور.

الأغراض البلاغية للقصر:

1- القصر من مباحث علم المعاني، وعلم المعاني يشرح نظرية النظم، لذلك كان الغرض الذي يؤديه القصر غرضاً أساسياً يتعلق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى اختلافاً كلياً، لتقديم كلمة تارة، وتأخيرها أخرى. فمثلاً في قول الرسول ﷺ: «إنّما يأكل الذئب من

الغنم القاصية»، جاء الحديث في شأن تحذير الأمة من الفرقة، وكان الاهتمام في الحديث الشريف على القاصية، ولو قيل: إنما يأكل القاصية الذئب، لكان الاهتمام بالفاعل، أي أن الذي يأكل الذئب ولا حيوان غيره.. فالتركيز على المأكول ، وليس على الآكل.

2- تمكين الكلام وتقريره في الذهن، ومن ذلك قول الشاعر:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضَوْئِه يحورُ رماداً بعد إذْ هو سَاطِعُ

3- المبالغة في المعنى، كقول الشاعر:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

4- التعريض، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، فالمراد من الآية الإشارة إلى أن المشركين بسبب عنادهم في حكم من لا عقل له..الخ.

تدريب نموذجي

- وضح في ما يلي نوع القصر باعتبار طرفيه، وباعتبار الواقع، واذكر طرق القصر:

1- إنما الرازق الله.

2- لا خالق إلا الله.

3- وما محمد إلا رسول.

4- المتنبي شاعر لا كاتب.

5- ليس أبو تمام كاتباً بل شاعر.

6- ليس البحتري كاتباً لكن شاعر.

7- بكَ استجيرُ يا ربي.

الإجابة:

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
1	صفة على موصوف	حقيقي	إنما	الرازق	لفظ الجلالة (الله)
2	صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء	الخلق	لفظ الجلالة (الله)
3	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	محمد ﷺ	رسول
4	موصوف على صفة	إضافي	العطف بلا	المتنبي	شاعر
5	موصوف على صفة	إضافي	العطف ببل	أبو تمام	شاعر
6	موصوف على صفة	إضافي	العطف بلكن	البحتري	شاعر
7	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	استجير	بك

تطبيقات

◆ بيّن المقصور والمقصور عليه وطريق القصر ونوعه في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.

3- قال شوقي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ همُ ذهبتْ أخلاقُهمْ ذهبوا

4- قال أبو فراس الحمداني:

سَيذكرني قومي إذا جَدَّ جدّهم وفي الليلةِ الظّلماءِ يُفتقدُ البدرُ

5- قال الشاعر:

ليسَ اليتيمُ الذي قَدْ ماتَ والِدهُ بل اليتيمُ يتيمُ العلمِ والأدبِ

◆ بيّن الجمال الفني للقصر في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾.

3- قال الفرزدق:

أنا الذائدُ الحامي الذّمارَ وإنما يُدافِعُ عنْ أحْسَابهم أنا أوْ مِثْلي

الوصل والفصل

تعريفهما وبيان منزلتهما البلاغية

الوصل هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة، لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفعاً للبس يمكن أن يحصل. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

أما الفصل فهو ترك العطف، إما لأن الجملتين متحدتان مبنى ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى.

وللوصل والفصل منزلة عالية في البلاغة، فقد وقف علماء البلاغة القدماء عند هذا الموضوع، وبحثوا أهميته، ومحسناته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، والكلام المنظوم والمنثور، ومن هؤلاء: الجاحظ، وأبو هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والقزويني، والزمخشري وغيرهم... ومن حسن المقطع عندهم: جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها، وذلك على ثلاثة أضرب:

1- أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قليل الحروف فيتمم به البيت، كقول زهير:

وأعلمُ ما في اليـومِ والأمـسِ قبلـه ... ولكنَّني عن علـمِ مـا في غـدٍ عمـي

2- أن يضيق به المكان أيضاً، ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج إلى إعراب ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الإعراب فيتممه به، مثل قول زهير:

صحا القلبُ عن سَلمى وقد كان لا يَسْلو ... وأقفـر مـن سَـلمى التعـانيقُ فـالثقلُ

3- أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت الشعري، وتكون مستقرة في قرارها، ومتمكنة في موضعها حتى لا يسد مسدها غيرها، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾.

الوصل

مواضع الوصل:

يقع الوصل في ثلاثة مواضع هي:

1- إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي، ومن ذلك قول البحتري في مدح المتوكل:

اللّهُ مكّنَ للخليفة جعفرٍ ملكاً يحسنه الخليفةُ جعفرُ

نُعمى من اللهِ اصطفاهُ بفضلها واللهُ يرزقُ من يشاءُ ويقدرُ

فقد وصل في الشطر الأخير ما بين جملتي: يرزق من يشاء ويقدر، لإشراكهما في إعراب واحد، إذ كل منهما خبر لمبتدأ واحد، هو الله تعالى.

2- إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكانت هناك مناسبة تامة في المعنى، ومن أمثلة ذلك:

أ- الجملتان خبريتان لفظاً ومعنى، كقوله تعالى:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾.

ب- الجملتان إنشائيتان لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾.

ج- الجملتان خبريتان معنى، ولفظ الأولى إنشاء ولفظ الثانية خبر، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾.

والتأويل: وجدك يتيماً فآواك، ووجدك ضالاً فهداك.

د- الجملة الأولى خبرية، والثانية إنشائية، لكنها بمعنى الخبرية، كقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

والتأويل إني أشهد الله وأشهدكم.

هـ- الجملتان إنشائيتان معنى، ولفظ الأولى خبر والثانية إنشاء، كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

عطفت جملة «قولوا» على جملة «لا تعبدون» لكونهما إنشائيتين معنى، ولفظ الأولى خبر بمعنى لا تعبدوا.

3- اختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء، ووقوع التباس في المعنى، بحيث يتوهم غير المراد، فدفعاً لهذا التوهم، يتحتم الوصل بين الجملتين.فمثلاً لو سألت صديقك عن صحة أخيه، فتقول له: هل شفي أخوك؟ فإذا قال لك: «لا، عافاه الله»، فهو مخطئ في التعبير، لأنه قد يفهم من جوابه الدعاء على أخيه بعدم المعافاة، وهو على كل حال لا يقصد هذا. لذلك وجب الوصل في هذا الموضع، والقول: «لا وعافاه الله»، والتقدير «لا، لم يشف من مرضه». هذه هي الجملة الأولى، والجملة الثانية، «وعافاه الله».

وهكذا فبين الجملتين في المثالين كمال انقطاع، لاختلافهما خبراً وإنشاءً، ويستلزم ذلك الفصل بينهما، لكنه وجب الوصل هنا تخلصاً من إيهام خلاف المراد، وهو أن يتسلط النفي على الجملة بعده لو ترك الوصل، فيقال «لا عافاه الله»، و «لا رعاك الله» فيكون التعبير في الحالين دعاءً على المخاطب بدلاً من الدعاء له.

محسنات الوصل:

1- تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية - وتناسب الاسميتين في نوع المسند من حيث كونه مفرداً أو جملة أو ظرفاً - وتناسب الفعليتين في نوع الفعل. ومثال تناسب الجملتين من الاسمية وفي كون المسند مفرداً،قول الرّمادي:

مَنْ حاكمٌ بيني وبينَ عَذُولي   الشجوُ شَجوي، والعويلُ عويلي

الشاهد في قوله: «الشجوُ شجوي، والعويل عويلي».

2- تناسب الجملتين في الإطلاق والتقييد:

- مثال تناسب الجملتين في التقييد قولُ أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، عندما انتقل الرسولُ الكريم ﷺ إلى ربه: «بأبي أنتَ وأمي طبتَ حياً، وطبتَ ميتاً». والشاهد قوله: «طبت حياً، وطبتَ ميتاً»، حيث حسن الوصل بين الجملتين لتناسبهما في التقييد، إذ قُيدت كل منهما بـ «الحال».

- أما أمثلة التناسب في الإطلاق فكثيرة، منها قول أبي نواس:

نسيبُكَ مَنْ ناسبتَ بالوُدِّ قلبهُ   وجارُكَ من صافيتَ لا من تُصاقبُ

إن هذا التناسب ليس مطلقاً في تحقيقه حسن الوصل بين الجملتين، فقد يُعدل عنه لأغراض بلاغية منها:

1- حكاية الحال الماضية واستحضار الصور الغريبة في الذهن، كما في قوله تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

فالتكذيب حدث في الماضي والقتل حدث في الماضي، لكنّه عُبِّر عن القتل بلفظ (المضارعة) لفظاعة الأمر، وقصد استحضار صورته البغيضة في النفوس، وهكذا تلحظ أنّ التناسب بين الفعلين عُدل عنه لغرض بلاغيّ هو حكاية الحال الماضية وتمثيل صورتها أمام البصيرة كأنّها تجري الآن، والذي يسر ذلك وأمكن منه هو الفعل المضارع (تقتلون).

2- إفادة التجدد في إحدى الجملتين والثبوت في الأخرى، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾.

كانوا يزعمون أنّ مجيئه لهم بالحقّ أمر حادث، وأنّ اللعب حالة دائمة لإبراهيم عليه السلام. وهكذا استفهموا عن حدوث مجيئه لهم بالحقّ بالجملة الفعلية، لإفادتها التجدّد والحدوث، وعن كونه من العابثين بالجملة الاسمية، لإفادتها الثبوت والدوام.

إنّ التناسب بين الجملتين إنما يعدّ من محسّنات الوصل عندما يتّفق ومراد المتكلّم، أمّا عندما يخالف هذا المراد فلا يعدّ من الأمور التي تضفي على الوصل طلاوة وحسناً.

الفصل

مواضع الفصل:

يتم الفصل بين الجملتين المتجاورتين في مواضع، أشهرها:

1- كمال الاتصال بينهما، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، وذلك أن تكون الجملة الثانية:

أ- توكيداً للأولى، كقوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾.

ب- بدلاً للأولى،كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾.

ج- بياناً للأولى، كقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾، فصل جملة «قال..» عن جملة «فوسوس...». إذ إن جملة قال يا آدم بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

2- كمال الانقطاع، وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً:

أ- بأن يختلفا خبراً وإنشاء في اللفظ والمعنى، كقول الشاعر:

لست مستمطراً لقبركَ غيثاً كيفَ يظما وقدْ تضمّنَ بحرا؟

وجب الفصل بين الجملتين «لست...» و «كيف..» لاختلافهما خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى.

ب- بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه، كقول الشاعر:

وإنما المرءُ بأصغريه كلُّ امرئ رهنٌ بما لديه

فالجملتان متباينتان لا يمكن العطف بينهما، لذلك وجب الفصل، وكذلك: المتنبي شاعر، السّماء صافية، حيث وجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع، فإنه لا مناسبة بين شاعرية المتنبي، وصفاء السماء.

3- أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال، ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية

جواباً لسؤال نشأ عن الجملة الأولى، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾.

فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى، لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لم لا تبرئ نفسك؟» فقال: إن النفس لأمارة بالسوء، فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف.

تطبيقات

❖ بيّن مواضع الوصل والفصل في ما يأتي، ووضح السبب في كل مثال:

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

6- قال المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرجُ سابحٍ   وخير جليسٍ في الزمانِ كتابُ

7- قال أبو العتاهية:

قدْ يُدْركُ الراقدُ الهادِي برقدتِه   وقد يخيبُ أخو الروحاتِ والدّلجِ

8- قال المعري:

الناسُ للناسِ من بدوٍ وحاضرةٍ   بعضٌ لبعضٍ وإنْ لمْ يشعروا خدمُ

9- قال أبو تمام:

السيفُ أصدق إنباءً منَ الكُتُبِ   في حدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

10- قال المعري:

لا يعجبنـك إقبـالٌ يُرِيـكَ سـناً إنَّ الخمـودَ لعمـري غايـةُ الضّـرمِ

11- قال المتنبي:

يشـمّر للـجّ عـن سـاقه ويغمـرهُ المـوجُ في السـاحلِ

12- وقال:

وما الدَّهـرُ إلاّ مِـنْ رُواةِ قصـائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدَّهرُ مُنْشِـدَا

الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز:

الإيجاز لغة: التقصير، يقال: أوجز في كلامه، إذا قصره، وكلام وجيز أي: قصير.

وفي الاصطلاح: اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف وافٍ بالمراد لفائدة.

نوعا الإيجاز:

الإيجاز نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر.

أ- إيجاز الحذف:

ويكون بحذف شيء من الجملة دون أن يختل المعنى لوجود قرينة تدل على المحذوف، ويكون المحذوف إما:

1- حرفاً، كقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾، أصله لا تفتأ.

2- أو اسماً مضافاً، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، أي أهل القرية.

3- أو اسماً مضافاً إليه، كقوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ ﴾.

4- أو اسماً صفة، كقوله تعالى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾، أي مضافاً إلى رجسهم.

5- أو اسماً موصوفاً، نحو: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾، أي: عملاً صالحاً.

6- أو شرطاً، نحو: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، أي فإن تتبعوني.

7- أو جواب شرط، نحو: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، أي لكان هذا القرآن.

8- أو مسنداً، نحو: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، أي خلقهن الله.

9- أو مسنداً إليه، كما في قول حاتم:

أماويُّ ما يغني الثَّراءُ عن الفتى   إذا حشرجتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

أي: إذا حشرجت النفس يوماً.

10- أو جملة، نحو قول المتني:

أتـى الزمـانَ بنـوه في شـبيبته فسـرّهم وآتينـاهُ علـى الهـرمِ

والتقدير وآتيناه على الهرم فساءنا..

ب- إيجاز القصر:

وهو ما يسمى «إيجاز البلاغة»، ويتحقق بأداء المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة دون حذف. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾.

فإن معناه كثير، ولفظه يسير، والمراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتل امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويسود الأمن.

وقد قال العرب قديماً في هذا المعنى: «القتل أنفى للقتل»، إلا أن الآية تمتاز بوجوه منها:

1- أنها كلمتان وما أثر عنهم أربع.

2- لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار.

3- ليس كل قتل يكون نافياً للقتل، وإنما يكون ذلك إذا كان على جهة القصاص.

4- حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسن فيها لا في ما قالوه.

5- أن فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة، وهما كالضدين.

6- أن فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها، فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى إلى الاقتصاص.

7- أن القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال «في» عليه، فكأن أحد الضدين، وهو الفناء، صار محلاً لضده الآخر، وهو الحياة، وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة.

ودواعي الإيجاز كثيرة، أهمها: الاختصار، وتسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على السامع، والسآمة والضجر، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل.

الإطناب:

تعريفه:

هو زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة، ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾. فقول موسى -عليه السلام- يمكن تأديته بلفظ أقل، كأن يقال: «هي عصا»، لكن هذه الزيادة في العبارة يقتضيها مقام التكلم مع الله جلّ جلاله، فهو يريد إطالة الحديث قدر المستطاع.

وقد تكون الزيادة في اللفظ لغير فائدة، فلا تسمى إطناباً بل هي تطويل وحشو.

أنواع الإطناب:

ويأتي الإطناب في الكلام على أنواع مختلفة، لأغراض بلاغية، أهمها:

أولاً: الإيضاح بعد الإبهام: وهذا النوع من الإطناب يظهر المعنى في صورتين مختلفتين، إحداهما مجملة مبهمة، والأخرى مفصلة موضحة، وهذا يمكّن المعنى في النفس، فالمعنى إذا جاء مبهماً تشوقت نفس السامع إلى معرفته. ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾.
- وقوله: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ .
- وقوله: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾.

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ كلام مجمل مبهم، ثم جاء التفصيل والتوضيح بالكلام الذي جاء بعده.

وفي الآية الثانية جاء (الأمر) مبهماً، ثمّ وضّح في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ وفي ذلك توجيه للذهن إلى معرفته.

أما في الآية الثالثة فإنّ قوله تعالى: ﴿ ٱشْرَحْ لِى ﴾ يفيد طلب الشرح لشيء ما، وقوله: ﴿ صَدْرِى ﴾ يفيد تفسيره، ومثله ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾.

ففي الآيتين الثانية والثالثة تفخيم الأمر وتعظيمه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾.

فالمعنى ألقي على سبيل الإجمال والإبهام، ومن هنا تتشوق نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فالنفس تتشوق إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به، حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم.

ثانياً: التوشيع: هو أن يؤتى في الكلام بمثنى مفسّر بمفردين، أحدهما معطوف على الآخر، والتوشيع في اللغة لف القطن المندوف، فكأنهم جعلوا التعبير عن المعنى الواحد بالمثنى المفسّر باسمين بمنزلة لفّ القطن بعد الندف، وهذا كما هو واضح لون من الإيضاح بعد الإبهام. ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي يمدح عبدالله بن وهب:

إذا أبو قاسم جادتْ لنا يدُهُ ... لم يحمد الأجودانِ: البحرُ والمطرُ
وإن أضاءتْ لنا أنوارُ غُرَّتِهِ ... تضاءلَ النيِّرانِ: الشّمسُ والقمرُ

وقول محمود حسن إسماعيل:

نوران: نورُ هدىً ونورُ تبسُّمٍ ... سَطَعا فراحَ الشِّعْرُ يسطَعُ من فمي

وقول البحتري:

لما مشينَ بذي الأراكِ تشابهتْ ... أعطافُ قضبانٍ به وقدودِ
في حُلّتي حِبَرٍ وروضٍ فالتقى ... وشيانِ: وشيُ بي ووشيُ برودِ
وسفرنْ فامتلأتْ عيونٌ راقَها ... وردانِ: وردُ جنى وودرُ خدودِ
ومتى يُساعِدُنا الوِصالُ ويومنا ... يومانِ: يومُ نوىً ويومُ صدودِ

فالشاهد في المثال الأول قوله: «الأجودان: البحر والمطر»، وقوله «النيران: الشمس والقمر»، والشاهد في البيت الثاني قوله: «نوران: نور هدى ونور تبسم»، أما الشاهد في

المثال الثالث فقوله: «وشيان: وشي بي ووشي برود»، وقولـه: «وردان: ورد جنـى وورد خدود»، وقوله: «يومان: يوم نوى ويوم صدود».

ومن أمثلة ذلك، قول ابن المعتز:

سـقتني في ليـلٍ شـبيهٍ بشـعرها   شـبيهة خديـها بغـير رقيـب

فما زلـت في ليلـين: شعرٍ وظلمـةٍ   وشمسين مـن خمـرٍ ووجـهِ حبيب

حيث يبقى اللفظان «ليلين وشمسين» خفيي المعنى حتى يتم توضيحهما.

وقول الإمام الشافعي:

العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطبّ للأبدان.

وقول رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق».

وقول الرسول ﷺ: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل).

ثالثاً: ذكر الخاص بعد العام: الغرض من هذا النوع هو التنبيه على فضل الخاص، حتى كأنه ليس من جنس العام. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾.

فقد خصّ الله تعالى الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلواة عامة لأهميتها.

رابعاً: ذكر العام بعد الخاص: لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص بذكره مرتين، مرة وحده، ومرة ضمن العام. ومثال ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾، فـ «المؤمنين والمؤمنات» لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى . . . ﴾

فالنسك: العبادة وهي أهم من الصلاة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.

خامساً: التكرير: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لدواع بلاغية، منها:

1- تأكيد المعنى، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

ففي (ثمّ) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشدّ.

وكقول عنتره الذي يريد أن يقرر المعنى ويثبته في ذهن السامع:

يَدْعونَ عنترَ والرّماحُ كأنّها ... أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهَمِ

يَدْعونَ عنترَ والسُّيوفُ كأنّها ... لَمْعُ البوارقِ في سحابٍ مُظلمِ

2- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ ﴾.

3- إظهار التحسر، كقول الحسين بن مطير الأسدي يرثي معن بن زائدة:

فيا قبر معنٍ أنت أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحرُ مترعا

وكقول مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً:

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا طُرِدَ اليتيمُ عن الجَزُور

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا رجَفَ العِضاةُ من الدَّبُور

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا ما ضيمَ جيران المُجيرِ

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا خيف المَخُوفُ من الثغور

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... غداة بلابلِ الأمر الخطيرِ

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا خرجت مخبّأةُ الخُدور

على أن ليس عدلاً من كُلَيبٍ ... إذا ما عَلَنتْ نجياتُ الأمور

4- الطول في الكلام حتى لا يأتي مبتوراً، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾.

5- التلذذ بذكر المكرر، كقول مروان بن أبي حفصة:

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ... ويا حبَّذا نجدٌ على القُربِ والبُعدِ

6- تعدّد المتعلق: كتكرار آية فبأي آلاء ربكما تكذبان، في سورة الرحمن، لأن الله تعالى ذكر نعمة بعد نعمة، وعقب كل نعمة بهذا القول...

7- تفخيم المكرر في القلوب والأسماع، كقول الخنساء ترثي أخاها صخراً:

وإنَّ صخراً لوالينا وسيدنا ... وإنَّ صخراً إذا نشتو لنحَّارُ

وإنَّ صخراً لمقدامٌ إذا ركبوا ... وإنَّ صخراً إذا جاعوا لعقَّارُ

وإنَّ صخراً لتأتمُ الهداةُ به ... كأنَّهُ علمٌ في راسه نارُ

8- ربط الكلام ووصله، كقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ لا يصانع في أمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأْ بمنسم

وَمنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخَل بفضله ... على قَومِه يُسْتَغْنَ عنهُ ويُذمَمِ

وَمَنْ يجعل المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ ... يفرهُ ومن لا يتقّ الشَّتمَ يُشْتَمِ

وَمنْ لا يذُدْ عن حوضِه بسلاحِهِ ... يُهَدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلم

وَمَنْ هابَ أسبابَ المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السَّماء بسلم

وَمَنْ يَعْصِ أطرافَ الزّجَاج فإنه ... يُطع العوالي ركِّبَتْ كلَّ لهذم

وَمَنْ يوفِ لا يُذمَم ومن يفض قلبه ... إلى مطمئن البرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ يغتربْ يحسبْ عدوّاً صديقه ... ومن لا يُكَرِّم نفسهُ لا يكرّم

وهنا يمكن الإشارة إلى الملحوظات الآتية:

1- قد يكون التكرار تكراراً للحروف، أو للكلمات، وقد يكون في البداية، وقد يكون تكرار لازمة في النهاية.

2- يمكن أن يكون التكرار نمطاً أسلوبياً صوتياً، بحيث يكون للتكرار دور في الإيقاع الموسيقي.

3- إن التكرار يظهر الانفعال الذي يسيطر على النفس، ويبث الإيحاءات المختلفة.

4- لا بدّ من دراسة التكرار من خلال السياق الكلي الذي يرد فيه ولا يمكن دراسته منفصلاً عن النصّ.

5- يرتبط التكرار أحياناً بقضية أسلوبية مهمة وهي قضية الاختيار، أي اختيار الشاعر للمكرر من بين الاحتمالات اللغوية، بحيث يوظف هذا في النصّ توظيفاً ناجحاً، يعبر عمّا يريد أن يتحدث عنه.

6- ارتباط التكرار بالتجربة التي عاناها الأديب، فهو يكرر من أجل التأثير في الآخرين، أو إثبات الأنا، عندما يكرر «وإني» مثلاً أو واو الجماعة، أو التحسر والتفجع، أو تأكيد أهمية ما يتحدث عنه.

7- للتكرار وظيفة مهمة بوصفه جسراً واصلاً بين أجزاء النص، بحيث يجعله يشكل كلاً متكاملاً، وبناء متلاحماً، ويظهر هذا كثيراً في تكرار اللازمة.

سادساً: الاحتراس: هو ما يذكر لدفع ما يوهمه الكلام مما هو ليس مقصوداً. ومثال ذلك قول ابن المعتز يصف فرساً:

صببنا عليها -ظالمينَ- سياطَنا ... فطارتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجُلُ

فكلمة «ظالمين» نفت عن فرس ابن المعتز صفة البلادة، فلو حذفت هذه الكلمة من البيت لظن المرء أن الفرس كانت بليدة تستحق الضرب.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾، فعبارة «من غير سوء» فيها احتراس عن توهم البياض من مرض كالبرص أو نحوه.

وقول طرفة بن العبد:

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمي

فإن قوله (فسقى ديارك)، يحتمل أن يكون على وجه الإصلاح، وعلى وجه الإفساد، وقد أزال الشاعر الاحتمال غير المقصود بقوله: «غير مفسدها».

وقول كعب بن سعد الغنوي:

حليمٌ إذا ما الحلمُ زيّنَ أهلَهُ   معَ الحلمِ في عينِ العدوِّ مهيبُ

فإنه لو اقتصر على وصف ممدوحه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز، فلم يكن صفة مدح، ولما قال «إذا ما الحلم زين أهله»، أزال هذا الوهم.

والاحتراس ضربان:

1- ضرب يتوسط الكلام كما في الأمثلة السابقة.

2- ضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل «أعزة على الكافرين» علم أنها منهم تواضع لهم.

وكقول المتنبي:

أشدُّ من الرِّياح الهُوجِ بطشاً   وأسرعُ في النَّدى منها هُبوبا

فإنه لو اقتصر على وصف الممدوح بشدة البطش لأوهم أنه عنف كله، فأزال الوهم بالشطرة الثانية.

سابعاً: الاعتراض: وهو أن يؤتى في تضاعيف الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لغرض من الأغراض الآتية:

1- التنزيه: كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾، قوله (سبحانه) اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عما يقولون.

2- الدّعاء: كقول عوف بن محلّم الشيباني يشكو كبره:

إنّ الثمــــــانينَ وبُلِّغْتَـــــــها   قـد أحوجـتْ سمعـي إلى تُرْجمــانِ

«وبلغتها» اعتراض يفيد الدعاء لمخاطبه أن يوصله الله إلى سن الثمانين الـتي بلغـها الشاعر، والواو اعتراضية.

وكقول المتنبي:

وتحتقـر الدنيـــا احتقــارَ مُجـرّبٍ   يرى كل ما فيها - وحاشاك- فانيا

3- التعظيم والتنزيـه: كقولـه تعـالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾.

قوله: «وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ»، اعتراضان: «وإنه لقسم عظيم» و «لـو تعلمون»، والأول تعظيم مواقع النجوم، والثاني تعظيم القرآن الكريم.

4- التنبيه: كقول الشاعر:

واعلــمْ - فعلــمُ المــرءِ ينفعـــهُ-   أن ســوفَ يــأتي كــلّ مــا قُــدِرا

والفاء هنا هي فاء الاعتراض.

وكقوله تعالى حكاية عـن أم مريـم، عليها السـلام: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ ﴾.

فالاعتراض تمّ بأكثر من جملة لأنه ليس من كلام أمّ مريم.

5- المطابقة مع الاستعطاف، كقول المتنبي:

وخُفـوقُ قلـبٍ لَـوْ رأيــتِ لهيبــهُ   -يـا جَنّـتي- لَظننـتِ فيـه جَــهنّما

6- التنبيه على أمر فيه غرابة: كقول الشاعر:

فلا هجرهُ يبدو - وفي اليأس راحـة-   ولا وصلــه يبــدو لنـــا فنكارمُـــهْ

7- تخصيص احد المذكورين: بزيادة التأكيد في أمر علّـق بـهما، كقولـه تعـالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾.

8- التعبير المنبه للإعجاز، كقولـه تعـالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

ثامناً: التذييل:وهو إتباع القول بجملة تحمل معناه، تأكيداً وتوضيحاً له، وهو قسمان:

القسم الأول: التذييل الجاري مجرى الأمثال، وهو ما استقل معناه، واستغنى عما قبله، ومثال ذلك قولـه تعـالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾. فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ تذييل جار مجرى المثل، فهو مستقل بمعناه، وجيء به لتأكيد ما قبله.

ومن ذلك قول النابغة الذبياني:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ   على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

فقد نفى الشاعر صفة الكمال عن الرجال في صدر البيت، ثم حقّق ذلك وأكّده في عجزه «أي الرجال المهذب».

ومن ذلك قول بشار بن برد:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها   كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه

القسم الثاني: التذييل غير الجاري مجرى الأمثال، حيث لا يستقلّ بمعناه، بل تتوقف دلالته على ما قبله، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

فالقسم الثاني من الآية الكريمة وهل نجازي إلا الكفور غير مستقل بمعناه عما قبله، كون لفظة «نجازي» تحمل معنيين هما: «الثواب والعقاب»، ولولا عبارة «بما كفروا» لما فهم من اللفظ معنى العقاب.

ومن ذلك قول ابن نباتة السّعدي:

لم يُبقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمّلُهُ   تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أملِ

فالشطر الثاني من البيت غير مستقلّ بمعناه عن الشطر الأول، لأنه لا يوضّح السَّبب الذي جعله يصحب الدُّنيا بلا أمل، حيث السبب موضح في الشطر الأول، وهو كثرة عطاء الممدوح للشاعر، الأمر الذي جعله مكتفياً من كل مطلب.

وقد اجتمع الضربان في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾.

تاسعاً: الإيغال: وهو ختم البيت بما يفيد النكتة، يتم المعنى بدون التصريح بها، وذلك إما:

أ- لزيادة المبالغة والتأكيد، ومثال ذلك قول الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به ... كأنهُ علمٌ في رأسه نارُ

فقولها: «في رأسه نار»، من الإيغال الحسن، إذ لم تكتف بأن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المشهور بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً، لما في ذلك من زيادة الظهور والانكشاف.

ب- لتحقيق التشبيه، كقول امرىء القيس:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائِنا ... وأرحلِنا الجزعُ الذي لم يُثقَبِ

فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله: لم يثقب، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان بالعيون أشبه.

المساواة:

المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها عن بعض، والمساواة هي المقدار الوسط، فما نقص عن مقدار المساواة دون إخلال بالمراد سمي إيجازاً، وما زاد عنه لفائدة سمي إطناباً، ومساواة اللفظ للمعنى معلم من معالم البلاغة.

والأمثلة على هذا اللون لا يمكن إحصاؤها ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفـــسُ راغبـــةٌ إذا رغَّبتـــها   وإذا تُـــردُّ إلى قليـــلٍ تقنـــع

ففي هذه الأمثلة صور من المساواة، وكل منها أدى المعنى بعبارة مساوية لـه، كأنـها الثوب المفصل على جسم لابسه، لأنه لا يمكن أن يؤتى بصورة لفظية أعدل مـن الصـورة المعطاة، فإسقاط كلمة من كلمات الصورة يخل بالمعنى، وكذلك زيادة كلمة يخل به.

جماليات الإيجاز والإطناب:

لم تكن كلمة علماء البلاغة واحدة بشأن فضل الإيجاز والإطناب، إذ رجّح فريـق منـهم جانب الإيجاز، وبينوا أنّ مبعث فضله أنّه معلم تمكّن في الفصاحة ورسوخ قدم في ميدان ملكة البلاغة، وأنه يحقق للنّفس المتلقية ملاذّ كثيرة دفعة واحدة، إذ يأتيها ما يشبه الشعاع الغامر مـن مصدر ضئيل، فيفعل فيها الأفاعيل، وانتصر آخرون للإطناب مؤيدين مذهبهم بـأن النطـق في أساسه تعبير وبيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع، وعنـد هـؤلاء أن أفضـل الكـلام أبينـه، وأبينـه أشـدّه إحاطـة بالمعـاني، ولا يحـاط بالمعـاني إحاطـة تامـة إلا بالاستقصاء والإطناب، ومضى فريق ثالث إلى القول إنّ لكلّ مقـام مقـالا، فللإيجاز مواضـع وللإطناب مواضع، والحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطنـاب في موضعـه، وقـالوا إنّ كتب السلطان في الأمور العظيمة، وتفخيم مواقع النّعم المتجددة، أو في الترغيب في الطاعة والتحذير من العصيان ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة، وعلى الجملة فإنّ الـذوق المميز هـو الحاكم الأول في استجادة الجميل، واستقباح القبيح في كلّ الأساليب.

إن الأديب الحقّ هو الذي يستخدم جميع الأساليب اللغوية ليؤثـر في الآخريـن مـن خلال الإيجاز، أو الإطناب، أو التكرار، وهذا يعتمد على التجربة الـتي يعيشـها الأديـب، وعلى ذكائه ومقدرته.

المهم في الإيجاز والإطناب أن يراعي المرسل في رسالته التي يريد أن يبلغها مقتضـى حاله، ليحافظ على صدقه، ومراعياً مقتضى حال المخاطب، ليحافظ على إفادته، ومراعيـاً مقتضى حال الموضوع ليحافظ على موضوعيته.

وقد قالوا: البلاغة هي الإيجاز، أي أن البليغ يسلك طريقاً في التعبير الصادق عن شعوره، وفي توصيل هذا الشعور إلى الآخرين بصدق، وفي إبراز المهم من قضايا المجتمع والحياة، حتّى إن الإعجاز في أحد وجوهه يتمثل في الإيجاز، كما هو الحال في قصة سليمان - عليه السلام - مع بلقيس في سورة النمل، وقيل: إن أسلوب الإيجاز طريقة تفاهم مع الأذكياء، فهؤلاء أهل ذوق وأصحاب ألباب، وسريعاً ما يفهمون ويفهمون.

إن البلاغة ليست في الإيجاز، ولا في الإطناب، ولا في المساواة، إنما البلاغة في ملاءمة مقتضى الحال.

تطبيقات

◆ بيّن الإيجاز والإطناب والمساواة، وأقسام كل منها في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾.

8- قال طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً   ويأتيكَ بالأخبار من لم تزود

9- قال جميل بثينة:

وإن أنس مِ الأشياء لا أنسَ قولَها   وقد قربت نضوي أمصر تريدُ؟

10- قال كثير عزة:

لـو ان البـاخلينَ - وأنـتِ منـهم-   رأوكِ تعلَّمـوا منـكِ المِطَـالا

11- قال شوقي:

بأيديـهم نـوران: ذكـرٌ وسُـنّةٌ   فمـا بـالهم في حـالكِ الظُّلمـاتِ

12- قال زهير بن أبي سلمى:

كـأنَّ فتـاتَ العِـهنِ في كـلِّ مـنزلٍ   نزلـن بـه حـبّ القَنـا لم يُحَطَّـم

13- قال الحطيئة:

تزورُ فتىً يُعْطي علـى الحمـدِ مالَـهُ   ومـن يعـط أثمـانَ المكـارمِ يُحْمَـدِ

3

الفصل الثالث

علم البيان

الفصل الثالث

علـــم البيــــــان

تعريفه، وواضعه، وفائدته:

البيان لغة: الكشف، والإيضاح والظهور... بان الشيء، يبين بياناً: اتضح، فهو بيّن. وأبان الشيء فهو مُبين، وأبنته: أي وضحته، واستبان الشيء: ظهر، والتبيُّــن: الإيضــاح ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾.

واصطلاحاً: أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطـرق يختلـف بعضـها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه.

واضع هذا العلم: دوّن أبو عبيدة في كتابه «مجاز القرآن» مسائل هذا العلم، وتحدث عنه نقاد آخرون كالجاحظ، وبشر بن المعتمر، والرمّاني، والآمـدي، والقـاضي الجرجـاني، وابن رشيق، وأبي هلال العسكري، وما إن جاء عبد القاهر الجرجاني حتى أحكم أسـاس هذا العلم، وشيّد بناءه، ورتب قواعده بشكل دقيق... وتبعه في ذلك من جاء بعده.

وفائدته: الوقوف على أسرار كلام العرب منظومه ومنثـوره، ومعرفـة مـا فيـه مـن تفاوت في فنون الفصاحة والبلاغة التي يصل بها إلى مرتبة عالية.

مباحث علم البيان:

يتضمن علم البيان المباحث الآتية:

1- التشبيه.

2- المجاز.

3- الكناية.

التشبيه

معنى التشبيه:

هو إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة.

أركان التشبيه:

أركان التشبيه أربعة، هي: المشبه، والمشبه به،وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

أما طرفاه فهما: المشبه والمشبه به، هما طرفان، وهما ركنان، أما الأداة ووجه الشبه فركنان فقط.

والفرق بين الركن والطرف في التشبيه: أن الركن يمكن وجود التشبيه بدونه، بل إن حذفه أفضل من ذكره، أما الطرف فلا يمكن وجود التشبيه بدونه.

ووجه الشبه هو المعنى المشترك بين الطرفين، كالرقّة في تشبيه الفتاة بالزهرة، والرشاقة في تشبيهها بالغزال.

أدوات التشبيه:

أداة التشبيه هي أية لفظة تشعر بالمشابهة والمماثلة، وتقسم أدوات التشبيه إلى قسمين: أصلية وفرعية:

أ- الأدوات الأصلية: هي الكاف، وكأن، ومثلُ، وشِبهُ.

ب- الأدوات الفرعية: وهي كل لفظ يؤدي معنى المشابهة مثل: شابه، ضارع، ماثل، حاكى، يضاف إليها أفعال القلوب مثل: حَسِب، ظنّ، خال..

ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس:

فيا لكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ   بكل مغار الفتل شدّتْ بيذبُلِ

وقول البحتري في وصف بركة المتوكل:

إذا النجوم تراءت في جوانبها   ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

محفوفــة بريــاض لا تــزال تــرى ريـش الطواويـس تحكيـه ويحكيـها

اقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه والأداة:

1- التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة، فهو التشبيه الذي قيل بطريقة عفوية، أي أرسـل بلا تكلف، فذكرت أداة التشبيه بين الطرفين.

2- التشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة، ويقصد بالمؤكد أن التشابه بين الطرفين أكيد.

3- التشبيه المفصّل: ما ذكر فيه وجه الشبه.

4- التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه، أي أن التشبيه مختصر مجموع.

5- التشبيه البليغ: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

ومن أمثلة ذلك قول البحتري:

قُصُــورٌ كــالكواكبِ لامِعَــاتٌ يَكـدنَ يُضئـنَ للسَّـاري الظَّلامَـا

المشبه: قصور،المشبه بـه: الكواكـب،أداة التشـبيه: الكـاف (مرسـل)،وجـه الشـبه: لامعات (مفصل)،نوع التشبيه: مرسل مفصل.

وقول الشاعر:

أنــتَ نجــمٌ في رفعــةٍ وضيــاء تجتليـكَ العيـونُ شَـرقاً وغَربـا

المشبه: أنت (الممدوح)،المشبه به: نجم،أداة التشـبيه: محذوفـة (مؤكـد)،وجـه الشـبه: رفعة وضياء (مفصل).

نوع التشبيه: مؤكد مفصل.

وقول الشاعر:

كــمْ نعمــةٍ مــرّتْ بنــا وكأنــها فـرسٌ يــهرولُ أو نَسـيمٌ سـاري

المشبه: نعمة،المشبه به: فرس يهرول أو نسيم ساري،أداة التشبيه: كأن (مرسل)،وجه الشبه: محذوف (مجمل).

نوع التشبيه: مرسل مجمل.

وقول المرقّش:

النَّشْـرُ مِسْـكٌ والوُجُـوهُ دنـا　　نـيرٌ وأطـرافُ الأكـفُّ عَنَـمْ

يشبه المرقش النشر وهو طيب رائحة من يصف بالمسك، والوجوه بالدنانير، والأنامل المخضوبة بالعنم، وقد حذفت الأداة ووجه الشبه، فالتشبيه مؤكد مجمل، أي بليغ.

ومن صور التشبيه البليغ إضافة المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر:

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقَدْ جرى　　ذهبُ الأصيل على لُجين الماءِ

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

ومن صوره أن يكون المشبّه به مصدراً مبيناً للنوع، نحو: انطلق الجندي انطلاق السهم.

ومنه أن يكون المشبه به حالاً، نحو: حمل القائد على أعدائه هِزَبْراً.

ويمكن أن نأتي على مختلف الصور التي يكون عليها التشبيه المفرد من خلال الأمثلة الآتية:

- أنت مثل البحر في الكرم

المشبه: أنت

المشبه به: البحر

أداة التشبيه: مثل

وجه الشبه: الكرم

← تشبيه مرسل مفصل

- أنت بحر في الكرم

المشبه: أنت

المشبه به: البحر

أداة التشبيه: محذوفة

وجه الشبه: الكرم

← تشبيه مفصل مؤكد

- أنت مثل البحر
المشبه: أنت
المشبه به: البحر
أداة التشبيه: مثل
وجه الشبه: محذوف
تشبيه مرسل مجمل

- أنت بحر
المشبه: أنت
المشبه به: بحر
أداة التشبيه: محذوفة
وجه الشبه: محذوف
بليغ

أمثلة للتوضيح:

- قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ... ﴾

المشبه: الضمير في (كأنه) العائد على الجبل.

المشبه به: الظلة، وهي كلّ ما أظلك من سحاب ونحوه...

أداة التشبيه: كأنّ.

وجه الشبه: الارتفاع فوق القوم في الصورة والإحاطة بهم، ولا مفرّ لهم منه لو سقط عليهم، فهم هالكون لا محالة.

نوع التشبيه: مرسل مجمل.

- قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

المشبه: عرضها، أي عرض الجنة.

المشبه به: عرض السموات والأرض.

الأداة: محذوفة.

وجه الشبه: محذوف.

نوع التشبيه: بليغ.

- قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾.

المشبه: الجوار (السفن).

المشبه به: الأعلام (الجبال).

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: محذوف.

نوع التشبيه: مرسل مجمل.

- قال الرسول ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط».

المشبه: الناس.

المشبه به: أسنان المشط.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المساواة.

نوع التشبيه: مرسل مفصل.

- قال أبو نواس:

فـاَلخَمرُ ياقوتـةٌ والكـأسُ لؤلـؤة ٌ مِـن كـفـّ جاريــةٍ ممشُــوقةِ القَــدٌ

المشبه: الخمر.

المشبه به: ياقوتة.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: محذوف.

نوع التشبيه: بليغ.

- قال ابن الرومي:

يـــا شـــبيهَ البـــدر في الحُســـــ ... ـنِ وفي بُعْـــــدِ المنــــــالِ
جُـــد فَقَـــدْ تَنفَجِـــرُ الصَّخْـــــ ... ـرةُ بالمــــــاءِ الــــــزُّلالِ

المشبه: الحبيب.

المشبه به: البدر.

وجه الشبه: الحسن وبعد المنال.

أداة التشبيه: شبيه.

نوع التشبيه: مرسل مفصّل.

- وقال الشاعر:

أنت كالبحر ِفي السَّـماحَةِ والشّـ ... ـمس ِعُلُـوّاً، والبَـدْر في الإشــراقِ

المشبه: الممدوح (أنت).

المشبه به: السّماحة، الشمس، البدر.

وجه الشبه: السّماحة، علواً، الإشراق.

أداة التشبيه: الكاف.

نوع التشبيه: مرسل مفصل.

- ملحوظة:

ينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه غير تمثيلي، وتشبيه تمثيلي.

وفي التشبيه غير التمثيلي قد يكون وجه الشبه مفرداً، مثل:

1- أنت كالبحر سماحة.

2- محمد كالبدر إشراقاً.

3- علي مثل حاتم في الكرم.

وقد يكون وجه الشبه متعدداً، لكنّه لا يكوّن صورة مركّبة من هذا التعدد، مثال ذلك قول أبي بكر الخالدي:

يــا شــبيهَ البــدر حُســناً وَضِيــــاءً ومنَــــالا
وشَــبيهَ الغُصــنِ لينــاً وقوَامــاً واعتــدالا
أنــتَ مثــل الــورد لونــاً ونســيماً ومــلالا
زارنــا حتَّــى إذا مــا ســرّنا بــالقُربِ زَالا

المشبه: الحبيب.

المشبه به: البدر، الغصن، الورد.

وجه الشبه: الحسن والضياء والمنال في البيت الأول.

اللين والقوام والاعتدال في البيت الثاني.

اللون والنسيم والملال في البيت الثالث.

فوجه الشبه متعدد، لكنه لا يكوّن بتعدده صورة وهيئة.

أداة التشبيه: شبيه في البيت الأول والثاني، ومثل في البيت الثالث.

تطبيقات

◆ بيّن كلّ نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي:

1- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾.

2- قال النابغة:

فـإنَّكَ شَـمسٌ والملـوكُ كَوَاكِـبٌ إذا بـرزتْ لم يَبْـدُ مِنـهُنّ كَوْكَـبُ

3- قال امرؤ القيس:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخَـى سدُولَهُ علـيَّ بـأنواعِ الهُمُـومِ لِيَبتلـي

4- قال البحتري:

هـوَ بَحْـرُ السَّماحِ والجـودِ فـازْدَدْ منـهُ قربـاً تَـزدد مِـنَ الفقـرِ بُعـدا

5- قال الشاعر:

أنــا كالمــاءِ إن رضيــتُ صَفَــاءً وإذا مــا سَــخِطت كُنْــتُ لَــهيبا

6- قال أبو القاسم الشابي:

أراكَ فتخفُــقُ أعصــاب قلــبي وتــهتزُّ مثــلَ اهــتزاز الوَتَــرِ

7-قال أبو القاسم الزاهي يصف حسناوات:

ســفَرنَ بــدوراً وانتقــبن أهلّــةً وَمِسْــنَ غُصُوناً والتفــتنَ جَــآذرا

انواع التشبيه الأخرى:

1- التشبيه الضمني:

هو نوع من التشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، وإنما يلمح التشبيه ويعرف من قرينة الكلام ومضمونه، ولذلك سمي تشبيهاً ضمنياً، ومثاله قول أبي فراس الحمداني من قصيدة نظمها في بلاد الروم أيام أسره:

سَيذكُرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُم وفي اللَّيلةِ الظَّلْمَاءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

ومعنى البيت: أن قومي الذين أهملوني وتركوني في الأسر كأنهم قد نسوني، سيذكرونني عندما يجدّ الجدّ، وعندما يتعرضون لحرب قوية يحتاجون فيها لقائد عظيم مثل أبي فراس. فحالي كحال البدر ينساه الناس في الليالي المقمرة، إذ لا يشعرون بالحاجة إليه، ولكنهم في الليالي المظلمة يفتقدونه ويتمنون طلوعه.

شبه الشاعر نفسه بالبدر وشبه الحروب والظروف العصيبة بالظلام، وشبه حاجة قومه إليه أيام الأزمات كحاجة الناس إلى ضياء البدر في الليالي الحالكات.. وقد ضمن أبو فراس بيته هذا التشبيه دون أن يصرح بمشبه ومشبه به.

- ومن أمثلة ذلك قول المتني:

وأصبَحَ شِعْري منهما في مكانهِ وفي عُنُق الحسناءِ يُستَحسَنُ العِقدُ

المشبه: حال الشعر يثنى به على الكريم فيزداد الشعر جمالاً لحسن موضعه.

المشبه به: حال العقد الثمين يزداد بهاء في عنق الحسناء.

وجه الشبه: زيادة جمال الشيء لجمال موضعه.

- وقوله:

مَــنْ يَــهُنْ يَسْــهُلُ الهَــوانُ عليــهِ مــا لجــرحٍ بميّــتٍ إيــلامُ

يقول الشاعر: إن من عاش بالهوان واعتاده سهل عليه تقبل هوان جديد، وذلّ آخر، ولكي يبرهن على ما يقول ضرب مثلاً بالميت، فلو قطعت أجزاء الميت، لا يتألم ولا يحسّ، لأنه فقد أحاسيسه.

المشبه: الرجل الذي هان وسهل عليه قبول الهوان الجديد.

المشبه به: الميت الذي فقد أحاسيسه فلم يعد يألم لجرح جديد لو أصابه.

- وقوله:

كَــرَمٌ تبيّــنَ في كلامِــكَ مــاثِلاً ويبــينُ عِتــقُ الخَيْــلِ مــن أصْواتِــها

المشبه: حال الكلام الذي ينمّ عن كرم أصل قائله.

المشبه به: حال الصهيل الذي يدلّ على كرم الفرس.

- وقوله في سيف الدولة:

وإن تَفُــقِ الأنــامَ وأنــتَ مِنْــهُمْ فــإنَّ المســكَ بعــضُ دَمِ الغَــزَالِ

زعم الشاعر أن سيف الدولة قد فاق الأنام الذي هو واحــد منـهم، وصـار جنسـاً آخر. ولما لم يكن ذلك مسلماً له لا عقلاً ولا عادة، احتاج إلى أن يقويه، فألحقه بما لا نـزاع فيه وهو المسك، فإنه قد خرج عن أصله، وصار جنساً آخر حقيقة.

- ومنه قول أبي تمام:

لا تُنكرِي عطَلَ الكريمِ مـن الغِنَـى فالسَّيلُ حَــربٌ للمكــانِ العَــالي

يقول أبو تمام لمن يخاطبها لا تستنكري خلو الرجل الكريـم مـن الغنـى، فـإن ذلـك ليس عجيباً، لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن، لا يستقر فيها ماء السيل.. وهنـا نلمـح التشبيه، إذ إنه يشبه ضمناً الرجل الكريم المحروم الغنى بقمة الجبـل وقـد خلـت مـن مـاء السيل، ولكنه لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى.

تطبيقات

❖ **وضّح التشبيه الضمني في ما يلي:**

1- قال البحتري:

ضَحُوكٌ إلى الأبطالِ وهوَ يَرُوعُهُمْ وللسَّيفِ حَدٌّ حينَ يسطُو وَرَونَقُ

2- قال ابن الرومي:

قد يشيبُ الفتَى وليسَ عَجيباً أن يُرى النَّوْرُ في القَضيبِ الرَّطيبِ

3- قال أبو العتاهية:

تَرْجُو النَّجاةَ ولم تسلُكْ مَسَالكَها إنّ السَّفينة لا تجري عَلى اليَبَسِ

4- قال المتنبي:

وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهم ولكن معدن الذّهبِ الرّغام

5- وقال يمدح سيف الدولة:

ومن الخيرِ بطءُ سيبكَ عنّي أسرعُ السُّحب في المسيرِ الجهامُ

6- وقال يمدح سيف الدولة:

تزدَحِمُ القُصّادُ في بابهِ والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزّحام

7- قال ابن الرومي:

ويلاهُ إنْ نظَرَت وإن هي أعْرَضَتْ وَقْعُ السّهامِ وَنَزْعُهُنّ أليمُ

8- قال ابن المعتز:

اصْبِر على مَضَضِ الحسُو دِ فإنّ صَبْرَكَ قاتلُهْ

النّارُ تأكلُ بعضَها إن لَمْ تجد ما تأكلُه

9- قال أبو تمام:

وإذا أرادَ اللّهُ نشرَ فضيلة طويت أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

لولا اشتعالُ النار فيما جَاوَرَتْ ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ

10- قال الشّاعر:

لِكُلِّ شيءٍ آفةٌ من جنسِهِ حتَّى الحديد سطا عليه المبردُ

2- التشبيه التمثيلي:

هو التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من مركب، ومن أمثلة ذلك قول ابن المعتز:

قد انقضتْ دولةُ الصيامِ وقد بَشَّر سُقمُ الهلالِ بالعيدِ

يَتلُو الثُّريا كفاغرٍ شَرِهٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنقُودِ

فالمشبه: صورة الهلال و الثريا أمامه. «والثريا نجوم مجتمعة تشبه العنقود».

والمشبه به: صورة شره فاتح فاه لأكل عنقود من العنب.

ووجه الشبه: صورة شيء مقوس يتبع شيئاً آخر مكوناً من أجزاء صغيرة بيضاء.

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي في سيف الدولة:

يَهُزُّ الجيشُ حولَكَ جانبيهِ كما نفضتْ جَناحيها العقابُ

يشبه المتنبي صورة جانبي الجيش، ميمنته وميسرته، وسيف الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب، بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما، ووجه الشبه هنا ليس مفرداً ولكنه منتزع من متعدد، وهو وجود جانبين لشيء في حال حركة وتموج.

ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

المشبه: حال من ينفق قليلاً من المال في سبيل الله ثم يلقى عليه جزاء جزيلاً.

المشبه به: حال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

وجه الشبه: صورة من يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله كثيراً.

- وقولــه تعــالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾.

المشبه: الضمير في كأنهم، أي قوم عاد أصحاب هود، عليه السلام، حيث أهلكوا بالريح الصرصر الشديدة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

المشبه به: أعجاز النخل المنقعر المبعثر على الأرض وقد اجتثت من أصولها.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: هيئة أجسام ضخمة مبعثرة على الأرض، حيث فقدت هذه الأجسام حياتها.

- وقوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾.

المشبه: حال الدنيا في مسراتها وسرعة تقضيها وانتهائها، وكأنها طيف خيال.

المشبه به: حال نبات نما وقوي وأعجب به الزراع، ثم أصابته آفة فيبس واصفر وتفتت حطاماً، وتقطع أجزاء.

الأداة: الكاف من قوله (كمثل).

وجه الشبه: الإعجاب ثم سرعة الانقلاب، وفيه احتقار للدنيا والتحذير من الاغترار.

- وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾.

المشبه: صورة الذين أنزلت عليهم التوراة ولم يعملوا بها (وهم اليهود).

المشبه به: صورة الحمار الذي يحمل أسفاراً (كتباً جليلة) ولا يفقه أهميتها.

وجه الشبه: صورة من يحمل شيئاً مهما، يجهل قيمته.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ

أنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَئَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾.

المشبه: صورة من ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله.

المشبه به: صورة الجنة التي أتت أكلها ضعفين نتيجة ما أصابها من خيرات المطر.

أي أن كل من ينفق أمواله في سبيل الله يضاعف الله له الثواب.

- وقول بشار بن برد:

كأن مُثار النَّقعِ فوقَ رُؤوسِنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَوَاكِبُه

المشبه: صورة الغبار الذي يغشى ساحة الوغى فيظلمها، وقد لمعت فيها السيوف.

المشبه به: صورة الكواكب التي تلمع أثناء تحركها وتساقطها في الظلام.

وجه الشبه: بريق جسم أبيض في وسط ظلام أسود.

- وقول ابن الرومي:

ما أنسَ لا أنسَ خبَّازاً مررتُ به ... يدحُو الرُّقاقةَ وشكَ اللمحِ بالبصرِ

ما بين رُؤيتها في كفِّه كُرةً ... وبين رُؤيتها قوراءَ كالقَمرِ

إلا بمقدَار ما تنداحُ دائِرةٌ ... في صفحَةِ الماءِ ترمي فيهِ بالحَجَرِ

المشبه: حال عجينه الرقاقة في يد الخباز تكون أول أمرها كرة صغيرة ثم تنبسط وتستدير بسرعة.

المشبه به: حال دائرة في الماء ناشئة من إلقاء حجر فيه، تكون في أول أمرها صغيرة ثم تنداح بسرعة.

وجه الشبه: صورة شيء يبدو في أول أمره صغيراً مستديراً ثمّ يأخذ في الاتساع والانبساط وشيكاً.

فالشاعر رسم هنا صورة زخرفية جميلة من خلال تتابع الحركات وتلاحقها.

- وقول شوقي يصف الطبيعة:

ولقَدْ تمرُّ على الغديرِ تخالُهُ ... والنَّبتُ مرآةً زهتْ بإطارِ

المشبه: صورة الغدير يحيط به النبات الجميل.

المشبه به: صورة المرآة المصقولة، ذات الإطار الجذّاب.

وجه الشبه: شيء لامع، يحيط به شيء جميل، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، ولا نستطيع تجزئة الصورة، فلا نقول الغدير كالمرآة، والنبات كالإطار.

- وقول الشاعر في وصف امرأة تبكي:

كـأنَّ الدُّمـوعَ علـى خدِّهـا بقيّـةُ طـلٍّ علـى جُلّنـار

المشبه: الدموع على الخدّ.

المشبه به: بقية الدموع على جلّنار.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: صفاء الدموع وبياضها فوق الخدّ المحمرّ.

ولتشبيه التمثيل وجه آخر ينتزع فيه وجه الشبه من مَثَل أو قصة، أو نادرة، كما في أمثال كليلة ودمنة، وقد يطلق على هذا النوع اسم التشبيه المرشّح، أي الذي يكاد ينسى فيه التشبيه، بينما يكثر الحديث عن المشبه به.

وقد كثر التشبيه المرشح في الشعر الجاهلي ولا سيما عند النابغة، حينما كان يشبه ناقته بالثور الوحشي ثم يترك الناقة ويصف الثور الوحشي وصفاً مفصلاً في قوته وسرعة جريه تحت شؤبوب البرد، وفي صراعه مع كلاب الصيد حتى يستغرق ذلك بضعة عشر بيتاً:

كـأنّ رحَلـي وقـد زالَ النـهارُ بنـا بذي الجليلِ علـى مُستأنِس وحَـدِ

من وحشِ وَجـرَة موشِـيٍّ أكارعُـه طاوي المصيرِ كسيفِ الصيقلِ الفردِ

سَـرَتْ عليـه مـن الجـوزاء سـاريةٌ تُزجي الشّمالُ عليـها جـامدَ الـبردِ

فارتاع من صوتِ كلاّبٍ فبـات لـه طوعَ الشوامِت من خوف ومن صَرَدِ

تطبيقات

❖ وضّح التشبيه التمثيلي في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

9- قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ﴾.

10- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾.

11- قال ابن الرومي في المشيب:

أوّلُ بدءِ المشيبِ واحدةٌ ... تُشْعِلُ ما جاورتْ من الشَّعَرِ
مثلُ الحريقِ العظيمِ تبدؤهُ ... أوّلَ صَوْلٍ صغيرةُ الشَّرر

12- قال الشاعر:

وَمَا المرءُ إلاّ كالشِّهابِ وضَوئِهِ ... يوافي تمامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يغيبُ

13- قال صفي الدين الحلّي:

والبدرُ في كبدِ السَّماءِ كَدِرْهَمٍ ... ملقىً على ديباجةٍ زَرْقَاءِ

14- قال صالح بن عبدالقدوس:

وإنَّ ما أدّبتَه في الصِّبا ... كالعودِ يُسقى الماء في غرسهِ
حتى تراهُ مورقاً ناضِراً ... بعد الذي أبصرتَ من يبسهِ

15- قال شوقي:

أسْرى بكَ اللّهُ ليلاً إذ ملائكُه ... والرُّسْلُ في المسجدِ الأقصى على قدمِ
لما خطرتَ به التفُّوا بسَيِّدِهمْ ... كالشُّهبِ بالبدر أو كالجُنْدِ بالعَلَم

16- قال ابن المعتز يصف السماء بعد تقشع سحابة:

كأنَّ سَماءنا لما تجلَّت ... خِلالَ نُجومِها عندَ الصَّباحِ
رياضُ بنفسجٍ خَضِلٍ نداهُ ... تَفَتَّح بينهُ نُورُ الأقاحِ

17- قال الشاعر يمدح فارساً:

وتـراهُ في ظُلَـــمِ الوَغــى فتَخَالُــهُ   قمراً يكُـرُّ علـى الرِّجَالِ بِكَوكَـبِ

18- قال الشاعر:

كـــأنّ ســـهُيلاً والنجـــوم وراءهُ   صُفـوفُ صـلاةٍ قـامَ فيـها إمامُـــها

3- التشبيه المقلوب

هو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، ومـن أمثلـة ذلـك قول محمد بن وهيب الحميري في مدح الخليفة المأمون:

وبَـــدا الصَّبـــاحُ كـــأنّ غُرّتـــه   وجـهُ الخليفـــةِ حـــين يُمتَـــدحُ

فالشاعر قلب التشبيه في هذا البيت، إذ شبه غرّة الصبـاح بوجـه الخليفـة إيـهاماً أن الإشراق «وجه الشبه» أتمّ في وجه الخليفة منه في الصباح.

ومنه قول البحتري في وصف بركة المتوكل:

كأنّــها حِـينَ لجّــتْ في تَدَفُّقِـــهَا   يَــدُ الخليفــةِ لَمّــا سَــالَ واديـــها

فقد شبه الشاعر تدفق مياه البركة كتدفق يد الخليفة في العطاء.

- وقول الشاعر:

أحـــنّ لَـــهُمْ وَدُونَـــهُمُ فَـــلاةٌ   كـأنّ فَسِـيحَهَا صَـــدْرُ الحليـــمِ

المشبه: فسيح الفلاة.

المشبه به: صدر الحليم.

نوع التشبيه: مقلوب، فالمعهود تشبيه صدر الحليم بـالفلاة، ولكـن الشـاعر عكـس التشبيه رغبة في المبالغة.

تطبيقات

◆ وضّح التشبيه المقلوب في الأمثلة الآتية:

1- قال البحتري:

أينَ الغزالُ المستعيرُ من النَّقَا كِفلاً ومن نَوْرالأقاحي مبسمًا؟

2- وقال:

في طلعةِ البدر شيءٌ من مَحاسِنِها وللقضيبِ نصيبٌ من تَثَنِّيها

3- قال عبدالله بن المعتز في تشبيه الهلال:

ولاحَ ضوءُ قميرٍ كادَ يَفضحُنَا مثلَ القُلامةِ قد قُدّتْ من الظُّفُرِ

4- وقال في وصف سحابة ويشبه البرق بالسيوف المنتضاة:

وساريةٍ لا تَمَلُّ البكَا جرى دمعُها في خُدودِ الثَّرى

سَرت تقدحُ الصُّبحَ في ليلِها ببرقٍ كهنديةٍ تُنتضَى

5- قال الشاعر:

والبدرُ في أفقِ السَّماءِ كغادةٍ بيضاءَ لاحت في ثياب حِدادِ

حتّى بدا وجهُ الصَّباحِ كأنَّهُ وجهُ الحبيبِ أتى بلا ميعَادِ

6- كأن الماء في الصّفاء طباعه.

أغراض التشبيه:

الغرض من التشبيه هو إظهار صفة المشبه عن طريق مقابلتها بصفة مماثلة هي صفة المشبه به، غير أنها أعظم منها، وذلك توضيحاً وإبرازاً لها، وتبياناً لهذه الغاية تكمن فوائد كثيرة منها:

1- بيان حال المشبه، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه، كقول النابغة يمدح النعمان:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا برزتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ومن ذلك قوله تعالى في بيان حال المنافقين في نفارهم عن الحقّ، وذهابهم عن الدين، وإعراضهم عن الاستماع للقرآن: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى حين أراد أن يبين ضعف إيمان المنافقين: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾.

فالمشبه في الأمثلة السابقة اتضحت معالمه بعد ذكر المشبه به.

2- بيان إمكان حال المشبه، وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح، ليثبت في ذهن السامع، كقول ابن الرومي:

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هيَ أعْرضتْ وقعُ السهامِ ونَزْعُهنَّ أليمُ

شبّه نظرها بوقع السهام، وإعراضها بنزعها، بياناً لإمكان إيلامها بها جميعاً.

3- بيان مقدار حال المشبه، وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، وكأن التشبيه يبين مقدار هذه الصفة، كقول الشاعر:

إذا قامتْ لحاجتِها تثنّتْ كأنّ عظامَها من خيزرانِ

جاء التشبيه ليبين مقدار الليونة التي هي الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به.

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾.

- وكقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

ويشترط لاستيفاء هذا الغرض أن يكون المشبه بـه مساوياً للمشـبه، كمـا يجـب أن يكون المشبه به أشهر عند المخاطب من المشبه حتى يمكن قياس المشبه عليه.

4- تزيين المشبه: وذلك بتحسينه وتجميله، وإظهاره في صورة ترغبها النفس، كقوله تعـالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾.

- وكقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾.

5- تقبيح المشبه بإلحاقه بمشبه به قبيح ومكروه، كقوله تعـالى في شـجرة الزقـوم: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ ﴾.

- وكقولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾.

6- تقرير صفة المشبه في ذهن السامع، كقول الشاعر:

إنّ القلـــوبَ إذا تنـــافرَ ودُّهـــا   مثلُ الزُّجاجـةِ كَسْـرُهَا لا يُجـبرُ

حيث شبه الشاعر قلوب المحبين المتنافرة، وهو أمر معنوي، بقطـع الزجـاج المتنـاثرة وهو أمر حسي، وذلك بصفة مشتركة بينهما، وهي استحالة إعـادة اللحمـة بـين القلـوب المتنافرة، كاستحالة إعادة جبر قطع الزجاج المتناثرة.

وكقولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾.

فأعمال الكافرين شيء معنوي لا يتمكن من النفوس إلا إذا أتى في معرض الحـس والمشاهدة، فمرة يشبه بالرماد الذي تذروه الرياح الهوجاء في يوم شـديد العصـف، ومـرة بأنه السراب الخادع الذي تطمئن إليه ثم تنكشف حقيقته وأننا نبوء معه بالخسـران، ومـرة بأنها الظلمات المتراكمة لا نتبين منها شعاعاً من نور الحق، وكل هذه صـور حسـية تراهـا الأعين فتطمئن إلى وقوعها وحتمية مآلها، وتزيل كل شك أو تردد في ذهن السامع بمصـير أعمال الكافرين.

وعند الحديث عن التشبيه لا بدّ من الإشارة إلى عدد من العناصر التي تساعد على رسم الصورة التشبيهية، ومن هذه العناصر:

1- الفاعلية النفسية للصورة التشبيهية.

2- التجربة الشعورية التي يكشف عنها التشبيه.

3- الإيحاءات التي تفيض بها الكلمات المكتنزة بالمعاني في رسم الجو الشعوري.

4- المعادل الموضوعي الذي يتحقق بواسطة الصورة التشبيهية الناجحة.

ولعلّ الجوّ النفسي الذي يخلقه التشبيه يتمثل في قول مجنون ليلى:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى بليلَى العامريَّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّهَا شَركٌ فباتتْ تُنازعهُ وقد عَلِقَ الجَناحُ
لها فَرخَانِ قد تُركا بوكرٍ فعشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيَاحُ
فلا في اللَّيلِ نالت ما ترجَّى ولا في الصُّبحِ كانَ لها بَراحُ

فالشاعر عندما علم برحيل محبوبته (ليلى) تراءت له صورة القطاة، وهي صورة نسجها خياله، وقد علقت بالشراك، وهي طائر يحب صغاره جداً.ومما يزيد في مأساة هذه القطاة أن لها فرخين صغيرين في عشٍ تتقاذفه الرياح، مما جعل مأساتها مزدوجة، فواحدة في نفسها العالقة بالشراك، وما لها منه فكاك، وأخرى في صغيريها المشرفين على الهلاك.

ولم يشفع لهذه القطاة حبها العظيم لصغارها، أو سرعتها في الخلاص من هذه الشباك أو العودة إلى صغيريها، ولذلك فهي لم تنل هذه ولا تلك.

وهكذا فقد وجد الشاعر في صورة القطاة معادله الموضوعي، فنقل كل مشاعره وأحاسيسه تجاه فراق الحبيبة إلى جو القطاة وفراخها المشرفة على الهلاك، وقدم هذه الصورة إلى المتلقي كي يتأملها ويستشف منها مشاعر الشاعر وعواطفه، مما يعني إثارة أو خلق حالة عند المتلقي تشبه تلك التي يعانيها الشاعر.

ومما ساعد في جمال هذه الصورة التشبيهية،كذلك، تلك العواطف التي أفرزتها التجربة الشعورية التي مرّ بها الشاعر، وتلك اللحظات المضيئة المتمثلة باختيار الألفاظ الموحية بالجو المأساوي، وذلك الخيال المبدع الذي استطاع الشاعر بواسطته رسم هذه

الصورة التشبيهية التي تتميز بالجدّة والتأثير.

وهذا الجو النفسي الذي يتولد من التشبيه يتمثل في قول المتنبي:

بَليتُ بلِى الأطلال إن لم أقفْ بـها وُقُوفَ شَحيحٍ ضَاعَ في التُّربِ خَاتِمُـهْ

فالمتنبي يدعو على نفسه بالهلاك إذا هو لم يقفْ بالأطلال ليذكر من كان بـها، وبعـد ذلك صور هيئة وقوفه، فأبدع في رسم هذه الصـورة، إذ إن وقوفـه علـى الأطـلال وهـو يتلفت يمنة ويسرة، ويتفقد آثار الأحبة، يبكي ويستبكي من حوله رأفة بحالـه، هـذه الحالـة تشبه حالة بخيل فقد خاتمه في التراب وبدأ يبحث عنه دون جـدوى.. ففـي هـذه الصـورة التشبيهية تبدو الجدّة، والجمال الفنّي، والإيحاءات النفسية التي يوحيها التشبيه مـن خـلال الإتيان بالمشبه به، وهو ذلك الإنسان البخيل الذي أصابته الحيرة والذهـول نتيجـة ضيـاع خاتمة في التراب، فيذهب هنا وهناك علّه يجده، ولكن دون جدوى.. وقد كان للخيال دور كبير في رسم هذه الصورة الناجحة.

فالصورة التشبيهية الجيدة تستمد بلاغتها وجمالها من الإيحاءات النفسية التي توحيـها القصيدة أو الأبيات مجتمعة نتيجة للتجربة الشعورية التي مرّ بـها الشـاعر وعاناهـا. ومن ذلك قول أبي القاسم الشابي:

أنـتَ يـا قلـبي عـشٌ نفـرت عنـهُ القطـاة
فأطارتـه إلى النّـهر الرِّيـاحُ العَاتيـات
فَـهو في التيـار أوراقٌ وأعـوادٌ عـراة
أنـتَ حقـلٌ مجـدبٌ قـد هـزأت منـهُ الرُّعـاة
أنـتَ ليـلٌ معتـمٌ تنـدبُ فيـه الباكيـات
أنـتَ كَـهفٌ مظلـمٌ تـأوي إليـه البائسـات
أنـتَ قَـبرٌ فيـه مـن أيـامي الأولى رُفـات

وعند النظر إلى هذه الصورة الشعرية لا بـدّ مـن التنبـه إلى قضيـة مهمـة، وهـي أن التشبيهات البليغة لم تكن لتؤدي دورها في رسم صورة معاناة الشـاعر لـولا اجتماعـها في النهاية في بوتقة واحدة وهي التعبير عن معاناة الشاعر وألمه.

المشبه	المشبه به
1- القلب	العش الذي نفرت منه القطاة علماً بأن العش رمز للألفة والحنان.
2- القلب	الأوراق التي يتلاعب بها التيار لا تعرف أين تستقر.
3- القلب	أعواد عارية من أوراقها التي تكسبها الحياة والجمال والاستقرار.
4- القلب	الحقل الجدب المنفّر.
5- القلب	الليل الموحش الذي لا يصلح لغير الندب والعويل.
6- القلب	الكهف المظلم المخيف الذي يلجأ إليه من انقطعت به سبل الحياة.
7- القلب	القبر الذي لا حياة فيه.

وكلّ هذه التشبيهات البليغة الجزئية ترسم صورة تشبيهية كلية لحياة البؤس والشقاء والألم والحسرة التي يعاني منها الشاعر.

وقد رسم إبراهيم ناجي في قصيدة (الأطلال) صورة مؤثرة لمايعانيه من ألم، وحالة نفسية سيئة من خلال التشبيهات التي بنى عليها صوره في القصيدة، فالفجر الذي يرمز في العادة إلى الأمل أصبح عند شاعرنا -الذي عانى تجربة مريرة انعكست على نظرته إلى الأشياء- يشبه الحريق المدمّر، وهذا يبدو في قوله:

يقظةٌ طاحَتْ بأحلام الكَرى   وتولّى اللّيلُ واللّيلُ صَديق
وإذا النُّورُ نذيرٌ طالعٌ   وإذا الفجر مطلٌّ كالحريقْ
وإذا الدُّنيا كَما نعرفُها   وإذا الأحبابُ كُلٌّ في طَريقْ

وقد أبدعت حمدونة بنت زياد الأندلسية في رسم الصورة التشبيهية الآتية:

وَقَانا لفحَةَ الرَّمضاءِ وادٍ   سقاهُ مُضاعفُ الغيثِ العميمِ
نزلنا دوحَهُ فَحَنا عَلينا   حُنوَّ المرضعاتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظَمأ زلالاً   ألذَّ من المدامَةِ للنَّديمِ
يروعُ حصاهُ حاليةَ العَذارى   فتلمس جانبَ العقدِ النَّظيمِ

في هذه المقطوعة تصف حمدونة وادياً مخصباً التجأت إليه مع صاحباتها اتقاء للحرّ، وتشبه ظلال الدوح (الأشجار) بحنو المرضعات على الطفل الفطيم.. وعندما همت وصاحباتها للشرب من ماء الوادي الصافي نظرت في الماء فإذا بالحصى يتلألأ، ومن شدّة لمعانه ظنت كل واحدة أن عقدها قد انقطع نظامه، وتساقطت حباته في الوادي، فوضعت يدها عليه تتحسسه.

تطبيقات

◆ بين نوع التشبيه في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾.

9- قال الرسول ﷺ : «أصْحابي كالنجومِ بأيهمْ اقتديتمْ اهتدَيْتمْ».

10- قال الشاعر:

إذا كـــان وجـــهكَ شمعـــاً　　　فمـــا لجســـمي يـــذوبُ؟

11- قال الشاعر:

إنَّ حظّـــي كَدقيـــقٍ　　　في يـــومِ ريـــحٍ نـــثروهْ

ثـــمَّ قـــالوا لُحفـــاةٍ　　　في أرضِ شَـــوكٍ اجْمَعُـــوهْ

12- قال الشاعر:

حسَبتُ جَمالَها بَدراً منيراً ... وأين البدرُ من ذاك الجمالِ؟

13- قال المتنبي في وصف الأسد:

يطأ الثَّرى مُتَرَفِّقاً من تيهِهِ ... فكأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عليلا

14- قال البحتري في وصف سحابة:

كأنَّ سناها بالعشيِّ لصُبْحِها ... تبسُّمُ عيسى حينَ يلفظُ بالوعدِ

15- قال ابن الرومي:

شَبيه البدر حُسناً وضياءً ومنالاً ... وشبيه الغُصنِ ليناً وقواماً واعتدالا

16- قال المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

وإن تكنْ تغلبُ الغلباء عنصرها ... فإنَّ في الخمر معنىً ليسَ في العنبِ

17- قال أبو العلاء المعري:

ليلتي هذه عروسٌ من الزّنـ ... ـجِ عليها قلائدٌ من جُمانِ

هربَ النومُ عن جُفوني فيها ... هربَ الأمن عن فؤادِ الجبان

وسهيلٌ كوجنةِ الحبِّ في اللو ... نِ وقلبِ المُحبِّ في الخَفَقانِ

18- قال بدر شاكر السياب:

سَوفَ أمضي أسمعُ الرِّيح تُناديني بعيداً
في ظلامِ الغابةِ اللَّفَّاء.. والدَّربُ الطويل
يَتمَطَّى صَخراً، والذئبُ يعوي، والأفول
يسرقُ النَّجمَ كما تَسرقُ رُوحي مُقلتاك
فاتركيني أقطع اللَّيلَ وحيداً
سَوفَ أمضِي، فَهي ما زالت هُناكَ
في انتظاري

19- قال توفيق زياد من قصيدته (هنا باقون):

كأنَّنا عشرونُ مُستحيل
في اللّد والرَّملةِ والجليل
هنا.. على صُدوركُم باقون كالجدار
وفي حُلوقِكُم
كَقطعةِ الزُّجاجِ كالصُّبَّار
وفي عُيونكُم
زَوبعةٌ من نار

20- قال عبدالله البردوني (ليلة خائف):

كَـــانت قَنـــاديلُ المدينـــة كالشّـــرايين النّـــوازف
والجـــوُّ يلـــهثُ كـــالمدا خـن فـوقَ أكتـافِ العَواصِـف
وهنـــاكَ مذعـــوّر بـــلا حـانٍ علـى الأشـواكِ عـاكِف
كالطّـــائرِ المجـــرُوح في عُـشٍّ بـأيدي الرِّيـح واجِـف

❖ استعن بالمصادر الآتية، ثم بين جمال التشبيه التمثيلي في الآية الآتية:

1- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري.

2- الكشاف للزمخشري.

3- في ظلال القرآن، سيّد قطب.

قال تعـالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

الحقيقة والمجاز

أنواع الحقيقة:

الحقيقة في البلاغة نوعان: حقيقة لفظية، وحقيقة معنوية.

أما الأولى فتقوم على استخدام اللفظ المفرد فيما وضع له في الأصل، كالقلم لأداة الكتابة، والأسد للحيوان القوي المفترس المعروف بهذا الاسم .

أما الثانية فتقوم على الإسناد، إسناد المعنى إلى صاحبه الحقيقي، كالصهيل إلى الحصان، والتغريد إلى الطير، والنطق إلى الإنسان، فتقول: صهل الحصان، وغرد الطير، ونطق محمد. أما إذا اسندنا التغريد إلى الإنسان كقولنا غرّد المغني، فإنّ الإسناد يكون مجازياً لا حقيقياً.

أنواع المجاز:

المجاز نوعان كذلك؛ المجاز اللغوي (اللفظي)، والمجاز العقلي.

المجاز اللغوي

المجاز اللغوي: هو استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة. ويقسم قسمين:

1- مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمة قائمة على غير المشابهة.. وهذا هو المجاز المرسل.

2- مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمة قائمة على المشابهة.. وهذا اللون هو الاستعارة.

المجاز العقلي

هو إسناد الفعل أو ما هو في معناه (أي المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل..) إلى غير صاحبه لعلاقة، مع قرينة تمنع أن يكون الإسناد حقيقياً.

وسمي عقلياً لأن التجوز فهم من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي.

والإسناد الحقيقي كقولنا: جاء محمد، فنحن هنا أسندنا الفعل إلى فاعله الحقيقي، ويلحق به كل إسناد قام على وجه الحقيقة والواقع.

والعلاقة في المجاز العقلي بين الفعل أو ما هو في معناه ، وبين الفاعل غير الحقيقي أنواع منها:

1- العلاقة السببية، ومثال ذلك: تبني الحكومة المستشفيات، فقد أسند الفعل «تبني» إلى الحكومة، والحكومة تعبير معنوي، يقصد به الحكام... وهؤلاء لا يقومون بالبناء بأنفسهم، وإنما يقوم به العمال، والسبب في قيام البناء هو أمر الحكومة، إذن فالذي سوّغ إسناد الفعل إلى غير صاحبه هو العلاقة السببية.

ومن أمثلة ذلك: بنى المعتصم مدينة سامراء.

2- العلاقة المكانية، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾.

فقد أسند الجري إلى الأنهار، وهي أمكنة للمياه ،وليست هي الجارية بل الجاري ماؤها.

3- العلاقة الزمانية، وهي مضاهاة المسند إليه المجازي للمسند إليه الحقيقي في ملابسة الفعل، لأنه زمانه، ومن ذلك قول أبي البقاء الرّندي:

هي الأمورُ كَما شاهدتُها دولٌ ... من سرَّهُ زمنٌ ساءتهُ أزمانُ

أسند الإساءة والسرور إلى الزمان، فالزمن بحد ذاته أمر معنوي، نشعر به ولكنا لا نستطيع لمسه، أو ذوقه، أو شمه، فالإسناد ليس حقيقياً، وإنما هو إسناد مجازي، علاقته الزمانية، فالسرور على جهة الحقيقة لا يكون إلا من اللّه -سبحانه وتعالى- وحده، وكذلك الإساءة.

ومن ذلك: مرت علينا سنة مجدبة، فالسنة بحد ذاتها لا تجدب وإنما الأرض هي التي تجدب، فتكون السنة زمن الجدب، والإسناد حدث مجازاً إلى زمن الفعل أو ما هو في معناه.

4- العلاقة المصدرية،وفيها يسند الفعل إلى مصدره،ومثال ذلك قول أبي فراس الحمداني:

سَيذكُرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلةِ الظّلماءِ يفتقدُ البدْرُ

فقد أسند الفعل (جدّ) إلى مصدره (جدّهم) أي اجتهادهم، وهو ليس بفاعله على الحقيقة، بل الفاعل؛ الجادّ نفسه، وأصله: جدّ الجادّ جداً.

فهنا ضاهى المسند إليه الحقيقي في ملابسة الفعل له، لأنه فاعله، والمسند إليه الحقيقي هنا، هو نائب الفاعل.

5- العلاقة الفاعلية : وفيها يسند ما بني للمفعول إلى الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾.

وحقيقة الإسناد حجاباً مستوراً صاحبه به، أي يستره الحجاب.

وقول الشاعر:

تكاد عطاياه يُجنّ جنونها   إذا لم يعوّذها برقية طالب

جعل عطايا ممدوحه كائناً حياً، الشاهد يجن جنونها، أسند الفعل (يجن) إلى الجنون وهو مصدر يُجنّ بدلاً من إسناده إلى الرجل الذي يكون فيه الجنون.

6- العلاقة المفعولية، وفيها يسند الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به، ومثاله قول الحطيئة في هجاء الزبرّقان بن بدر:

دعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها   واقعدْ فإنّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي

يريد: المطعوم المكسو، فأسند المبني للفاعل إلى ضمير المفعول على طريق المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية. (أي أنت ذو طعام وذو كساء).

تطبيقات

❖ وضّح علاقات المجاز العقلي في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾.

5- قال المتنبي:

والهَـمُّ يخْـتَرِمُ الجَسِـيمَ نحافـةً ... ويُشيبُ ناصيـةَ الصبـيِّ ويُـهرِمُ

6- وقال:

صَحِبَ النَّـاسُ قبلنـا ذا الزَّمَانـا ... وعنـاهم مـن شـأنه مـا عنانـا

وتولَّـوا بغُصَّـةٍ كُلُّـهُم منـ ... ـه وإنْ سـرَّ بعضَـهُم أحيانـا

رُبَّمَـا تحسـنُ الصَّنيـعَ لياليـ ... ـه ولكـن تُكـدِّرُ الإحسَـانا

كلَّمـا أنبـت الزمـانُ قنـاةً ... ركـبَ المـرء في القنـاةِ سِـنانا

7- قال كثيّر عزة:

ولما قضينـا مـن مِنـىً كـلَّ حاجـةٍ ... ومسَّـحَ بالأركـانِ مَـنْ هـو ماسِـحُ

أخَذْنـا بـأطرافِ الأحـاديثِ بيننـا ... وسَـالتْ بأعنـاقِ المطـيِّ الأبـاطحُ

8- قال البحتري:

طـواه الـرَّدى حتَّـى استمرّ مريـرهُ ... فما فيه إلا العظمُ والـرّوحُ والجلـدُ

9- قال عمر بن أبي ربيعة:

هـاجَ فـؤادي موقـفٌ ... ذكّرنـي مـا أعـرفُ

المجاز المرسل

المجاز المرسل: لفظة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وسمي مجازاً مرسلاً لأن العلاقة فيه ليست محصورة في واحدة بعينها، وإنما أطلقت وأرسلت، وأصبحت تشمل أكثر من جهة بيانية.

أهم علاقات المجاز المرسل:

العلاقات في المجاز المرسل كثيرة، ذكر الخطيب القزويني منها ثماني علاقات، وذكر ابن الأثير عن أبي حامد الغزالي أربع عشرة علاقة، وأوصلها السيوطي إلى حوالي عشرين علاقة، وبلغت عند الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ستاً وعشرين علاقة رئيسة، ثم ألحق بالعلاقة الأخيرة خمس علاقات رأى أنها تشبهها، فتصير جملة العلاقات عنده إحدى وثلاثين علاقة.

1- السببية (استعمال السبب للدلالة على النتيجة):

وهي تسمية الشيء باسم سببه، كقولنا: رعى الجواد الغيث، فالغيث مجاز، وهو سبب أطلق على نتيجته (مسببة) (العشب)، والقرينة رعى، وبما أن الغيث سبب في العشب، فالعلاقة سببية.

ومن أمثلة ذلك:

- قرأت العقاد، أي مؤلفاته.
- درست شكسبير، أي مسرحياته.

فهنا ذُكر اللفظ الخاص بالسبب وأريد الأثر الناتج عنه.

وقد كثرت هذه العلاقة في الشعر، فمن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَن أحدٌ عَلينا فَنَجْهلَ فوقَ جهلِ الجاهِلينا

فالجهل الأول حقيقة، والثاني مجاز مرسل علاقته السببية، أطلق للرد على الجهل الأول، ويجوز فيه أن يكون مشاكلة، أي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك قول السموأل:

تسيل على حدّ الظباتِ نفوسُنا وليستْ على حدّ الظباتِ تسيل

فوجود النفس سبب للدم، علامة الحياة.

2- المسببية (استعمال النتيجة للدلالة على السبب):

ويقصد بهذه العلاقة تسمية الشيء باسم نتيجته، أوما يتسبب عنه، فيستعملون اللفظ الدال على المسبب أي النتيجة، ويريدون السبب، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾. يلاحظ أن لفظة (ناراً) في علاقة انحرافية مع الفعل (يأكلون)، إذ إن هذا الفعل يتطلب مفعولاً خاصاً يتلاءم مع طبيعته، بينما (ناراً) لا تؤكل. وهكذا فإن الانزلاق حدث للفظة (الأموال المحرمة)، التي حلّت محلها لفظة (ناراً)، والأموال المحرمة هي التي تؤدي إلى النار. وبما أن النار تتسبب عن أكل المال الحرام، فالعلاقة المسببية.

يأكلون	أموالا حراماً	- النار
	السبب	- النتيجة

ومن ذلك، «أمطرت السماء نباتا»، ويقصد بكلمة (نباتا) مطراً، ولكن النبات متسبب عن المطر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾، أي مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾، فالرزق لا ينزل من السماء، وإنما الذي ينزل هو الغيث الذي يروي الأرض ويسبب الرزق.

3- الكلية:

يقصد بالعلاقة الكلية تسمية الشيء باسم كلّه، بحيث يستعمل اللفظ الدالّ على

الكلّ ويراد جزء منه. إنّ العلاقة الكلية المقصودة هي غير الكلي الذي له جزئيات، فمن المعروف أن استعمال الكلي مراد به الجزئي من قبيل الحقيقة لا المجاز، نحو: جاءني إنسان، تريد محمداً مثلاً، ذلك لأن المعنى الكلي يتحقق كاملاً في جزء من جزئياته، فمعنى الإنسانية كما هو واضح (حيوان ناطق ..) كاملاً يتحقق في محمد كما هو متحقق في خالد... الخ.

إن الأمر ليس كذلك بين الجزء وكله، ففي قولنا: «شربت ماء زمزم» نلاحظ أن استعمال ماء زمزم لا يؤخذ على حقيقته في الكلام، إذ إن الشرب لا يمكن أن يكون لكل ماء زمزم، فقد استعمل ماء زمزم، والمقصود هو جزء صغير من ماء زمزم، فانتقلت دلالة ماء زمزم من مدلولها الاصطلاحي الذي هو كل ما (تحوي) البئر من ماء إلى المدلول الثاني المقصود، وهو كمية قليلة من هذا الماء .

ومن أمثلة ذلك : أكلت تفاح لبنان، وشربت ماء النيل، وانتشر الجيش في شوارع المدينة للحفاظ على الأمن، وتمكنت الشرطة من ضبط المسروقات، وسكنت مصر، وقطعت السارق.

فالتقدير: بعض تفاح لبنان، وبعض ماء النيل، وبعض الجيش، وبعض الشرطة، ومنزلاً في مصر، ويد السارق.

ومن الأمثلة الأخرى التي يمكن ذكرها هنا قول أحدهم :

" أنا محطم، ثروتي ضاعت"، عندما يخسر خمسة وعشرين قرشاً في لعبة الورق، فالثروة كلها ممثلة بـ" خمسة وعشرين " قرشاً.

وقوله:" أنا متألم"، عندما يكون إصبع رجله متقرحاً.

وقوله: "تحطمت السيارة"، عندما تتعطل البطارية.

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

أقمْتُ بأرضِ مصرَ فلا وَرائي تَخُبُّ بي الركابُ ولا أمامي

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾.

فكلمة "أصابعهم" مجاز؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يجعل إصبعه كله في أذنه، والمقصود أناملهم بدليل قوله تعالى: ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾، والإصبع كل، فالعلاقة كلية.

4- الجزئية:

يقصد البلاغيون بالعلاقة الجزئية تسمية الشيء باسم جزئه، بحيث يستعملون اللفظ الدال على جزء الشيء، ويريدون الشيء كله. ويشترط في هذا الجزء الذي يراد به الكل أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من كله. ومن ذلك قولنا: "أرسلنا العيون لمراقبة الحدود". إن استخدام كلمة العيون هنا لا ينحصر ضمن المدلول الاصطلاحي؛ وذلك لأن المرسلة ليست العيون. لقد قامت هذه الكلمة مقام كلمة (الجواسيس)، وانزلقت هنا كلمة (الجواسيس) التي تجعل هناك انسجاماً في المعنى لتقوم مقامها كلمة (العيون) ، وهذه اللفظة الأخيرة قادرة على نقل الدلالة إلى مفهوم الجواسيس.

وهنا لا بد من الإشارة إلى الملاحظات الآتية :

أولاً: إن الارتباط بين كلمة العيون والجواسيس هو ارتباط داخلي، إذ إن الحقل الدلالي لكلمة (العيون) لا يشكل وضعاً مستقلاً عن الحقل الدلالي للفظة الجواسيس، فهي جزء منها.

ثانياً: لابدّ أن يكون للجزء المعبّر عن الكل أهمية خاصة بالنسبة للكل، حيث يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل، كما في إطلاق العين على الجاسوس، إذ لا يجوز هنا إطلاق اليد أو الرجل على الجواسيس مثلاً ، لأن المشاهدة وتتبع أحوال الناس كلاهما يتحقق بالعين على نحو واضح مشهور، وليس كذلك الأيدي والأرجل.

ثالثاً: ومن شروط هذه العلاقة أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً، كما في إطلاق الرقبة ، أو الرأس على الإنسان.

ومن أمثلة ذلك قول معن بن أوس المزني في ابن اخته:

أعلّمهُ الرّمايةَ كُلَّ يومٍ ... فلمّا استَدَّ ساعدُهُ رَماني

وكَم عَلَّمته نظمَ القَوافي ... فَلَمَّا قالَ قافيةً هَجَاني

(القوافي) مجاز مرسل علاقتة الجزئية، وأيضاً (قافية)، والقرينة (علمته نظم) في الشطرة الأولى، و(قال) في الشطرة الثانية، لأن معن بن أوس إنما علم ابن أخته نظم القصائد كلها لا القوافي وحدها، ولأن ابن أخته قال على الأقل قصيدة كاملة لا قافية واحدة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾، أي صلّ في الليل؛ لأن القيام بعض الصلاة.

وقوله: ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾، أي المصلين.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾، أطلق كلاً من الركوع والسجود على الصلاة، وهو بعضها.

وقوله: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـًٔا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾، فالرقبة وحدها لا تحرر، وإنما الذي يحرر الذات، فأطلق الجزء وهو الرقبة، وأراد الكل وهو العبد.

5- استعمال الحاوي للدلالة على المحتوى (المحليّة):

وهي تسمية الشيء باسم محلّه، ومن أمثلة ذلك:"حكمت المحكمة بإدانة المتهم"، فالمحكمة مجاز، والمقصود القضاة، لأن البناء لا يحكم، وبما أن المحكمة محل للحكام ، فالعلاقة محلية. ويظهر هنا الانتقال من المحكمة إلى القضاة، وانتقال الدلالة من المحكمة إلى القضاة تمّ من خلال المجاورة، وليس من خلال المشابهة ، لأنه لا يوجد نقاط شبه بين الاثنين، وإنما المحكمة هي الحاوي، والقضاة هم المحتوى. وقد حلّت مجازاً لفظة مقام أخرى.

ويلاحظ كذلك أن المحكمة تشكل وحدة معنوية قائمة بذاتها، كذلك القضاة، لأن المحكمة تبقى محافظة على حقها الدلالي الاصطلاحي التامّ مع القضاة أو من دونها ، والقضاة كذلك، فالانتقال كان خارجياً.

وهنا يمكن القول إن ألفاظ المدن أو الدول كثيراً ما تستخدم للدلالة على المقيمين فيها نحو :"تألمت عمّان للحادث الموجع».

وقد تستعمل الأماكن للدلالة على أصحاب السلطة فيها نحو:

أعلن المغرب أنه سيشارك في القمة العربية القادمة.

وقد شاع هذا النمط من المجاز في العصر الحديث في التعبير عن الملوك ورؤساء الدول....فيقال: أصدر الديوان الملكي / القصر الجمهوري / البيت الأبيض البيان الآتي...

- اجتمع مجلس النواب لانتخاب الرئيس ...
- انصرف الديوان، أي عماله.
- سرق اللص المنزل، أي محتوياته.
- خرجت الكلية عن بكرة أبيها، أي طلابها كلهم.
- جرى الوادي، أي السيل. وسال الميزاب، أي: ماؤه.

ومن ذلك قول الرسول ﷺ«لا تركب البحر إلا حاجاً، أو معتمراً، أو غازياً في سبيل الله تعالى، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً». الركوب إنما هو للسفينة الحالة في البحر، أو المجاورة له، فهو من إطلاق لفظ المحل، أو الجار، وإرادة الحال وما جاوره.

6- الحالّيّة:

ويقصد بها النسبة إلى الفاعل، أي الحال مشتقاً من حلّ بالمكان والمكان: نزل فيه ، فهو حال أي نازل ومقيم، فهذه العلاقة تتحقق بإطلاق اسم الحال في المكان على محله، مثال ذلك:"نزلت بالقوم فأكرموني"، فكلمة قوم مجاز بدليل الفعل نزلت الذي يتعدى أصلاً إلى اسم دال على المكان، والمقصود بدار يحل فيها قوم كرام، وبما أن "قوم" حال، فالعلاقة حالّيّة.

ومن أمثلة ذلك: جئت القاهرة ونزلت فيها بصديقي محمد، أقصد بدار صديقي محمد فـ"صديقي محمد" مجاز مرسل علاقته الحالّيّة، لأن صديقي محمد حالّ بداره، وقد حللت فيها معه. والقرينة كلمة (نزلت)، لأن حقيقة النزول لا تتصور بالصديق، بل بالدار.

ومنه قولهم: جف الماء ، وجف الدمع، أي: منبع الماء، وموضع الدمع.

ويلاحظ أن الدلالة في هذا النوع تنتقل باتجاه معاكس لما ذكر في العلاقة المحلية، وإذا كانت العلاقة المحلية كثيرة الاستعمال، وقد غزت اللغة اليومية، واللغة الصحفية، فإن علاقة المحتوى مكان الحاوي تكاد تكون نادرة إذا ما قيست بسابقتها.

ومن ذلك قول المتنبي في ذم كافور:

إنّي نزلتُ بكذّابينَ ضيفهمُ عن القِرى وعَنِ التّرْحَالِ مَحْدُودُ

فالمجاز في لفظة (كذّابين) والمراد بها أرض يقطنها كذابون.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، أي في الجنة، لأنها محل الرحمة. سميت الجنة محل الرحمة باسم الحال فيها (الرحمة)، والقرينة (هم فيها خالدون).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾، أي المكان الذي فيه النعيم، وهو الجنة.

وقد اجتمعت العلاقة الحاليّة والمحليّة في الآية الكريمة: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾، أي خذوا ثيابكم الجميلة، ف (زينتكم) مجاز مرسل علاقته الحاليّة، لأن الزينة حالة في الثياب، وبادية من خلالها، والقرينة (خذوا)، فالزينة وهي أمر معنوي لا تؤخذ حقيقة، ولايجب أخذ الزينة للمسجد نفسه، فيكون المراد بالمسجد الصلاة، فأطلق اسم المحل على الحالّ، وفي الزينة بالعكس.

7- المجاورة:

أي التعبير بالمجاور عمّا جاوره، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مجاوراً للمعنى المجازي لها. ومن أمثلة ذلك إطلاق الراوية على القربة في قولهم: «شربت من الراوية». إذ إن الراوية ما يستقى عليه من بعير وغيره، والمزادة: سقاء الماء الذي يوضع عليها، فالراوية مستعملة في المزادة، والعلاقة مجاورة المزادة للراوية، والقرينة كلمة «شربت».

وقد مثلوا كذلك لعلاقة المجاورة بالتعبير باللفظ عن المعنى، وبالتعبير بالمعنى عن اللفظ: تقول: قرأت المعنى، تريد اللفظ، وفهمت اللفظ، أي المعنى.

ومن ذلك إطلاق الثياب على الجسم في قول عنترة:

كمَّشْتُ بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرَّم

أي كمّشت بالرمح الأصمّ جسمه، والقرينة (كمّشت)، لأن الكمش -وهو هنا الطعن- لا يكون في الثياب، بل في الأجسام. ويجوز أن العلاقة محلية، إذ الثياب محلّ لابسها.

ويرى بعضهم أن علاقة المجاورة يمكن الاستغناء عنها إما بعلاقة المحلية، وإما باللازمية، والملزومية وهما واضحتان في لازمية المعنى للفظ، وفي ملزومية اللفظ للمعنى.

8- اعتبار ما كان/ الماضوية:

وهي تسمية الشيء باعتبار أصله، ونسبته إلى الماضي، أي ما كان عليه الشيء في الماضي، ويراد ماهو عليه في الحاضر، وهنا تكون دلالة الصفة على الحاضر حقيقة، وعلى ماعداه مجازا. ومثال ذلك: «ومن الناس من يأكل القمح، ومنهم من يأكل الذرة، ومنهم من يأكل الشعير».

إن استعمال ألفاظ القمح والذرة والشعير استعمال مجازي؛ لأن الأكل في الواقع يكون للخبز، لا لحقيقة القمح والذرة والشعير، وهنا انزلقت لفظة (خبز) المقصودة بالتعبير وحلت محلها لفظة القمح والذرة والشعير، لقدرتها على نقلنا إلى الدلالة الثانية.

أما العلاقة التي أجازت هذا الانتقال في الدلالة، أو عملية الاستبدال هذه، فتعود إلى أن القمح هو حالة الخبز في الماضي، أي قبل أن يصبح خبزاً، وهكذا استعمل الماضي (اعتبار ماكان) للدلالة على الحاضر. والانتقال داخلي؛ لأن الارتباط بين الحقيقتين داخلي، فهما متداخلتان، ولا تشكل أية حقيقة منهما كلاً مستقلاً قائماً بذاته، والمادة نفسها تحولت وتغيرت.

ومن أمثلة ذلك: يشرب الناس البن، أي القهوة التي كانت بناً، ونلبس في الشتاء صوفاً، وفي الصيف قطناً. ففي (صوفاً) و (قطناً) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، والقرينة (نلبس)، فالصوف الخام، والقطن الخام لا يلبسان حقيقة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾، فاليتيم في اللغة من مات أبوه وتركه دون البلوغ، والله تعالى لايأمر بإتيان الأطفال أموالهم، وإنما يأمر بإعطائها لهم بعد أن يصلوا سن الرشد، لأنهم كانوا يتامى. فكلمة اليتامى إذن هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، إذ لايُتم بعد البلوغ.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ﴾. فكلمة مجرماً مجاز مرسل؛ لأنه لا يأتي الإنسان للحساب مجرماً، وإنما قصد بها (إنه من يأت ربه وكان مجرما).

وقوله: ﴿ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾، لانقطاع الزوجية بالموت.

وقوله: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾، وإذا مِتن لم يكنَّ أزواجاً، فسماهن بذلك، لأنهن كن أزواجا.

9- اعتبار ما سيكون/ المستقبلية:

وهي تسمية الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، أي ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، مثال ذلك: «سأوقد نارا».

إن الدلالة الاصطلاحية للفظة نار لا تنسجم مع سياق النص؛ وذلك لأن النار لاتوقد وإنما الحطب هو الذي يوقد. إذن انزلقت لفظة حطب من الجملة لتحل محلها لفظة نار، التي يمكنها أن تؤدي دلالة لفظة حطب. أما العلاقة بين الحطب والنار فهي علاقة داخلية تحولية. فبدل أن نستعمل لفظة «حطباً» للدلالة على الوضع الحالي الذي نستنتجه من لفظة أوقد، استعملت لفظة «ناراً» على اعتبار أن الحطب بعد إيقاده سيكون ناراً. وبذلك حلت اللفظة الدالة على حالة مستقبلية، محل اللفظة الدالة على الحالة الحاضرة.

ومن أمثلة ذلك: يتخرج في المدرسة رجال نافعون، فكلمة (نافعون) مجاز، والقصد سيكونون نافعين في المستقبل.

وهناك صيغ تقال على سبيل التفاؤل، مثل إطلاق المدرِّس على الطالب الذي يوشك أن يتخرج من الجامعة، ليعمل في سلك التدريس، والقاضي على الطالب الذي يدرس في كلية الحقوق، أو الشريعة.

ومن أمثلة ذلك: غرست اليوم شجراً، وأنا أعني بذوراً، وطحنت خبزاً، أي قمحاً.

ومن أمثلة هذه العلاقة في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ «من سرَّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه».

إنما يكون الشهيد شهيداً بمفارقة الحياة، وبعده عن المشي على وجه الأرض بسبب من أسباب الشهادة، وهذه نبوءة من نبوءات النبي ﷺ إخباراً بغيب أطلعه الله عليه، فإطلاق لفظ (شهيد) على طلحة رضوان الله عليه وهو حي، مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون.

ومنها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾، أي صائراً إلى الكفر والفجور.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾، سماه زوجاً؛ لأن العقد يؤول إلى زوجيّة، لأنها لا تنكح (أي لا توطأ من قبل العاقد) إلا في حال كونه زوجاً.

وقوله: ﴿ نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾. وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم. إذ لا يكون كذلك بمجرد مولده، وإنما تحدث له هذه الصفة بعد ذلك بسنين، فوصف الغلام بالحلم والعلم إنما هو باعتبار ما يكون.

10- الآلية:

ويقصد بها كون الشيء واسطة في التأثير، عليه يتوقف التأثير والتأثر، إذ به يعالج المؤثّر، ومثاله أن يذكر اسم ويراد به الأثر الذي ينتج عنه، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلة الشيء مكان الشيء نفسه. ومثال ذلك: ضربه عصاً، وطعنه رمحاً، ويتكلم محمد خمسة ألسن. والمعنى ضربه ضربة واحدة بالعصا، وطعنه طعنة بالرمح، ويتكلم محمد خمس لغات.

ومن ذلك قول المتنبي:

جودُ الرجالِ من الأيدي وجُودُهُمُ ... مِن اللّسانِ فلا كانوا ولا الجُودُ

ذكر المتنبي اليد واللسان، وأراد المال والقول، فاستعاض بذكر الآلة عما تحدثه.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾، أي بلغة قومه.

وعلى الرغم من أن بعض النقاد يرى أنه يمكن الاستغناء عن علاقة الآلية بعلاقة السببية، حتى إنه ليمكن دمجهما في بعضهما، والاستغناء بواحدة منهما عن الأخرى، إلا أنه لابدّ من ملاحظة أن الآلة في العلاقة الآلية بها يفعل الشيء، ولاسبيل إلى فعله بسواها. فاللسان آلة للغة ، ولايمكن أن نتصور لغة إنسان قطع لسانه، فبآلة الشيء يفعل

ذلك الشيء، وليس كذلك بسبب الشيء، فبالسبب يكون وجود الشيء. فقولنا (رعى الجواد الغيث) مثلاً، فالغيث سبب في المعنى المجازي المراد وهو النبات، وبالسبب يتحقق وجود المسبب، وليس السبب آلة له، فهو ليس الطريق الوحيد لوجوده، لأنه قد يوجد بغيره، فقد يوجد النبات بغير المطر، كمياه الآبار مثلاً، وهكذا نرى أن المسبب (النبات) قد يوجد بغير السبب المذكور (الغيث) بيد أن الشيء لا يوجد إطلاقاً بغير آلته، فلا يمكن أن نتصور لغة بغير لسان...

تطبيقات

◆ بيّن العلاقة في المجاز المرسل في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾.

9- قال تعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾.

10- قال الرسول ﷺ: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر».

11- قال الرسول ﷺ: «لا أركب الأرجوان ولا ألبس المعصفر..».

12- قال امرؤ القيس:

أغـرّكِ منّـي أنّ حبّـكِ قـاتلي وأنّكِ مـهما تـأمري القلـبَ يفعَلِ

13- قال المتنبي:

أقبلتـــها غُـــرَر الجيـــادِ كأنّمـــا أيـدي بَـــني عِمْـــرانَ في جَبَهاتِـــها

14- قال الشاعر:

أقبـــلَ في المُسْـــتنّ مـــن رَبابـــهِ أســـنمةُ الآبـــالِ في سَـــحَابهِ

الاستعارة

تعريفها، وهل هي مجاز لغوي أم عقلي؟

الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، أو انتقال كلمة من بيئة لغوية معينة إلى بيئة لغوية أخرى، ، وعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان:

الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، مثال ذلك قول المتني يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبلَ يمشي في البسَاطِ فَما دَرى   إلى البحر يَسْعَى أمْ إلى البدر يَرتقي

أ- شبه سيف الدولة بالبحر بجامع العطاء، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة: «فأقبل يمشي في البساط».

ب- شبه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «وأقبل يمشي في البساط».

وهكذا نلاحظ أن في كل استعارة ثلاثة عناصرهي:

المستعار منه وهو المشبه به، والمستعار له وهو المشبه، والمستعار وهو اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به إلى المشبه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.

المستعار منه: الظلمات/ النور.

المستعار له: الكفر (محذوف)/ الإيمان (محذوف).

في الآية الكريمة شبّه الكفر بالظلمات، وشبّه الإيمان بالنور، ثم حذف المشبه (الكفر- الإيمان) وصرح بالمشبه به (الظلمات- النور) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقول المتنبي وقد قابله ممدوحه وعانقه:

فَلَمْ أرَ قَبلي مَنْ مَشى البَحرُ نَحْوَهُ   وَلا رَجُلاً قامَت تُعَانِقهُ الأسدُ

المستعار منه: البحر، وهو المشبه به.

المستعار له: الرجل الكريم، وهو المشبه محذوف.

والاستعارة تصريحية؛ لأن الشاعر صرح بالمستعار منه، وحذف المستعار له.

وكذلك في الشطر الثاني:

المستعار منه: الأسد، وهو المشبه به.

المستعار له: الرجال الشجعان، وهو المشبه المحذوف.

اللفظ المستعار: تعانقه، وهي القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي، أي معانقة الأسود للشاعر.. والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي المشابهة بين الشجعان والأسد.

وقول الوأواء الدمشقي:

واستَمْطرت لُؤلؤاً من نَرْجِسٍ وسَقَتْ   وَرْداً، وعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

فقد صرّح الشاعر في هذا البيت بألفاظ المشبهات بها فقط دون بقية الأركان (المشبه، أداة التشبيه، وجه الشبه).

أ- شبه الدموع باللؤلؤ، فذكر اللؤلؤ (المشبه به) وحذف المشبه (الدموع)، وكان يريد أن يقول: دموعها كاللؤلؤ في الصفاء.

ب- شبه العيون بالنرجس، فذكر النرجس، (المشبه به)، وحذف المشبه (العيون) وكان يريد أن يقول: عيناها كالنرجس جمالاً ولوناً.

ج- شبه خديها بالورد: فذكر الورد (المشبه به)، وحذف (المشبه) الخدين: وكان يريد أن يقول: خدّاها كالورد في النضارة والجمال.

د- شبه الأنامل أو الشفاه بالعُناب، فذكر العناب (المشبه بـه) وحـذف المشـبه (الشـفاه أو الأنامل)، وكان يريد أن يقول: أناملها أو شفتاها كالعناب في الحمرة.

هـ- شبه أسنانها بالبرد، فذكر البرد (المشبه به) وحذف المشبه (الأسـنان)، وكـان يريـد أن يقول: أسنانها كالبرد في البياض والنظافة.

وقول أحمد شوقي على لسان (كليوبترا) وهي تناجي الأفعى التي أحضرتها لتلدغها عندما عزمت على الانتحار:

هَلُمّـي الآنَ، مُنقذتـي، هَلُمّـي ... وأهـلاً بـالخَلاصِ وَقـد سَـعى لي

هَلمّـي عَـانقي أفعَـى قُصُـورٍ ... بـها شَـوقٌ إلى أفعَـى التّـلالِ

هذا المثال على الاستعارة التصريحية، فالمشبه هو كليوبترا والمشـبه بـه هـو الأفعـى. فأفعى التلال هي الحية وهذا هو المعنى الأصلي للأفعى. أي أنها هنا حقيقة، وأما المقصود بأفعى القصور فهي كليوبترا، وهذا مجاز، لأنه ليس هذا هو المعنى الأصلي لكلمة الأفعى.

الاستعارة المكنية:

وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، ومن أمثلتـها قولـه تعـالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾.

شبه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهـو اشـتعل على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيـةُ أنشـبتْ أظفارَهـا ... ألفيـتَ كـلَّ تميمـةٍ لا تنفـعُ

شبّه الشاعرُ المنية بحيوان مفترس بجامع الاغتيال بينهما، ثم حذف المشـبه بـه وأتـى بشيء من لوازمه وهو الأظفار، كما حذف الأداة ووجه الشبه، ولمـا كـان المشـبه بـه غـير مصرّح به سميت الاستعارة مكنية.

وقول قريط بن أنيف:

قومٌ إذا الشـرّ أبـدَى ناجِذَيـهِ لهـمُ ... طَـاروا إليـهِ زَرَافـاتٍ وَوُحدَانـا

1- المشبه : الشّر.

المشبه به: الحيوان المفترس.

نوع الاستعارة: مكنية.

شبه الشاعر الشّر بالحيوان المفترس، فأبقى المشبه وحذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو (ناجذيه)، فالاستعارة مكنية.

2- المشبه: أسرعوا.

المشبه به: طاروا.

نوع الاستعارة: تصريحية.

- وقول دعبل الخزاعي:

لا تعْجَبي يا سَلْمُ مِن رَجُلٍ ضَحِكَ المَشيبُ برأسِهِ فَبَكَى

المستعار له: المشيب، وهو المشبه.

المستعار منه: الإنسان، وهو المشبه به.

اللفظ المستعار: ضحك، وهو الجامع بين المستعار له والمستعار منه، وهو القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهي لفظية.

فالشاعر شبه المشيب بالإنسان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية.

- وقول المتنبي يمدح سيف الدول:

وَقَفْتَ وَمَا في الموتِ شَكٌّ لواقفٍ كَأنّكَ في جَفنِ الرّدى وَهْوَ نائمُ

المشبه: الرّدى.

المشبه به: الإنسان.

نوع الاستعارة: مكنية.

شبه الشاعر الرّدى (الموت) بالإنسان، وحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الجفن، فالاستعارة مكنية.

- وقول شوقي يرثي سعد زغلول:

شَيّعوُا الشَّمسَ وَمَالوا بِضُحَاهـا   وانحَنَـى الشَّـرقُ عَلَيــها فَبَكَاهــا

1- المشبه: سعد زغلول.

المشبه به: الشمس.

نوع الاستعارة: تصريحية.

2- المشبه: الشرق.

المشبه به: النساء.

شبه الشرق بالنساء، وأتى بشيء من لوازم المشبه به وهو الانحناء.

نوع الاستعارة: مكنية.

- وقول عمر أبو ريشة:

وَقَــفَ التَّــاريخُ في مِحرابــــها   وقفَـــةَ المرتجِــفِ المضَّطَـــربِ

المشبه: التاريخ.

المشبه به: الإنسان.

نوع الاستعارة: مكنية.

شبه الشاعر التاريخ بالإنسان، وأصل الكلام: التاريخ كالإنسان في المحراب، ولكن الشاعر حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه، وهو الوقوف، فالاستعارة مكنية.

◆ لاحظ المثال الآتي وتحليله:

- ابتسمت الوردة.

- إذا كانت الاستعارة في (الوردة) وقصد بهذه الكلمة (الطفلة)، تجري الاستعارة على النحو الآتي:

المشبه: الطفلة (محذوف).

المشبه به: الوردة (صرّح به).

نوع الاستعارة: تصريحية.

- إذا كانت الاستعارة في (ابتسمت) وقصد بهذه الكلمة (تفتحت)، تجري الاستعارة على النحو الآتي:

المشبه: تفتحت (محذوف).

المشبه به: ابتسمت (صرّح به).

نوع الاستعارة: تصريحية.

- إذا قُصد أن الوردة تبتسم كالطفلة، تجري الاستعارة على النحو الآتي:

المشبه: الوردة.

المشبه به: الطفلة.

نوع الاستعارة: مكنية.

حيث شبهت الوردة بالطفلة، ثم حذف المشبه به وهو الطفلة ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو ابتسمت.

تطبيقات

❖ أجر الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية في الأمثلة الآتية:

1- قال أبو ذؤيب الهذلي:

ولئنْ نطقت بشكر بِرك مُفصحاً فلسان حالي بالشكايةِ أنطقُ

2- قال جميل بثينة:

يموت الهوى منّي إذا ما لقيتُها ويحيى إذا فارقتُها فيعودُ

3- قال أبو فراس الحمداني:

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يد الهوى وأذللتُ دمعاً من خلائقهِ الكبْرُ

4- قال أبو تمّام:

فتىً كُلما فاضتْ عيونُ قبيلة دماً ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذكرُ

5- قال أحمد شوقي على لسان مجنون ليلى:

جبـــل التَّوبــــاد حيّــــاك الحيــــا   وســـقى اللّـــهُ صِبانـــا ووعـــى

فيــك ناغَيْنــا الهــوى في مــــهدِه   ورَضَعْنـــاهُ فكنـــتَ المرْضعــــا

6- قال ابن الرومي:

بلـدٌ صَحِبْـتُ بـه الشـبيبةَ والصِّبـا   ولبستُ ثـوبَ اللّهو وهـو جديـدُ

7- قال ابن سنان الخفاجي في وصف حمامة:

وهاتفـةٍ في البـانِ تُمْلــي غَرامــها   علينا وتتلُـو مـن صبابتـها صُحْفَـا

ولو صَدَقَتْ فيما تقولُ من الأســى   لما لَبِستْ طوْقاً ومـا خَضَبَتْ كفَّـا

8- قال الشاعر:

حـول أعْشَاشِـها على الأشـــجار   قـد سمعنـا القيـانَ وهـي تُغنّـي

الاستعارة الأصلية والتبعية:

يقسم البلاغيون الاستعارة تقسيماً آخر باعتبار لفظها إلى : أصلية وتبعية.

فالاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسماً جامداً غير مشتق، مثال ذلك قول التهامي يرثي ابنه:

يا كَوكَباً ما كانَ أقصرَ عُمرَه   وَكَذاك عُمْرُ كَواكِبِ الأسحَار

فقد شبه الشاعر ابنه بالكوكب بجامع صغر الجسم وعلوّ الشأن في كل منهما ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (الكوكب) للمشبه (الابن) على سبيل الاستعارة التصريحية.

واللفظ المستعار (الكوكب) اسم جامد غير مشتق، ومن أجل ذلك يسمى هذا النوع من الاستعارة: استعارة أصلية.

- وقول الشاعر:

يَا غَزَالاً هِمتُ في غُرَّتِهِ   وَبِشُرْبِ الرَّاحِ مِن رَاحتِهِ

المشبه: الفتاة الحسناء (محذوف).

المشبه به: الغزال (صرّح به).

نوع الاستعارة: تصريحية باعتبار الطرفين.

غزال: اسم جامد، فالاستعارة باعتبار اللفظ المستعار (أصلية).

أما الاستعارة التبعية، فهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً، والمشتقات هي: الفعل المتصرف، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم المصدر، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة، واسم التفضيل..

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾.

فقد شبه انتهاء الغضب عن موسى بالسكوت، بجامع الهدوء في كل منهما، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو (السكوت) للمشبه، وهو (انتهاء الغضب)، ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل، بمعنى انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾.

المشبه: شدة الريح.

المشبه به: العتوّ.

نوع الاستعارة: تصريحية.

شبهت الريح بالعتو، بجامع مجاوزة الحد في كل منهما، واستعير العتو للريح الشديدة المدمرة.

لاحظ أنه اشتق من العتو: عاتية، أي: مدمرة على سبيل الاستعارة التبعية.

تحويل الاستعارة التصريحية التبعية إلى استعارة مكنية:

1- قال البحتري يصف قصراً:

مَـلأت جوَانبـهُ الفَضَـاءَ وعَـانقَتْ   شُـرُفَاتُهُ قطـعَ السَّـحَابِ المُطِـرِ

المشبه: الملامسة.

المشبه به: المعانقة بجامع الاتصال في كلّ.

القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي (شرفاته).

الاستعارة: تصريحية تبعية حيث اشتق من المعانقة بمعنى الملامسة الفعل (عانقت) بمعنى لامست.

ويمكن إجراء الاستعارة بطريقة أخرى هكذا:

المشبه: الشرفات.

المشبه به: الإنسان.

حذف المشبه به واستعير اللفظ الدال عليه وهو عانقت للمشبه، على سبيل الاستعارة المكنية.

2- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾.

المشبه: انقطاع الغضب وذهابه.

المشبه به: السكوت.

بجامع الهدوء التام والاستقرار النفسي، ثم اشتق من السكوت بمعنى الانتهاء، سكت بمعنى انتهى، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

القرينة: إسناد السكوت إلى الغضب، فالغضب لايسكت.

ويمكن إجراء الاستعارة بطريقة أخرى هكذا:

المشبه: الغضب.

المشبه به: إنسان.

شبه الغضب بإنسان، حذف الإنسان وأتى بشيء من لوازمه، وهو السكوت (الاستعارة مكنية).

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾.

المشبه: كثرة الماء.

المشبه به: الطغيان بجامع العلو ومجاوزة الحد في كل.

استعار الطغيان لكثرة الماء وزيادته واشتق منه طغى بمعنى كثر وزاد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة إسناد الطغيان للماء، والماء لا يطغى وإنما يزيد ويكثر.

ويجوز أن نجري الاستعارة كالآتي:

المشبه: الماء.

المشبه به: الإنسان.

شبه الماء بإنسان، حذف المشبه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو طغى، على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن هنا يمكن القول إنه يمكن قلب كل استعارة تصريحية تبعية إلى مكنية. ولكن إذا أجرينا الاستعارة في واحدة، فلا يمكننا إجراؤها في الأخرى، فإذا أجرينا الاستعارة على أنها تصريحية تبعية امتنع أن نجريها على أنها مكنية، وإذا أجريت مكنية فلا تجري تصريحية تبعية، لأن القرينة حينئذ مستعملة في حقيقتها.

الاستعارة المرشّحة والمجرّدة والمطلقة:

يقسم البلاغيون الاستعارة تقسيماً آخر وفق ما يلائم المشبه والمشبه به إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الاستعارة المرشّحة: وهي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه به، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾.

ففي هذا المثال استعارة تصريحية في (اشتروا) بمعنى اختاروا، والقرينة (الضلالة)، وقد ذكر مع هذه الاستعارة شيء يلائم المشبه به، وهو (فما ربحت تجارتهم).

والاستعارة المرشحة من أبلغ أنواع الاستعارة؛ لأن مادة الترشيح تفيد معنى القوة، يقال: ترشح الفصيل: إذا قوي على المشي، فقد ذكر في هذه الاستعارة ما يقويها، ويؤكد الغرض الذي من أجله جاءت، وهو تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به.

- وقول المتنبي:

نَامَتْ نوَاطِيرُ مِصْرٍ عن ثعَالِبِها وَقَدْ بَشِمْنَ فَمَا تُفْنَى العَنَاقِيدُ

المشبه:

1- سادة مصر وحكامها.

2- عبيد مصر.

المشبه به:

1- نواطير.

2- الثعالب.

الاستعارة تصريحية.

أتى الشاعر بما يلائم المشبه به (الثعالب) من صفات بقوله: (وقد بشمن)، أي أخذتهم تخمة من كثرة أكل العناقيد (الأموال)، فالاستعارة مرشّحة.

2- الاستعار المجرّدة، هي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه، مثال ذلك قول كثير عزة:

غَمْرُ الرداءِ إذا تبسَّمَ ضاحِكاً   علقتْ لضحكتهِ رقابُ المالِ

استعار الشاعر الرداء للمعروف، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء.

وسميت الاستعارة هنا مجردة؛ لأنها جردت عما يقويها، وذكر معها ما يضعفها، لأن ذكر ملائم للمشبه مضعف لتناسي التشبيه، ومبعد لدعوى الاتحاد بين المستعار منه والمستعار له، وبذلك يقترب الأسلوب من الحقيقة.

ويلاحظ أن الترشيح والتجريد إنما يكون كل منهما بعد تمام الاستعارة، وتمامها باستيفاء قرينتها.

- وقول البحتري:

يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِن بعَيدٍ   إلى قَمَرٍ مِنَ الإيوَانِ بادِ

المشبه: المدوح.

المشبه به: القمر.

نوع الاستعارة: تصريحية.

(من الإيوان باد) تجريد، لأنه من ملائمات المشبه.

3- الاستعارة المطلقة، وهي ما خلت من ملائمات المشبه والمشبه به، أو هي ما ذكر معها ما يلائم المشبه والمشبه به معاً، وسميت مطلقة، لأنها أطلقت عما يقويها وعما يضعفها من ملائمات المستعار منه والمستعار له.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا . . . ﴾

فكلمة «يموج» استعارة للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة، والقرينة: إسناد الفعل إلى الضمير العائد على «بعضهم»، ولم تقترن بما يلائم المشبه أو المشبه به.

- وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾.

المشبه: العهد.

المشبه به: الحبل.

نوع الاستعارة: مكنية.

حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النقض.

لم تقترن الاستعارة بما يلائم المشبه به أو المشبه فهي مطلقة.

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾.

المشبه: الطوفان.

المشبه به: الطغيان.

نوع الاستعارة: تصريحية.

استعير الطغيان لكثرة الطوفان، واشتق منه طغى بمعنى: تجاوز الطوفان الحد المعقول، ودمر كل شيء كما يفعل الإنسان الطاغية، المتجاوز لكل الحدود، وهي استعارة تبعية، ولم تقترن بشيء يناسب أحد الطرفين، فهي مطلقة.

- وقول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسدٍ شاكي السّلاح مقذّف   له لبد أظفاره لم تقلّم

المشبه: الرجل الشجاع.

المشبه به: الأسد.

نوع الاستعارة: تصريحية.

قرن بما يلائم المستعار منه، وهو قوله: له لبد أظفاره لم تقلم، وبما يلائم المستعار له، وهو قوله: شاكي السلاح مقذف، فاجتمع ترشيح وتجريد معاً، فنتج عن ذلك تعارضهما وسقوطهما معاً، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء، فهي مطلقة.

- ومن ذلك قول المتنبي:

في الخَدّ إن عَزَمَ الخليطُ رَحِيلا   مَطَرٌ تزيدُ بهِ الخُدُودُ محولا

المشبه: الدموع.

المشبه به: المطر.

الخدود: تناسب المستعار له، (تجريد).

المحول: تناسب المستعار منه، (ترشيح).

فهي استعارة مطلقة.

- وقول جميل بثينة:

رمتني بسَهمٍ ريشُهُ الكُحلُ لم يضرْ ظَواهِرَ جِلدي فهو في القلب جارحي

استعار الشاعر لفظ (سهم) للنظر، أما قوله: (ريشه) فهو ترشيح له، لأنه من ملائمات المشبه به، وهو السهم، ثم جاء قوله: (الكحل) تجريداً، لأنه من ملائمات المشبه وهو النظر، فهي استعارة مطلقة.

الاستعارة التمثيلية:

تركيبٌ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي. وهكذا يلاحظ أن الاستعارة التمثيلية ضرب من الاستعارة التصريحية، ففيها تصريح بالمشبه به المذكور في مكان المشبه، ولا فرق بين الاستعارتين (التصريحية والتمثيلية) إلا أن واحدة منهما تجري في المفرد، والأخرى تجري في المركب. ومن أمثلة ذلك:«قطعتْ جهيزةُ قولَ كلِّ خَطيبٍ» (لمن يأتي بالقول الفصل).

وأصل المثل أن قوماً اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حيين قتل رجل من أحدهما رجلاً من الحي الآخر، وإنهم لكذلك إذا بجارية تدعى جهيزة أقبلت، فأنبأتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه، فقال قائل منهم: «قطعت جهيزة قول كل خطيب». وهو تركيب يتمثل به في كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصل.

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

ومَنْ يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا

(لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع مثلاً).

فبيت المتنبي يدل و ضعه الحقيقي على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مراً، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى، بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري، وضعف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حاليّة، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المولعين بذمه، والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مراً.

المستعار له: عائب شعر المتنبي الذي ضعف عن إدراكه.

المستعار منه: مريض، تغيرت نفسه، وفسدت ذائقته، فعجز عن تذوق الشراب العذب.

القرينة: حالية تفهم من سياق الكلام، وتمنع من إرادة المعنى الأصلي.

- وقول الشاعر:

إنَّ الأفَـاعِي وَإن لأنـتْ مَلامِسُـــهَا عِنْـدَ التَّقَلُّـبِ في أنيابِــهَا العَطَــبُ

شبه الشاعر من يغر النـاس ويخدعـهم بلينـه الظـاهري ثـم يعـود إليـهم فيؤذيـهم ويضرهم، بهيئة الأفاعي اللينة الملمس الشديدة الأذى، بجامع الضرر الشـديد المبني على الغدر والخيانة.

والاستعارة التمثيلية تُذكّر بنوعين من التشبيه، تشـبيه التمثيـل، والتشـبيه الضمـني، فهي تشبيه ضمني حذفت منه صورة المشبه، وتكثر في الأمثلة المتداولة.

وإذا فشت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها أصبحت مثلاً لا يغيّر، بحيث يخاطب به المفرد، والمذكّر، وفروعهما بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مـورده الأول، وإن لم يطابق المضروب له.

بلاغة الاستعارة وشواهد ذلك من المنظوم والمنثور:

تعدّ الاستعارة مثالاً واضحـاً لتعـدد المعـاني، إذ إن كلمـة تعطـى لاسـتعمالها لمعنيين أو أكثر، ويبدو أن الاستخدام الاستعاري موجود في كـل اللغـات، وفي كـل الأوقات... وتحتوي الاستعارات على صور متنوعة، وهذه الصور تختلـط بتجـارب متكئة على تصورات داخلية مفترضة، إذ إنها ربمـا تعمـل دون نقـل صـورة محـددة للموضوع المطروق.. والاستعمال الاستعاري للغة هو الأكثر أهمية وانتشاراً عندمـا لا تكون هناك استجابة متوافرة أو متوخاة من الاستعمال الحقيقي للألفاظ، ومن هنا فإنّ إنتاج الاستعارات قد اسـتعمل لتحديـد هويـة الأشـخاص المبدعـين، ودراسـة أعمالهم الفنية.

وتؤثر الاستعارة في مفهوم الثقافة اللغوية ودلالتها، إذ إن اللغات المختلفة تعبر عن أشياء، وعواطف، وأفكار معينة، بواسطة استعارات متعددة الأشكال، ومتنوعـة المصـادر،

ومن هنا فإن الصورة الاستعارية ربما تساعد الذاكرة على التوسط في شكل العلاقة الترابطية بين الأفكار المختلفة، وتساعد على خلق استجابات خلاقة نتيجة لخصائص تتميز بها الاستعارات.

وترجع أهمية الصورة الاستعارية إلى قدرتها على الإيحاء والإيماء، واعتمادها على التلميح بدل التصريح، ويعني الإيحاء تلك الطاقة المعنوية المتولدة من البيئة الفنية للصورة الشعرية الجزئية في إطارها الكلي، وتعمل على توسيع رقعة الظلال التي تسبح فيها المعاني التي يريد الشاعر تصويرها أو بثها... ويستطيع التصوير الاستعاري بما فيه من عناصر إيحائية أن يعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، وتنطوي الصورة الاستعارية الجيدة على إشارات تخلق عالماً مجازياً خيالياً إيحائياً، ومن هنا تنبع قيمة كل قصيدة من طاقتها على الإيحاء.. والإيحاء و ثيق الصلة بالصورة الاستعارية الجيدة، وهو عنصر ضروري لإيصال التجارب منظمة هادفة.. وهذا الإيحاء الذي ولدته الاستعارة نجده في أبيات الحطيئة التي استعطف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليطلق سراحه، التي يقول فيها:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ   زغبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسِبهُم في قعرِ مظلمةٍ   فاغفر عليكَ سلامُ اللّهِ يا عمرُ

وهنا نجد الحطيئة قد استعار لضعف أولاده لفظ الأفراخ، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يلتفت إليه إلا عندما وصل إلى قوله: «ماذا تقول لأفراخ..» وبعدها خلى سبيله.

وهكذا نجح الحطيئة في إحداث أقوى التأثير باستعارته الموحية في نفس المتلقي.

ولاحظ مثل هذه الإيحاءات في قول الحجاج من خطبته المشهورة:

«إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قِطافها..»

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾.

وتبدو بلاغة الاستعارة واضحة عندما تكون الصلة وثيقة بين المستعار منه والمستعار له، وكل استعارة لامناسبة فيها بين الطرفين رديئة غير مقبولة، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من وجوه المناسبة وطرق من الشبه والمقاربة، وهذه الملاءمة تكون من حيث الجو النفسي العام، وحركة النفس الوجدانية، ورصيدها من الخبرات، حتى يتمكن المعنى المراد نقله في نفس المتلقي.. والمقصود بالمناسبة والملاءمة هو تشابه المجال النفسي بين طرفي الاستعارة وقربهما. وهذا ما نلاحظه في استعارات أبي تمام التي بثها في قصيدة «فتح عمورية» التي منها:

يا يومَ وقعةِ عموريةَ انصرفتْ عنكَ المُنَى حُفَّلاً معسولةَ الحلبِ

لقد تركت أميرَ المؤمنينَ بها للنار يوماً ذليلَ الصخرِ والخشبِ

تركتَ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضحى يشلّه وسطها صبحٌ من اللهبِ

حَتّى كأنَّ جلابيبَ الدُّجَى رغبتْ عنْ لونِها أو كأنَّ الشمسَ لم تَغِبِ

وفي استعارات سميح القاسم:

ألسنةُ النار تُزغردُ في أحشَاءِ اللَّيلْ

ويُدمدم طَبلْ

وَتُهَدُّ بقايا الصَّمتِ طُبولٌ ضاريةٌ وصنُوجْ

ويَهيجُ الإيقاعُ المبحوحُ.. يهيج

فالغابةُ بالأصداءِ تَموجْ

وهناك استعارات تبنى على التشخيص والتجسيد، ويعد التشخيص من الوسائل الفنية القديمة التي عرفها الشعر العالمي والشعر العربي منذ أقدم العصور، وهذه الوسيلة تقوم على إضفاء صفات الكائن الحي، وبخاصة الصفات الإنسانية على مظاهر العالم الخارجي، فيبثُّ فيها الحياة، ويجعلها تحس وتتألم وتنبض بالحياة.

والتشخيص من الأدوات الفنية التي يلجأ إليها الشعراء في استخدامهم للتصوير الاستعاري، لنقل تجاربهم واتصالاتهم، ومن ثم قدرة الاستعارة بواسطته على التوصيل..

وظاهرة التشخيص عامة في الأدب العاطفي في مختلف العصور والأمم، وقد أكثر الرومانتيون منها، وكان طابعها في أدبهم أصدق وأكثر تنوعاً وأوسع مدى... ويمكن القول: إنّ التشخيص عملية نفسية، وظيفته التأثير في نفس المتلقي، وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تشخيص المعاني المجرّدة في صور حسية.

وللاستعارة علاقة قوية بالخيال. فعالم الخيال هو القوة الوحيدة التي تبدع الشعر، والصورة الكاملة التي يبدعها الشاعر تنشأ في نفسه وتأتيه عن طريق الخيال، والخيال له قدرة عجيبة، بها تمتزج العناصر المتباعدة في أصلها كي تصير مجموعاً منسجماً.

وتتجلى صلة الاستعارة بالخيال من ثلاث نواح هي:

1- التشابه والتجانس الذي يكون بين الأشياء التي تربط عادة فيقرن الخيال بينها، ويتصورها في أحوال متنوعة مفردة ومركبة.

2- إضفاء الحياة على الأشياء غير العاملة، وإكسابها حياة إنسانية أوحيوانية.

3- انتقال الذهن من معنى إلى آخر من خلال الصور الاستعارية.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال المقطوعة الآتية لمحمود درويش:

عُيونك شوكةٌ في القلب
تُوجعني وأعبدُها
وأحْميها من الريح
فَيَشْعِلُ جرحها ضوءَ المصابيح

- ومن ذلك قول المتنبي:

مـا كُـلُّ مـا يتمنّـى المـرءُ يُدركُـهُ تجـري الرّيـاحُ بمـا لا تشـتهي السُّفُنُ

هنا جسّد المتنبي الأمور المعنوية، فجعل (السفن) تشتهي كما يشتهي الإنسان، ولكنه حذف الإنسان وهو (المشبه به) وذكر شيئاً من لوازمه وهو: (الشهوة).

كذلك جسّد الشعراء الأمور المعنوية وأبرزوها للناس بصورة أشخاص وكائنات حيّة يصدر عنها كلُّ ما يصدر عن الكائنات الحيّة، من أعمال وحركات.

- ومن ذلك قول أبي العتاهية:

أتتـــــه الخلافـــــة منقـــــادةً إليـــــه تُجـــــرّرُ أذيالهـــــا

تتحوّل (الخلافة) بالاستعارة إلى غادة هيفاء مُدللة فُـتن النـاس بجمالها وهـي تـأبى عليهم وتصدُّ إعراضاً عنهم، ولكنها تأتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرّر أذيالها تيـهاً وتفاخراً وحياءً.

ومن الواضح أن تداعي المعاني - أي تواردها علـى الذهـن واحـداً بعـد الآخـر لوجود علاقة بينها - من القضايا التي يُشار إليها حينما تبحث الاستعارة وبلاغتها، وقد أرجع المحدثون من علماء النفـس تداعـي المعـاني إلى عـامل الاقـتران الذهـني.. ويـرى سبيرمان أن الأساس النفسي الذي يقوم عليه التشبيه وغيره من الأساليب البيانيـة، مـن حيث تأليفها وإدراكها أو تقديرها هو في الواقع عملية أساسـية في التفكـير، تلـك هـي إدراك ما بين بعض الأشياء من تشابه وعلاقات، وهذا الإدراك إذا كان سريعاً دلّ علـى مقدار كبير من الذكاء، والسرعة في فهم ما بين الأشياء من علاقات وروابط، وإدراك ما بين الحوادث من تشابه، مما يساعد الإنسان على النجاح في حياته، فإنـه يسـتطيع بمعونـة هذه المقدرة أن يقيس الأشباه بالنظائر، ويحل مشكلات الحاضر في ضوء ما يشـبهها مـن مشكلات الماضي وتجاربه. والأديب البارع هو الذي يرى شيئاً فيذكر ما يشبهه من أشياء كان قد أدركها من قبل، فينتقي من بينها ما يحقق غرضه، ويطابق مقتضـى الحـال، فـإذا كان يريد المدح مثلاً اختار مشبهاً به مستحسناً مستملحاً، وإذا كان يقصـد الـذم اختـاره مشبهاً به مستقبحاً.

وتأسيساً على ما سـبق يمكـن القـول: إن الاسـتعارة التصريحيـة تتضمـن عمليتـين عقليتين: الأولى متطابقة مع الحقيقة والواقع، قائمة على قاعدة تداعي المعاني وهي: إدراك ما بين المشبه والمشبه به من تشابه، أما العملية الثانية فإنها خياليـة، وهـي ادعـاء أن المشـبه والمشبه به متحدان في الحقيقة، فهما شخص واحد لا شخصان، أمـا في الاسـتعارة المكنيـة فنجد ثلاث عمليات عقلية هي: العمليتان السابقتان مضافـاً إليـهما عمليـة ثالثـة متصلـة بالعملية الثانية، هي تخيل اتصاف المشبه بما هو من خصائص المشبه به. ومن أمثلـة ذلـك، قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيـــةُ أنشـــبت أظفارَهـــا ألفيـــتَ كـــلَّ تميمـــة لا تنفـــعُ

فهناك أولاً شبه بين المنية والحيوان المفترس، ثم هناك ادعاء بـأن المنيـة هـي حيـوان مفترس لا أقل، ثم يثبت الشاعر - ثالثاً- للمنية ما هو من لوازم الحيوان المفـترس، وهـو (أنشبت أظفارها)، وأصل التشبيه المنية كالحيوان المفترس، فحذف المشبه، وأتى بشيء مـن لوازمه هو أنشبت أظفارها، وهذا اللازم هو الدليل على الاستعارة.

إن إبراز جمال الاستعارة السابقة لا يكون إلا بربطها بالتجربة الإنسانية العميقة التي تبرز فاعلية الشعور والفكر معاً، فإبراز العلاقات هام في تحليل أية استعارة. إن الإيمـاءات التي تشعها كلمة (أنشبت) تشير إلى أن القرار قد صدر، ولم يعد هناك وقت لعدم التنفيـذ، أما كلمة (الأظفار) وعلاقتها بكلمة (أنشبت)، فتشـير إلى نـوع مـن البشـاعة، ونـوع مـن الإثارة الداخلية، إذ إن الموت بالنسبة للإنسان الجاهلي شيء رهيب جداً، ومـن هنـا تنـم الصورة الاستعارية عن درجات من خوف الإنسان الجاهلي، ثم تأتي كلمة (التميمة) التي تشير إلى أن الإنسان الجاهلي كان يحاول أن يحمي نفسه في كل الظروف، إلا الموت -تلـك القوة الرهيبة- لم يستطع مجابهته، وهنا لا تنفع التميمة التي يؤمن بها.

وعند النظر إلى البيت لا بدّ من الإشارة إلى عنصر الانفعـال الـذي يعـرف بأنـه وجدان ثائر، أو وجدان قوي يهز كيـان النفـس، ويتحـرك في كـل جـزء مـن أعضـاء الإنسان فيوقظه، ويطرق كل نافذة في شعوره فيفتحها، إذ بـه يتيقـظ الإنسـان فيعمـل على تأمل تجربته ونشر أجزائها، ثم ضمها في وحدات متناسبة متعادلة يفتش لهـا عـن موضوعات أو صور تحملها، فالتجربة مرتبطة بالشعور والحـواس، وهـي نتيجـة مـن نتائج التأمل الوجداني، والانتباه الودي إلى الصفات والأشـكال الوصفيـة المحسوسـة. وهذا الانفعال لا يظهر إلا حين تكـون غريـزة مـن الغرائـز في حالـة نشـاط، وذلـك كالخوف والغضب والاستغراب.

لقـد اسـتطاعت الاسـتعارة في هـذا البيـت أن تخلـق إشـعاعاً وجدانيـاً، ومعـادلاً موضوعياً بفضل استجابة الشاعر لتجربة شعورية مركـزة، وبفضـل قـوة الخيـال، إذ إنـها استعارة متصلة بنفسه كل الصلة، ومتصلة ببيئته، فلفظ أنشبت أظفارها لا يكون للمـوت؛ لأن الموت ليس له أظفار، ولكنه لشدة تأثيره على نفسيه الإنسان كان بمثابة الأظفـار الـتي أنشبت فسببت الأذى والهلاك.

إن الاستعارة تمزج بين الشعور واللاشعور، ولما كان اللاشعور هو مثوى الانفعالات الإنسانية، فإن الاستعارة تقوم بعملية تنشيط القوى الوجدانية بما تحمل من هذه الانفعالات، وبما تملك من مساعدة على استيعاب العمل الفني، ومن ثم تكشف عن طبيعة الإنسان الحقيقية بما هي صدى اللاشعور.

ومن هنا رأينا كولردج يلحّ دائماً على أن اللغة الطبيعية للانفعال هي اللغة المجازية، أي لغة الصور الاستعارية، كما أنه يعرف على أنه اللغة التصويرية للفكر، ومعنى ذلك أن الانفعال هو مضمون الصور، كما أن الصور هي شكل الانفعال، وكلاهما متصل بالآخر اتصال الروح بالجسد في علاقة عضوية حية.

وعلى ذلك فليس قالب الاستعارة إطاراً خارجياً للعمل الفني، بل هو نفس كيانه وتعبيره الذي يحدد مضمونه، أو بعبارة أدق يحدد النمو الداخلي لهذا المضمون، بل إن مجموع الصور الشعرية في القصيدة تعبر عن حركة تحقق ونماء نفس، تجعل من القصيدة كلها صورة واحدة من طراز خاص، يحقق التكامل بين الشاعر والحياة.

تطبيقات

• وضّح الاستعارات في الأمثلة الآتية، واذكر نوعها:

1- قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

9- قال تأبط شرّاً:

إذا هـزّهُ في عظــمِ قــرنٍ تــهلّلَتْ   نَواجِـذُ أفـواهِ المَنَايــا الضَّواحِـك

10- قال لبيد بن ربيعة:

وغـداة ريـح قـد كشــفتُ وقـرّة   إذ أصبحـتْ بيـد الشّمال زمامُــها

11- قال الحطيئة يسترضي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

مـاذا تقـولُ لأفـراخٍ بــذي مَــرَخٍ   زغبِ الحواصلِ لا مـاءٌ ولا شـجرُ

ألقيـتَ كاسِـبهُم في قعـرِ مظلمــةٍ   فاغفرْ عليـكَ سـلامُ اللّـهِ يـا عمـرُ

12- قال البحتري يرثي المتوكّل:

صريـعٌ تقاضـاهُ الليــالي حشاشــة   يجـودُ بـها والمــوتُ حمــرٌ أظــافره

13- وقال:

وَأرىَ المنايـا إن رَأت بــكَ شـيبةً   جَعلتــكَ مَرمــى نبلــها المتواتــرِ

14- وقال:

أتاكَ الربيعُ الطَّلْـق يختـالُ ضَاحكـاً   من الحُســن حتَّـى كـاد أن يتكلَّمـا

15- قال أبو تمام يمدح المعتصم:

لم يغـزُ قومـاً ولم ينــهضْ إلى بلــدٍ   إلاّ تقدَّمَــهُ جيــشٌ مــن الرُّعــبِ

16- وقال:

فتــحٌ تفتَّــحُ أبــوابُ السَّــماءِ لــهُ   وتـبرزُ الأرضُ في أثوابـها القُشُــبِ

من عَهد اسكندرٍ أو قبل ذلـك قـد   شابت نَواصي اللَّيالي وهي لم تشـبِ

17- وقال:

ويَصعــدُ حَتَّــى يَظُــنّ الجــهُولُ   بــأنّ لــهُ حاجــةً في السَّــمَا

18- قال صفي الدين الحلّي:

والصُّبْحُ قد أهدَى لَنَا كَافورهُ ... لما استردَّ اللّيلُ منهُ العنبَرا

19- قال كثير عزّة:

ولَّما قضينَا من منى كلِّ حاجةٍ ... ومسّحَ بالأركانِ من هُو ماسحُ

وشدَّتْ على دهمِ المهاري رحالنا ... فلم ينظر الغادِي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسَالت بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

20- وقال:

غَمرُ الرِّداءِ إذا تبسّم ضَاحِكاً ... عَلِقت لضِحكتِه رقابُ المالِ

21- قال البوصيري:

قَدْ تُنكر العَينُ ضَوء الشّمسِ من رَمَدٍ ... وينكرُ الفَمُ طَعم الماءِ من سَقمِ

22- قال الشريف الرضي في الوداع:

نَسرقُ الدَّمعَ في الجُيُوبِ حَياءً ... وَبِنَا مَا بِنَا من الأشواقِ

23- وقال :

يا ظبيةَ البانِ ترعَى في خَمائلهِ ... ليهنكِ اليومَ أنَّ القلبَ مَرعاكِ

الماءُ عندكِ مَبذولٌ لشاربه ... وَليسَ يَرْويكِ إلاَّ مدمعي الباكِي

سَهمٌ أصابَ وراميه بذي سَلمٍ ... من بالعراقِ لقد أبعدتِ مرماكِ

24- قال ابن الرّومي:

بلدٌ صحبتُ به الشّبيبةَ والصِّبا ... ولبستُ ثوبَ اللّهوِ وهْوَ جَديدُ

25- وقال:

للّهِ أقمارٌ تبدّت على ... أغصانِ بانٍ تحتَها كثب

26- قال ابن المعتز يمدح أباه:

جُمِعَ الحقّ لَنَا في إمامٍ   قَتلَ البُخلَ وأحيا السَّماحَا

27- قال أبو العتاهية:

أتَتْهُ الخِلافةُ مُنقَادةً   إليهِ تُجَرِّرُ أذيالَهَا

28- قال المتنبي:

ومن يَجعلِ الضِّرغامَ للصَّيدِ بازَهُ   تصَيَّدَهُ الضِّرغامُ فيما تَصَيَّدا
وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعفوِ عَنهمُ   وَمن لَكَ بالحُرِّ الذي يَحفظُ العهدا
إذا أنتَ أكْرمْتَ الكريمَ مَلَكتَهُ   وإن أنتَ أكْرمتَ اللئيمَ تَمرَّدَا

29- وقال:

حَمَلتُ إليهِ من لِساني حَديقةً   سَقَاهَا الحِجا سَقْيَ الرِّياضِ السَّحائِبُ

30- وقال:

وإذا العِنايةُ لاحَظتْكَ عُيُونُها   نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهُنَّ أمانُ

31- وقال:

أتَى الزَّمانَ بَنُوهُ في شَبيبتِهِ   فَسرَّهُمْ وأتيناهُ عَلى الهَرَمِ

32- وقال:

بَناها فأعلَى والقَنا يقرعُ القَنَا   وموجُ المَنايا حولَها مُتلاطِمُ

33- وقال:

المجدُ عُوفِيَ إذْ عوفيتَ والكرمُ   وزالَ عنكَ إلى أعدائكَ الألَمُ

34- وقال:

وَغيّبتِ النَّوَى الظَّبياتِ عَنِّي   فَساعَدَتِ البَراقِعَ والحِجَالا

35- وقال:

وَليلَةٍ مَرِضَت مِن كُلِّ ناحِيَةٍ   فَما يُضيءُ لَها نَجمٌ ولا قمرُ

36- وقال يصف جيشاً لسيف الدولة:

خميس بشرقِ الأرضِ والغربِ زحفة   وفي أذنِ الجَوزاءِ منهُ زمازمُ

37- وقال من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة:

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلواً سوى ظَفَرٍ   تَصافَحَت فيهِ بيضُ الهِندِ واللِّمَمِ

38- قال شوقي يرثي عمر المختار:

رَكَزُوا رُفاتَكَ في الرِّمالِ لِواءً   يَستنهضُ الوادِي صَباحَ مَسَاء

يَا وَيحهُم نَصَبُوا مناراً من دَمٍ   يُوحي إلى جيل الغَدِ البَغضَاء

يَاأيُّها السَّيفُ المجرّد بالفَلا   يَكسُو السُّيوفَ على الزّمانِ مَضاء

39- قال الرصافي:

وتوقَّدَتْ عِندَ الهجيرِ شَمْسُهُ   فتلمَّظَت بلُعَابِها الصَّحراءُ

40- قال عمر أبو ريشة مخاطباً بلاده:

يا عروساً تنامُ ملء المحاجرِ   شيّعي الحُلم والطّيوف السّواحر

41- قال الشاعر:

وَمَنْ مَلَكَ البلاد بغَيْرِ حَربٍ   يَهُونُ عليهِ تسليمُ البلادِ

42- قال الشاعر:

إذا قَالت حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا   فإنَّ القولَ ما قالت حَذَامِ

43- قال الشاعر:

لقدْ هُزِلَت حتّى بدا مِنْ هُزالها   كُلاها وحتّى سَامها كُلُّ مُفلِسِ

44- قال ذو الرّمة:

أقامتْ به حتّى ذَوَى العُودُ والتَوَى وساقَ الثُريّا في ملاءتِه الفجرُ

45- قال بدر شاكر السياب في قصيدته (أنشودة المطر):

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعة السَّحر
أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القَمر
عيناكِ حين تبسُمانِ تُورقُ الكُروم
وترقصُ الأضواءُ كالأقمار في نَهَر
كأنما تنبضُ في غوريهما النُجُوم
تثاءبَ المساءُ والغيومُ ما تزال
تسحُّ ما تسحُّ من دموعِها الثِّقال..

46- أوسعتهم سبًّاً وأودوا بالإبل.

47- الصيف ضيَّعتِ اللبن.

48- لأمر ما جَدَعَ قصيرٌ أنفه.

49- إني أراكَ تقدّم رجلاً وتؤخِّرُ أخرى.

50- لا تُعدَمُ الحسناءُ ذاما.

◆ قال ابو تمّام:

لا تَسْقني ماءَ الملامِ فإنّني صَبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

ناقش النقاد العرب القدامى الاستعارة التي وردت في هذا البيت بشكل مفصّل، من مؤيد ومعارض لها، بيّن آراء هؤلاء النقاد من خلال الرجوع للمصادر والمراجع الآتية:

1- أخبار أبي تمام للصولي.

2- الموازنة للآمدي.

3- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.

4- المثل السّائر لابن الأثير.

5- الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام لعبد الفتاح لاشين.

الكناية

تعريفها:

الكناية في اللغة: مصدر كنا يكنو، أو كنى يكني، والكني أو الكنو معناه الستر. فالكناية ستر المقصود وراء لفظ، أو عبارة، أو تركيب.

والكناية في الاصطلاح لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، أو هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين: حقيقة ومجازاً من غير واسطة لا على جهة التصريح.

جرى تقسيم الكناية في الدرس البلاغي عند العرب باعتماد معيارين أساسيين هما:

- نوع المكني عنه: صفة، أو موصوف، أو نسبة.
- المسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود: التلويح، والإشارة، والرمز، والتعريض، والدوران، والتلطيف.

ويمكن الوقوف في هذه الدراسة عند المعيار الأول لأهميته، ومن ثم مناقشة التعريض لصلته القوية بالكناية، وأهميته في الدراسات البلاغية.

الكناية عن صفة:

وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، كالكرم والشجاعة والحلم والغنى والجمال، لا النعت المعروف في علم النحو. وفي هذا النوع من الكناية يذكر الموصوف، وتستر الصفة مع أنها هي المقصودة، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة أو تلازمه، ومنه تنتقل إليها.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾، حيث كنى بالتحيز عن الهزيمة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، اي سنعلمه على أنفه علامة لا يمحى أثرها، فلا تخفى على أحد، ومن يراه يعرف المهانة التي لحقت به، والعار الذي ألم بسمعته فلا يفارقها كما لا تخفى العلامة التي تعلو الأنف، فالوسم على الأنف كناية عن صفة المهانة والإذلال.

- ومن ذلك قول امرىء القيس:

وتُضحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها   نؤومُ الضُّحى لم تنتطقْ عن تفضُّلِ

إن في البيت ثلاث كنايات هي: «فتيت المسك فوق فراشها، ونؤوم الضحى، ولم تنتطق عن تفضل»، وهي جميعاً تدل على الرفاهية والنعم التي تتقلب تلك المرأة في أعطافها، فهي تعطر فراشها بالمسك، ولا تنهض مبكرة من فراشها بل تظل حتى الضحى، وهي لا تفعل ذلك إلا لأن لديها من الخدم ما يضطلع بخدمتها.. وقد أكدت الكناية الثالثة هذا المعنى إذ نفت عنها الانتطاق، بمعنى أنها لا ترتدي ملابس الخدمة المنزلية، لأنها لا حاجة بها إلى ذلك.

ومنه قول صفي الدين الحلي:

بيضٌ صنائِعنَا سودٌ وقَائِعُنا   خضرٌ مرابِعُنا حمرٌ مواضِينا

ففي البيت أربع كنايات هي: «بيض صنائعنا»، و «سود وقائعنا»، و «خضر مرابعنا»، و «حمر مواضينا»، وهي كنايات عن الإحسان إلى الناس، والشجاعة في الحرب، والخير والوفاء، وكثرة قتل الأعداء على التوالي.

وتتضح الكناية عن صفة في قول الحماسي:

أبتِ الرَّوادفُ والثُّديُّ لقُمْصِها   مسَّ البُطُونِ وأنْ تمسَّ ظُهُورا

وإذا الرِّياحُ مع العَشيِّ تَناوحتْ   نبَّهنَ حاسدةً وهجنَ غيُورا

ففي البيت الأول كناية عن كبر النهدين والردفين وضمور الوسط، حيث أطلق منع ردفيها وثدييها قمصها من أن تمس ظهرها وبطنها.

وقول الفرزدق يخاطب معاوية بن أبي سفيان في الفخر:

ولَوْ كانَ إذ كُنَّا وللكفِّ بسْطةٌ   لَصمَّمَ عضْبٌ فيكَ ماضٍ مضاربُهْ

عندما نتأمل قوله: وللكف بسطة، فإن المعنى المتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو أن الكف مبسوطة، وهذا يمكن أن يكون، ولكن عندما نعمل الفكر قليلاً نجد أن الشاعر أراد بهذا القول معنى آخر يلزم من كون الكف مبسوطة، وهذا المعنى هو وفرة المال والقوة.

ومن ذلك قول أحمد شوقي:

للعلمِ والعدلِ والتّمدينِ ما عزمـوا   من الأمور ومـا شـدُّوا مـن الحُـزُمِ

كنى عن الاستعداد بقوله: «وما شدوا من الحزم».

وقوله:

وضعتُ خدّي وقسّمتُ الفؤاد رُبىً   يرتعْـنَ في كُنُـسٍ منـهُ وفي أكـمِ

كنى عن الخضوع بـ «وضعت خدي».

الكناية عن موصوف:

وبها تذكر الصفة، ويستر الموصوف مع أنه هو المقصود، والصفة هي اللازم من الموصوف، ومنها تنتقل إليه.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾، فالله سبحانه يستنكر من الكافرين زعمهم حين جعلوا الملائكة بنات الله، واختار لهم البنين، والعرب يتشاءمون بالأنثى، وتمتلىء قلوبهم كآبة وغماً إذا بشر أحدهم بولادتها، فهم يفترون على الله الكذب، وينسبون إليه ما من شأنه أن يتربى في النعمة وينشأ في الزينة، وحين يفتقر إلى مقارعة الخصوم ومنازلة الرجال، لم يكن له بيان، ولم يأت ببرهان، فالتنشئة في الزينة، وضعف الإبانة وقت الخصوم من صفات النساء، فعبر الله بهذا القول، وأراد المرأة، والمرأة موصوف، فالآية كناية عن موصوف.

وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾، «فصاحب الحوت» كناية عن موصوف هو يونس عليه السلام.

وورد هذا النوع من الكناية في الحديث النبوي الشريف، فمن ذلك قول الرسول ﷺ حين كان أنجشة يسوق الإبل بعنف: «ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير»، فكنى بالقوارير عن النساء.

وقد ورد هذا النوع من الكناية عند المتنبي في هجائه أعداء سيف الدولة الحمداني في قوله:

وَمَـــنْ في كفِّـــهِ منـــهم قنـــاةٌ   كمـن في كفِّـهِ منـــهمْ خضـــابُ

ومعنى البيت أن أعداء سيف الدولة قد ضعفوا أمام سطوته، وتخاذلوا بجانب قوته، حتى صار الرجل منهم والمرأة بمنزلة سواء، فكنى المتنبي عن الرجل بمن يحمل القنـاة؛ لأن الرجل من شأنه الحرب، وحمل أدواتها من القناة والرمح والسيف والسهم، وكنى عن المرأة بمن في كفه الخضاب؛ لأن المرأة من شأنها أن تخضب يدها بالحناء. والرجل والمرأة كلاهما موصوف، ففي بيت المتنبي إذن كنايتان، كل منهما كناية عن مصوف.

وقد كنى الشعراء عن القلب أو العقل بكنايات مشهورة، أصبحت متداولة فيما بعد، من ذلك: مجمع الأضغان، وموطن الكتمان والأسرار والحلم والرعب والحقد.. والأمثلة على هذا كثيرة، منها قول عمر بن معد يكرب:

الضَّـاربين بكـلِّ أبيـضَ مِخْـذَمٍ   والطَّـاعنينَ مجـامعَ الأضْغَـانِ

وقول البحتري يصف معركة بينه وبين ذئب:

فأوْجرتـهُ خرقـاءَ تحسـبُ ريشَـها   على كوكبٍ ينقضُّ والليـلُ مُسْـودُّ

فمَـا ازدادَ إلا جـراةً وصرامـةً   وأيقنـتُ أن الأمـرَ منـهُ هـو الجِـدُّ

فأتبعتـها أخـرى فـأضْللتُ نَصْلَـها   بحيثُ يكونُ اللُّبُ والرُّعْبُ والحِقْدُ

ومن أمثلة الكناية عن موصوف في شعر شوقي قوله:

أتغلبني ذاتُ الدّلالِ على صـبري؟   إذن أنـا أولى بالقنـاعِ وبـالخِدر

وقوله:

فقضـى اللّـهُ أن تُضيِّع هـذا الملـ   ـكَ أنثـى صعـبٌ عليـها الوفـاءُ

فقد كنى في البيت الأول عن المرأة بـ «ذات الدلال»، وعن كليوباترا في البيت الثاني بـ «أنثى».

ومن ذلك قول حافظ إبراهيم يصف الحرب الروسية اليابانية:

قَـد أقسَـمَ البيـضُ بصُلبانـهم لا يـهجرونَ المـوتَ أو يُنصـروا
وأقسـم الصُّفـر بأوثانِـهم لا يغمـدون السـيف أو يظْفَـرُوا

فالمعنى المتبادر من قوله: «البيض والصفر» من كان لونهم أبيض وأصفر، وهو يقصد الروس واليابان، وبما أن الروس واليابان موصوفون بالبياض والصفرة، فالكناية هنا عن موصوف.

ومن هذا النوع قول فدوى طوفان:

تدلـتْ عـن الأفـقِ أمُّ الضيـاء ملفعـةً بـاصفرار كئيـبِ

فأم الضياء كناية عن الشمس.

الكناية عن نسبة:

وبها يذكر الموصوف، ويذكر معه شيء ملازم له، وتذكر الصفة، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف، فهي إذن تخصيص الصفة بالموصوف، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

ومن ذلك قول امرىء القيس في بني عوف:

ثيـابُ بني عـوفٍ طـهارى نقيـةٌ وأوجُهُـهمْ عنـد المشـاهدِ غُـرَّانُ

نسب امرؤ القيس الطهارة إلى ثياب بني عوف كناية عن طهارتهم.

وقول الشنفرى:

تَحُـلُّ بمنجـاةٍ مـن اللـومِ بيتـها إذا مـا بيـوتٌ بالمذمَّـةِ حُلَّـتِ

في هذا البيت كنايتان؛ في الأولى ذكر الشاعر الصفة وهي المنجاة من اللوم، وذكر الموصوف وهي المرأة، ولكنه لم ينسب العفة والشرف إليها، بل إلى بيتها، فدل ذلك على أنها هي المقصودة بالصفة. وفي الثانية ذكر الشاعر الصفة وهي حلول الذم، وأشار إلى الموصوف وهو البعض، غير تلك المرأة، ولكنه لم ينف الشرف عنهم، بل عن بيوتهم، فدل ذلك على نسبة تلك الصفات الذميمة إليهم.

ومثل هذا قول حسان بن ثابت:

بنى العزُّ بيتاً فاستقرتْ عمادُه علينا فأعيا الناسَ أنْ يتحوّلا

كنى ببناء العز بيتاً حول الأنصار بنسبة العز إليهم، وعدم تحوله عنهم.

ومن ذلك قول معوّد الحكماء، ويروى لغيره:

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريهِ وفي أثوابهِ أسدٌ هصورُ

إن المعنى الظاهر للشطر الثاني هو وجود الأسد في ثوب الرجل، ومن هذا يلزم أن يكون الرجل شجاعاً، ويلاحظ هنا أن الشجاعة لم تنسب إلى نفس الرجل، وإنما نسبت إلى ما يتعلق به وهو ثوبه.

وقول زياد الأعجم في مدح عبدالله بن الحشرج:

إن السماحةَ والمروءةَ والندى في قبّةٍ ضُربتْ على ابن الحشْرجِ

فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات أي ثبوتها له، وأراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات له؛ فجعلها في قبة، وجعلها مضروبة عليه فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية.

وقول المتنبي:

إن في ثوبكَ الذي المجدُ فيهِ لضياءً يُزري بكلِّ ضياءِ

فالمتنبي في مديحه هذا، يتوسل الكناية لينسب إلى الممدوح صفة المجد. فهو لم ينسبها إليه صراحة ولكنه جعلها في ثوبه.. مما يدل على اتصافه بها.

ومن ذلك قول شوقي:

سكن الثُّريا مُستقرّ جلالهِ ومشتْ مكارمُه إلى الأمصار

يريد شوقي أن ينسب إلى ممدوحه الكرم، لكنه بدل أن ينسب إليه الكرم بصريح اللفظ، كنى عن نسبة الكرمْ إليه بقوله: «ومشت مكارمه إلى الأمصار»، لأنه يلزم من ذلك اتصافه به.

ومن ذلك قوله:

ألفوا مصاحبةَ السُّيوفِ وعوّدوا أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجِّرِ

فشوقي يريد أن ينسب إلى العرب القوة، ولكنه بدل أن ينسب إليهم القوة بصريح اللفظ، كنى عن نسبة القوة إليهم بقوله: «ألفوا مصاحبة السيوف».

وهناك أمثلة كثيرة لاستغلال الأسلوب الكنائي في التعبير عن الحياة الاجتماعية منها:

افترش الغبراء	كناية عن الفقر
ألقى عصاه	كناية عن الإقامة
سفر اليدين	كناية عن الفقر
يصعِّر خده للناس	كناية عن الكبر
يشار إليه بالبنان	كناية عن الشهرة
خرساء الأساور	كناية عن أنها بدينة
عريض القفا	كناية عن البلاهة والغفلة
عريض الوسادة	كناية عن البلاهة
يستخدم لغة المدفع	كناية عن القوة
يحمل غصن الزيتون	كناية عن السلام
ينظرإلى الدنيا بمنظار أسود	كناية عن التشاؤم
ولد وفي فمه ملعقة من ذهب	كناية عن الترف والنعمة
تثاءب الجمهور	كناية عن السأم
أرغى المدير وأزبد	كناية عن التهديد
خطرات النسيم تجرح خديها	كناية عن الرقّة والترف
لبس الحرير يدمي بنانها	كناية عن الرقة والترف
قلب كفيه على ما قدم من أعمال	كناية عن الندم
عض على يديه	كناية عن الندم
ناعمة الكفين	كناية عن الترف والدلال

نقية الثوب	كناية عن العفة
قرع سنه	كناية عن الندم
هجر الفأر بيته	كناية عن الفقر
يمشي على بيض	كناية عن البطء في المشي
ركب جناحي نعامة	كناية عن السرعة
قلع أسنانه	كناية عن التجربة والحنكة
لا يرى غيره	كناية عن الكبر
منخرق الجيب	كناية عن كثرة الإنفاق
رابط الجأش	كناية عن الشجاعة
واسع الصدر	كناية عن الحلم
بيته عامر	كناية عن الكرم
بابه مفتوح	كناية عن حسن المعاملة إذا كان رئيساً في العمل
أنفه في السماء	كناية عن الكبر
يده في التراب	كناية عن الفقر
لسانه طويل	كناية عن سوء الأدب
غليظ القلب	كناية عن القسوة
أصفر الوجه	كناية عن الخوف أو المرض
ذمته واسعة	كناية عن انعدام الضمير
يفهمها وهي طائرة	كناية عن الذكاء
عظمه طري	كناية عن عدم التحمل
رجله والقبر	كناية عن الشيخوخة
انتقل إلى رحمة الله	كناية عن الموت

دخل الدنيا	كناية عن الزواج
حظه من السماء	كناية عن التوفيق
حجرته دائماً مضاءة	كناية عن السهر
حجرته دائماً مطفأة	كناية عن الكسل وكثرة النوم
من المستريحين	كناية عن قلة عقله
سمين رخو	كناية عن الغباء والبلادة
وصي آدم	كناية عن الفضول
هو فتى رياضي	كناية عن القوة
مدينة النور	كناية عن باريس
أبناء النيل	كناية عن المصريين
سكان الخيام	كناية عن البدو
ملك الغابة	كناية عن الأسد
نجم الحفل	كناية عن رجل مشهور
مشى المجد في ركابه	كناية عن الشّرف
سار الجود حيث يسير	كناية عن الكرم
يعيش العز في بيته	كناية عن العزة
النصر في ركابه	كناية عن الشجاعة
السعادة في جواره	كناية عن الكرم
الكرم بين برديه	كناية عن الكرم
المجد بين ثوبيه	كناية عن الشّرف
لبس له جلد النمر	كناية عن العداوة والحقد
ورمت أنفه	كناية عن الحنق والغضب

حمي الوطيس	كناية عن شدة الحرب والتحامها، والوطيس التنور
إياك وعقيلة الملح	كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء
الطلاب يتاءبون	كناية عن الكسل
السامعون يديمون النظر إلى ساعاتهم	كناية عن الملل
كأن على رؤوسهم الطير	كناية عن الهدوء وعمق الإصغاء
لا يدخل من هذا الباب	كناية عن ضخامته
صارت فاطمة عروساً	كناية عن أنها كبرت

هل الكناية حقيقة أم مجاز؟

قيل إن الكناية حقيقة، وقيل إنها مجاز، وقيل لا حقيقة ولا مجاز.. والكناية عند الجمهور ومنهم السكاكي حقيقة، وعند السبكي قد تكون حقيقة وقد تكون مجازاً، وعند القزويني ليست حقيقة لاستعمالها في غير ما وضعت له، والحقيقة يجب أن تكون مستعملة فيما وضعت له، وليست مجازاً لأن قرينتها غير مانعة، والمجاز قرينته يجب أن تكون مانعة.

الفرق بين الكناية والمجاز:

يفرّق البلاغيون بين الكناية والمجاز من وجهين:

1- أنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ،فلا يمتنع في قولك: «فلان طويل النجاد» أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته.. والمجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو: «رعينا الغيث» أن تريد معنى الغيث، والمجاز ملازم لقرينة مانعة لإرادة الحقيقة.

2- مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم.. ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم.. (هناك مناقشات للقدماء في هذا المفهوم..)

واللزوم هو امتناع انفكاك شيء عن آخر، فقد يكون الشيء الأول ملزوماً، والشيء الثاني لازماً، وقد يكون العكس، فيسمى الشيء الأول لازماً، ويسمى الشيء الثاني ملزوماً.

وإذا تتبعنا ألفاظ الكناية وجدنا مدلول اللفظ الحقيقي دائماً هو اللازم في الوجود، والمعنى الكنائي هو الملزوم في الوجود ،فمثلاً : فلانة بعيدة مهوى القرط، فإن بعد مهوى القرط في الوجود تابع لطول العنق فيه.

وعلى هذا فإن الكلام ثلاثة أنواع:

1- الحقيقة، وبها يكون القصد بالكلام مجرد الوضع الأول بالأصالة أو النقل.

2- المجاز، وبه يعتمد المتكلم مع الوضع الأول قرينة أو علاقة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

3- الكناية، وهي مجاز لكن قرينته لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

بلاغة الكناية:

تأتي الكناية لقصد البلاغة والمبالغة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾، فخفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب، والمبالغة في الرحمة، والبعد عن الترفع والغطرسة في حق الوالدين، فالطائر يرفع جناحية ويبسطهما إذا أراد الترفع إلى السماء، ويخفض جناحية ويقبضهما إذا أراد أن يهبط إلى الأرض، فيلزم من خفض الجناح النزول والتواضع، وعدم الصعود والترفع.

وللكناية قيمة إبلاغية، وينطوي التعبير الكنائي على مقدار من التأثير النفسي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾.

تصور هذا الآية خوف المنافقين من الموت حين القتال، فالخوف جاء مجسداً بكل هوله وفزعه، وهؤلاء ينظرون للرسول ﷺ كأنه هو الذي أخرجهم لهذا الموقف، هذه النظرة كانت بأعين فزعة، وهي منفتحة لأقصى اتساعها، وسوادها يتحرك داخلها في حركة دائرية في حذر وخوف وكأن الموت يطاردها من جميع الجهات، وكأنها في لحظة واحدة تريد أن تحذره كذلك من كل الجهات. فالأعين لا تدور كلها، وإنما التي تدور هي العيون في الأحداق، وهذا الانتقال في الإسناد جعل العين كلها تدور، وهذا موقف لا يكون إلا عند الهلع الشديد.

والكناية تعطينا مع الحكم دليله، والبرهان عليه، كما أنها تعرض المعنوي في صورة حسية مع الإيجاز.

والكناية تمكن الأديب من أن يعبر عما يقصد دون أن يكشف أمره، أو يفتضح شأنه، فيؤاخذ بما انزلق إليه، وهي تتيح للأديب أن يتحدث عما يستهجن التصريح به دون خدش أو إسفاف، ولا يوقع السامع في حرج، ومثال ذلك:

«أن الرشيد كان يجلس مع الفضل بن الربيع، ثم مر رجل يحمل حزمة خيزران، فسأل الفضل: ماذا يحمل الرجل؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين».. فقد عدل الفضل عن كلمة «الخيزران»، لأن أم الرشيد كانت تسمى بهذا الاسم.

ومن ذلك البيتان الآتيان للمتنبي، وهما مطلع لقصيدة رثى بها أخت سيف الدولة:

يا أختَ خَيرِ أخٍ يا بنتَ خيرِ أبِ   كنايةً بهما عنْ أشْرفِ النَّسبِ

أجلُّ قَدْرَكِ أن تُسْمَيْ مؤَبَّنةً   ومَن يَصِفكِ فقدْ سمّاك للعربِ

لقد تحاشى المتنبي أن يذكر اسم أخت سيف الدولة، واكتفى بأن يذكر انتسابها إلى خير أخ وخير أب، وفي هذا كناية عن سيف الدولة، ولم يسم الشاعر المرثية باسمها بل ذكر من صفاتها جودة النسب، فكانت هذه الصفة كافية للتعريف بها.

وانظر إلى الكنايات الآتية في أبيات جرير التي يهجو فيها راعي الإبل:

أعدَّ اللهُ للشعراءِ منّي   صَواعقَ يُخضعونَ لها الرِّقابا

أنا البازي المُدلُّ على نُميرٍ   أتحت من السَّماءِ لها انصِبَابا

إذا عَلِقَتْ مخالبهُ بقرنٍ   أصابَ القلبَ أوهتَك الحِجابا

فَغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُميرٍ   فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

فالشاهد الأول على الكناية هو قول جرير: (هتك الحجابا) كناية عن الفضيحة، والشاهد الثاني في : (غض الطرف) كناية عن موقف الذل،ولا شك أن التصوير بالكناية جاء مؤثراً وجميلاً.

وهذه الصورة المرسومة بالكناية نلاحظها في قول النابغة من خلال البيتين الآتيين

من قصيدة يمدح بها الغساسنة:

وثقتُ له بالنَّصْرِ إذ قيلَ قـد غَـزَتْ   كتـائبُ مـن غسـانَ غـيرُ أشـايب

إذا ما غَزَوا بـالجيشِ حَلّـقَ فوقـهُمْ   عصـائب طـيرٍ تـهْتدِي بَعَصَـائِبِ

فالبيت الثاني كناية عن كثرة القتلى من جيش الأعداء.

إن الكناية تتشكل من لفظ له معنى حقيقي، يقصد به معنى آخر، هو ملزوم للمعنى الأول، ويمكن تمثيل ذلك بالترسيمة الآتية:

لفظ

↓

معنى أصلي ← معنى مجازي

ففي الكناية ثمة عنصر أساس وهو المعنى المتبوع للفظ، ففي قول الشاعر:

بعيـدةُ مـهوى القُـرطِ إمـا لنوفـلٍ   أبوهـا وإمـا عبـدُ شمـسٍ ونوفـل

فالشاعر يرمي إلى القول عن (بعيدة مهوى القرط) أنها طويلة العنق، فلم يقل ذلك تصريحاً واستناداً إلى اللفظ المحدد له في اللغة، بل أتى بشيء يترتب عليه ويلزمه، لأنه يلـزم من بعد مهوى القرط، طول العنق، ومن طول العنق الجمال.

بعيدة مهوى القرط

↓

بعيدة مهوى القرط ← طويلة العنق ← جميلة

ويمكننا النظر إلى العنصر التوليدي في الكناية من خلال بيت الخنساء التي تمجد فيـه صخراً:

طويـل النِّجـاد، رفيـعُ العمـاد   كثـيرُ الرَّمـادِ إذا مـا شـتا

يوجد في البيت ثلاث كنايات هي: طويل النجاد- رفيع العماد- كثير الرماد، وهذه الكنايات تقوم على الإضافة اللفظية وتتكون كل منها من مضاف هو صفة، ومضاف إليـه

هو اسم، وهو لذلك يقبل أن يتحول إلى مركب نعتي ولكن المعنى فيه واحد:

طويل النجاد = نجاده طويل.

رفيع العماد = عماده رفيع.

كثير الرماد = رماده كثير.

ويلاحظ أن بين اللفظ المستعمل والمعنى المقصود فضاء يرتقه المتقبل. وتمثل ألفاظ «النجاد» و «العماد» و «الرماد» العناصر المركزية في هذه الكنايات، وهذه العناصر تنطلق منها عملية التوليد قصد الوصول إلى المعنى المقصود، ويتم ذلك التوليد على درجات:

1- طويل النجاد:

المراد بهذه الصفة وصف صخر بصفة طول القامة، لكن ذلك لم يدرك إلا من خلال وسائط عدة تنتهي إلى لازم المعنى المقصود، ويمكن توضيح ذلك بالترسيمة الآتية:

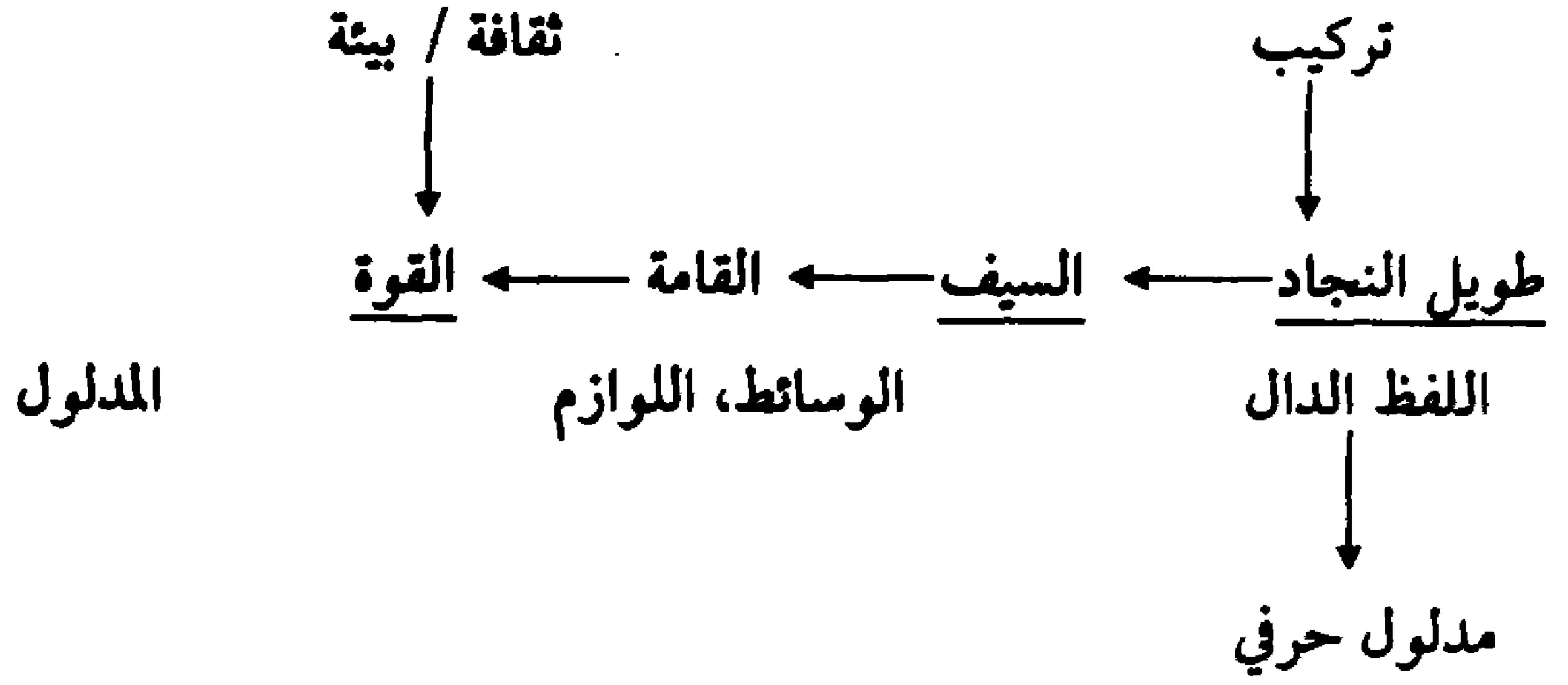

ويمكن اختصار العلاقة بين الدال والمدلول في الكناية كما يلي:

دال

مدلول 1- (حمالة السيف طويلة) مدلول حرفي يحتمل معنى حافاً.

مدلول 2- (قوي) مدلول استلزمه المدلول 1 .

2- رفيع العماد:

المراد بهذه الكناية وصف صخر بعلو المكانة في قومه، لكن ذلك لم يدرك إلا من خلال المدلولات الآتية: فرفيع العماد يدل على أن بيته واسع وعال، والاتساع والعلو يدلان على صلاحه لدخول الضيوف على الخيول، ودخول الضيوف على الخيول يدل على أنهم من كبار القوم، ودخول كبار القوم عليه يلزم أن يكون عالي المكانة في قومه. ويمكن توضيح ذلك بالترسيمة الآتية:

تركيب ↓ ثقافة / بيئة ↓

رفيع العماد ← بيته (واسع وعال ← يدخله كبار القوم ← صاحبه عالي المكانة في قومه)

اللفظ الدال — الوسائط ، اللوازم — المدلول

↓

مدلول حرفي

ويمكن اختصار العلاقة بين الدال والمدلول في الكناية كما يلي:

دال

مدلول 1- (رفيع العماد) مدلول حرفي يحتمل معنى حافاً.

مدلول 2- (عالي المكانة) مدلول استلزمه المدلول.

3- كثير الرماد:

أرادت الخنساء أن تصف أخاها بالكرم، فقالت: «كثير الرماد»، ولكن صفة الكرم هذه لا تدرك إلا عبر مرور الكناية بوسائط أو مدلولات، تقود الفكر إلى المعنى الأخير الذي انتهت إليه وهو المعنى المقصود.

إن الرماد ناتج عن اشتعال النار في مادة الخشب مثلاً، والنار تصلح لعدة أمور منها التدفئة ومنها الاستعمال الصناعي كالطهي مثلاً.. ويلاحظ أن هناك عناصر لغوية وثقافية

وبيئية يعتمد عليها المستقبل ليميز المعنى المقصود من التعبير. وكلمة «كثير» عنصر لغوي غير كاف لتفسير كلمة الرماد في هذا السياق، ومن ثمّ لا بد من الاعتماد على عناصر أخرى للتوصل إلى المعنى المقصود، ومن هذه العناصر:

أ- البيئة: لا يمثل إيقاد النار قصد التدفئة في الجزيرة العربية عنصراً هاماً في الشعر العربي القديم، ومن هنا يمكن استبعاد هذا المعنى من حلقة التوليد الذهني.

ب- الانتماء الثقافي: وبه يبين قصد المتكلم إلى الكرم المرتبط بالأكل وتوفيره للضيوف وهي من القيم الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع العربي آنذاك، فيمدح بها الشعراء أو يفتخرون بها. وبتوسط الثقافة ومعنى الكثرة تنتفي إمكانيتا التدفئة والاستعمال الصناعي، وترسخ إمكانية الطهي ويكون العبور إلى حلقة أخرى في سلسلة التوليد.

وتأسيساً على ذلك يمكن القول إن «كثير الرماد» يدل على كثرة إحراق الحطب، وكثرة إحراق الحطب تدل على كثرة استعمال النار، لهداية الضيوف وللطبخ. وكثرة استعمال النار للهداية يدل على الرغبة في الضيوف، والرغبة في الضيوف تدل على الكرم، ويمكن القول كذلك إن كثرة استعمال النار للطبخ تدل على كثرة الآكلين، وكثرة الآكلين تدل على كثرة الضيوف، وكثرة الضيوف تدل على اتصافه بصفة الكرم.

التعريض:

لا بد من الإشارة إلى أن آراء البلاغيين قد تباينت حول العلاقة بين الكناية والتعريض. فمنهم من ذهب إلى أن الكناية والتعريض شيء واحد، ومنهم من جعل التعريض قسماً من الكناية، ومنهم من ذهب إلى أن الكناية تختلف عن التعريض.

وقد أشار عبدالقاهر الجرجاني إلى أن الكناية والتعريض والرمز والإشارة والتلويح، كلها ألفاظ مترادفة على معنى واحد.. وقسم السكاكي الكناية إلى كناية عن صفة أو عن موصوف أو عن نسبة.. ثم عاد ثانية فقسمها إلى التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة. وقال: «إن الكناية إذا كانت عرضية سميت تعريضاً».

ويمكن القول إن الكناية تختلف عن التعريض، إذ إن الكناية هي الستر وهي أن تعبر

باللفظ وتريد لازم معناه، فهناك صلة بين اللفظ المكنى به والمعنى المكنى عنه، حيث ينتقل الفكر من الملزوم إلى اللازم.

أما التعريض فهو إمالة الكلام إلى عُرض، وهو الجانب والناحية، تقول «عرضت بفلان» وذلك إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه هو، فالتعريض إذن أن نذكر جملة من القول نريد بها شيئاً آخر، ولكن هذا الشيء لا يفهم بطريق اللزوم كما في الكناية، وإنما يفهم من السياق. وقد وضح ابن الأثير ذلك عندما قال: «واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز؛ وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب».

ويدل القصر في علم المعاني على التعريض كذلك، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.

ويكون التعريض للتلطف والاحتراز عن المخاشنة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾؛ المراد: ما لكم لا تعبدون، بدليل قوله: وإليه ترجعون، ولولا التعريض لكان المناسب «وإليه أرجع». وكذا قوله: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾، والمراد: أتتخذون من دونه آلهة. ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، ولذلك قيل ﴿ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾، دون «ربي»، و «أتبعه»، «فاسمعوه».

ومن ذلك قول المتنبي مخاطباً سيف الدولة:

إذا الجودُ لم يُرزقْ خلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

يلاحظ أن المعنى المفهوم العام يصلح أن يقال لكل من يفسد عطاياه بأذى من يعطيهم كالمن عليهم مثلاً. فإذا فعل ذلك فقد أتلف ماله، ولم يكسب حمداً، لأن جوده لم يخلص من الأذى. وهذا هو المعنى الصريح للبيت، إلا أن المتنبي كان يشير إلى معنى آخر وكأنه يرى أن جود سيف الدولة فاسد، لأن الأعمال التي تبعت عطاياه أساءت إلى من خصهم بالمنح والإكرام، وألحق بهم الأذى.

وقوله:

رحلتُ فكمْ باكٍ بأجفانِ شادن ... عليَّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
وما ربَّةُ القُرطِ المليحِ مكانهُ ... بأجزعَ منْ ربِّ الحُسامِ المُصمِّمِ
فلو كانَ ما بي من حبيبٍ مُقنَّعٍ ... عذرتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعمَّمِ
رمى واتَّقى رميي ومن دونِ ما اتَّقى ... هوى كاسرٌ كفِّي وقوْسي وأسهمي
إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظُنونهُ ... وصدَّقَ ما يعتادهُ من توهّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شيمة النساء، ولامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله؛ لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول الفصال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه، لأن سيء الفعل كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل، وضعف الوفاء.

ومن ذلك أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي، فقال: «ما أحسن ما ورت عن حاجتها، املأوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً».

وقد يكون التعريض للذم والسخرية نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، فإنه تعريض بذم الكفار، وأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون.

ومن ذلك قول المتنبي لسيف الدولة:

أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً ... أن تحسبَ الشحمَ فيمنْ شحمهُ ورمُ

فالخطاب لسيف الدولة، والتعريض لأبي فراس، فمحبة أبي فراس لسيف الدولة كالورم الذي يظنه الناس شحماً، إذ إنها في الظاهر محبة وفي الحقيقة بغضاء.

وقوله:

وذاكَ أنَّ الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميلِ فكيفَ الخصيةُ السودُ

فعرض في الشطر الأول بسيف الدولة، وفي الشطر الثاني بكافور الإخشيدي، إلا أن تعريضه بكافور أشد وأنكى.

وقد يكون للإهانة والتوبيخ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾.

ومن ذلك قول قريط بن أنيف يلوم قومه لأنهم لم ينجدوه:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي ... بنو اللقيطة من ذهلِ بنِ شيبانا

وهو مع ذلك تعريض بقومه، دليل ذلك قوله:

إذاً لقامَ بنصري معشرٌ خشُنٌ ... عند الحفيظة إن ذُو لوثة لانا

قومٌ إذا الشرُّ أبدَى ناجذيهِ لهمْ ... طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانا

لا يسألون أخاهُم حين يندبهُم ... في النائباتِ على ما قال بُرْهَانا

ويكون التعريض كذلك للاستهزاء، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾، وغرض إبراهيم عليه السلام من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم؛ لأنه قال: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾، وذلك على سبيل الاستهزاء، وهذا من رموز الكلام، والقول فيه أن قصد إبراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة عليهم، والاستهزاء بهم.. كأنه قال: يا جهال البرية كيف تعبدون ما لا يسمع ولا يعقل ولا يجيب سؤالاً، ولا يحير جواباً، وتجعلونه شريكاً لخالق السماء والأرض في العبادة، فإن كان كما تزعمون فهو إنما فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

ويلاحظ أن للمقام والسياق أهمية في معرفة التعريض والغرض منه، فالكرم الذي يمدح أبو تمام ممدوحه به في البيتين الآتيين، قد ينقلب تعريضاً يدل على التلطف إن قالها شخص أمام آخر يرجو منه عطاء مثلاً، وقد يدل هذا التعريض على الذم إن كان يقصد الشخص من قول هذين البيتين بيان بخل من هو أمامه:

تعـوَّد بسـطَ الكـفِّ حتـى لَـوَ انّـهُ ثناهـا لقبـضٍ لم تُجبـه أناملُـهُ
ولـو لم يكـنْ في كفِّـه غـير رُوحـهِ لجـادَ بـها، فليتَّـقِ اللّـه سـائلُهْ

تطبيقات

◆ بيّن أنواع الكنايات الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

4- قال الرسول ﷺ: «كيف أنعم وقد التقمَ صاحبُ القرنِ، وحنَّا جبهتَـهُ واضِعَـاً سمعـهُ ينتظر أن يؤمر فينفخ».

5- قال حسان بن ثابت:

شـمّ العرانـينِ أبطـالٌ لبوسُـهم من نسـجِ داودَ في الهيجَـا سـرابيلُ

6- قال النابغة:

ولـو أنـي أطعتـكَ في أمـور قرعـتُ ندامـةً مـن ذاكَ سِـنّي

7- قال البحتري:

أوَمَـا رأيـتَ الجـدَ ألقـى رحلـهُ في آلِ طلحـةَ ثـمَّ لم يتحـوّلِ

8- قال أبو نواس:

فمـا جـازهُ جـودٌ ولا حـلَّ دونـهُ ولكـنْ يصـير الجـودُ حيثُ يصـيرُ

9- قال شوقي:

ولي بـين الضلـوع دمٌ ولحـمٌ همـا الواهـي الـذي فقدَ الشّـبابا

◆ وضّح الصور البيانية في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

9- قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾.

10- قال الرسول ﷺ لأزواجه: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً».

11- قال المتنبي:

لياليَّ بعدَ الظّاعنينَ شكولُ ... طوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ

يُبنَّ ليَ البدرَ الذي لا أريدُه ... ويخفينَ بدراً ما إليه سبيلُ

12- وقال:

أعيذها نظرات منك صادقةً ... أن تحسبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ ورمُ

13- وقال من قصيدة يمدح بها محمد بن سيّار بن مُكرم التميمي، يصف مسيره إليه، واستقبال ابن سيّار له:

سرَى السَّيفُ مِمَّا تُطبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبي ... إلى السَّيفِ مِمَّا يَطبعُ اللّه لا الهندُ

فَلَمَّـا رآنـي مُقبـلاً هـزّ نفسـهُ إلَيَّ حُسامٌ كُلُّ صَفح لَه حَـدُّ
فَلَم أرَ قَبلِي مَنْ مَشَى البَحْرُ نَحوَهُ وَلا رَجُلاً قَامتْ تُعانِقُهُ الأسْـدُ

14- قال طرفة بن العبد:

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مـنْ لَـم تـزود

15- قال أبو نواس:

لا يرقىء الله عيني من بكى حجـراً ولا شفى وجد من يصبـو إلى وتـد

16- أحشفاً وسوء كيلة.

17- قال الشاعر:

كفـى بـالمرء عيبـاً أن تـراهُ لـه وجـهٌ وليـس لـه لسـانُ

18- قال ابن المعتز في المدح:

سالتْ عليه شعابُ الحيّ حين دعـا أنصـارهُ بوجـوهٍ كالدنانـيرِ

19- قال الشاعر:

بـلادي وإنْ جـارت علـيّ عزيـزةٌ وأهلـي وإن ضَنُّـوا علـيّ كـرامُ

* **قال البحتري:**

أتاكَ الرَّبيعُ الطَّلقُ يختالُ ضَاحكاً منَ الحُسـن حَتّـى كـاد أن يتكلّما
وقد نَبَّهَ النّوروزُ في غَلَسِ الدُّجَى أوائـلَ وردٍ كـنَّ بـالأمس نُوَّمـا
يُفتقـها بـردُ النَّـدى فكأنَّـهُ يَبُـثُّ حديثاً كـان أمْـسِ مُكتَّمـا
ومِـنْ شَـجَرٍ رَدَّ الرَّبيـعُ لباسـه عليـه كمـا نَشَّرَتْ وشياً مُنَمْنَمَـا
أحَـلَّ فـأبدى للعيـون بَشاشـةً وكان قذىً للعيـن إذ كـان مُحرمـا
ورقَّ نسيم الرِّيحِ حتى حَسِبتهُ يجـيء بأنفـاسِ الأحبّـة نُعَّمـا

أ- استخرج من الأبيات السابقة:

1- الاستعارات المكنية مبيناً قيمتها البلاغية.

2- التشخيص ودوره في رسم الصورة.

ب- كيف استطاع الشاعر رسم الصورة الكلية لمظهر جمال الطبيعة في الربيع بالصور الجزئية التي اعتمدت على الصوت واللون والحركة.

4

الفصل الرابع

علم البديع

الفصل الرابع
علم البديع

تعريفه وواضعه:

البديع لغة: الجديد المخترع لاعلى مثال سابق ولا احتذاء متقدم، تقول: بدع الشيء وأبدعه، فهو بادع ومبدع.

واصطلاحاً: علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح دلالته، بخلوها من التعقيد المعنوي.

واضع أصول هذا العلم ومدوّن قواعده هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل المتوفى سنة 296 هجرية. وقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً سماه «البديع»، ذكر فيه سبعة عشر نوعاً من أنواع البديع... وقد توالت التآليف بعد ابن المعتز حتى وصل عدد المحسنات البديعية عند عبد الغني النابلسي في بديعيته إلى مائة وستين نوعاً.

وجوه التحسين البديعي:

تنقسم المحسنات قسمين، هما: المحسنات البديعية المعنوية، والمحسنات البديعية اللفظية.

أمّا المحسنات البديعية المعنوية، فهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير الحسن المذكور. فالغاية من هذه المحسنات تحسين المعنى.

وأما المحسنات اللفظية، فالغاية منها تحسين اللفظ، وإن حسنت المعنى أحياناً تبعاً، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك الحسن.

المحسنات البديعية المعنوية (اللغوية)

ومن هذه المحسنات :التورية، والطّباق، والمقابلة، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، واللف والنشر، والإرصاد، والتقسيم، وتجاهل العارف، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والتوجيه، والاستخدام، والمشاكلة، والرجوع، والعكس (التبديل)، وحسن التعديد، والهزل الذي يراد به الجدّ، والإدماج، والاستتباع، والتجريد، والمذهب الكلامي، والمزاوجة، والاستطراد، والإرداف، والتفريع، والتدبيج، وإيهام التناسب، والتفويف، والجمع، والتفريق، والقول بالموجب، والاطراد.... وسنقف فيما يلي عند أهمها:

التورية

التورية لغة: مصدر وريت الخبر تورية: إذا سترته، وأظهرت غيره.

واصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب غير مقصود، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره إلا للإنسان الفطن. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ فالتورية في لفظة (جرحتم)، إذ إن المعنى القريب هو الجرح الحقيقي، أي: شق الجلد، والمعنى البعيد المقصود: ارتكاب الذنوب.

وقول صلاح الدين الصفدي:

وَصاحب لما أتاهُ الغِنى ... تاه ونفسُ المرءِ طَماحة

وَقيل هَلْ أبصرتَ منهُ يداً ... تَشكُرها قلتُ ولا رَاحَة

التورية في كلمة (راحة)، والمعنى القريب المورى به هو (الكف)، وهو المتبادر بقرينة ذكر اليد، أما المعنى البعيد المقصود المورى عنه فهو (ضد التعب).

وقول يحيى بن منصور الحنفي:

ولَمّـا نـأتْ عنّـــا العشـــيرةُ كلُّـــها   أنخنا فحالفنا السيوف علـى الدهـر

فمَـا أسـلمَتنا عنـــدَ يـــومٍ كريهـــةٍ   ولا نحنُ أغضينَا الجفونَ عَلـى وتـرِ

فالتورية في لفظة (الجفون) وهي تحتمل معنيين:

أولهما: القريب غير المقصود المورّى به، وهو جفون العين.

وثانيهما: البعيد المقصود المورى عنه، وهو أغماد السيوف.

ومن هنا قسّمت التورية إلى أربعة أنواع هي:

1- التورية المجردة: هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به، وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورّى عنه، وهو المعنى البعيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾، فلعبارة (إنك لفي ضلالك القديم) معنيان:

- الأول القريب غير المقصود وهو: أن أباهم ما زال ضالاً مع أوهامه في أن يعود إليه يوسف.

- الثاني البعيد المقصود وهو: أن أباهم ما زال ضالاً في إيثاره يوسف وشقيقه بنيامين على سائر بنيه.

2- التورية المرشّحة: هي التي يذكر فيها لازم المورّى به، وهو المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به، وتارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾، فالتورية هنا في كلمة (بأيد) لأن لها معنيين:

- معنى قريب مورى به: وهو اليد الجارحة، وذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان.

- معنى بعيد مورى عنه: وهو القوة وعظمة الخالق، وهو المراد، فالله سبحانه وتعالى منزه عن المعنى الأول.

وقول عمر بن أبي ربيعة:

أيـــها المنكـــحُ الثُّريَّـــا ســـهيلاً عَمْـــرُكَ اللَّـــهُ كيـــف يلتقيـــانِ

هـــي شـــاميةٌ إذا مـــا اســـتقلت وســـهيلٌ إذا اســـتقلَّ يمـــانِ

فالتورية هنا في كلمتي (الثريا وسهيل) لأن لهما معنيين:

- أحدهما: الكواكب الموجودة في السماء، وهو المعنى القريب الظاهر غير المراد، وسبب تبادره إلى الذهن أن كلاً من الثريا وسهيل قد رشّح صاحبه للتورية، فقوى لفظ الثريا على إيهام القصد بسهيل إلى الكوكب المعروف، ولفظ سهيل على إيهام القصد بالثريا إلى المنزلة المشهورة.

- ثانيهما: الثريا هي الثريا زوجة سهيل وهي شامية الدار والقبيلة، لأنها من بني أمية الأصفر ابن عبدشمس.

سهيل: هو سهيل، وهو يماني الدار لا القبيلة.

3- التورية المبينة: هي ما ذكر فيها لازم الموَرّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده،ومن أمثلتها قول شرف الدين بن عبدالعزيز:

قـــالوا: أمـــا في جلِّـــقٍ نزهـــةٌ تنســـيك مـــن أنـــت بـــه مُعـــزى

يـــا عـــاذلي دونـــك مـــن لحظـــه ســـهماً ومـــن عارضـــه ســـطرا

فالتورية هنا في كلمتي (سهم وسطر) لأن لهما معنين:

معنى قريب مورى بهما غير مقصود وهو: لحظ العين وسطر العارض.

معنى بعيد مورى عنهما وهو المراد وهو: متنزها سهم وسطر، وكلاهما من متنزهات جلّق (دمشق).

وقد ذكر الشاعر قبلهما كلمة نزهة، وهي لازم من لوازم الموّرى عنهما على جهة التبيين.

4- التورية المهيأة: هي أن لا يتهيأ في الكلام تورية إلا باللفظ الذي قبله أو الذي بعده،أو تكون التورية في لفظتين لولا كلّ منهما لما تهيأت التورية في الآخر، ومن ذلك قول ابن سناء الملك يمدح المظفّر:

وسـيركَ فينا سـيرةٌ عُمريـةٌ فروّحتَ عن قلب وأفرجتَ عن كرب

وأظهرت فينا من سميِّك سُنةً فأظهرت ذاك الفرضَ من ذلك النُّدب

فالتورية هنا في لفظي (الفرض والنُّدب) ولهما معنيان:

- الأول المورى بهما وهو المعنى القريب غير المقصود ويعنيان (حكمين شرعيين).

- والثاني المورّى عنهما وهو المعنى البعيد المقصود ويعنيان على التوالي (العطاء، والسريع في قضاء الحاجة)، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان.

لاحظ التوريات الآتية:

- قال تعالى: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ .

فالتورية هنا في كلمة (ربه)، لأن لها معنيين:

معنى قريب: وهو الإله سبحانه وتعالى.

معنى بعيد: الملك وهو المراد.

- قال ابن الظاهر:

شـكراً لنسـمةِ أرضِكُـم كـمْ بلَّغـتْ عنِّـي تحيـة

لا غَـرْوَ إن حفظـت أحـا ديـثَ الهـوى فـهي الذَّكيـة

فالتورية هنا في كلمة (ذكية) لأن لها معنيين:

المعنى القريب: وهو الساطعة الرائحة.

المعنى البعيد: وهو الفطنة، وهو المعنى المقصود.

- قال نصير الدين الحمّامي، وتروى لغيره:

أبيـاتُ شِـعرك كـالقُصو ر ولا قُصُـورٌ بـها يعـوقْ

ومـن العجـائب لفظُـها حُـرٌّ ومعناهـا رقيـقْ

فالتورية هنا في كلمة (رقيق) لأن لها معنيين:

- أحدهما: العبد المملوك، وهو المعنى القريب الظاهر غير المراد، وسبب تبادره إلى الذهن

ما سبقه من كلمة حرّ.

- ثانيهما: اللطيف السهل الدمث من المعاني، وهو المعنى البعيد المراد.

تطبيقات

بين التورية في ما يلي:

1- قال البحتري:

وَوَراءَ تسديةِ الوِشَاحِ مليةٌ بالحُسنِ تَملُحُ في القُلوبِ وتَعذُبُ

2- قال ابن نباتة المصري:

والنهرُ يُشبِهُ مبردًا فلأجلِ ذا يَجلُو الصَدى

3- قال بدر الدين الذهبي:

يَا عَاذلي فيهِ قُلْ لي إذا بَدا كَيفَ أَسْلو

يَمُرُّ بي كلَّ وقتٍ وَكُلَّمَا مرَّ يَحلُو

4- قال الشاب الظريف:

تبسَّمَ ثغرُ اللوزعنْ طيبِ نَشْرِهِ وأقبلَ في حسنٍ يجلُّ عنِ الوصْفِ

هَلُموا إليه بين قصْفٍ ولَذَّةٍ فإنَّ غُصونَ الزَّهْرِ تَصْلُحُ للقَصْفِ

5- قال أبو الحسين الجزار:

كيف لا أشكُرُ الجزارةَ ما عشـ ـت حفاظاً وأهجُر الآدابا

وبها صارتِ الكلابُ ترجِّيـ ـني وبالشِّعْرِ كنتُ أرجو الكلابا

6- قال ابن سناء الملك:

أما والله لولا خوف سخطك لهان عليَّ ما ألقى برهطكْ

ملكت الخافقين فتهت عُجبا وليس هما سوى قلبي وقرطك

7- قال القاضي عياض عند ما هطل المطر في شهر تموز من أشهر الصيف خلافاً للعادة:

كأنَّ نيسانَ أهدى من ملابسهِ لشهر كانونَ أنواعاً من الحُللِ
أو الغزالة من طولِ المدى خرِفَتْ فما تُفَرِّقُ بين الجدي والحَمَلِ

8- قال الشاعر:

عشقتُ بدراً مليحاً عليه في الحُسْن هالهْ
مثلَ الغزال ولكنْ تغارُ منه الغزالهْ

9- قال الشاعر:

الطيرُ تقرأ والغدير صحيفةٌ والريحُ تكتبُ والسحاب ينقّطُ

10- قال الشاعر:

أرى ذنبَ السِّرحان في الأفقِ طالعاً فهلْ ممكنٌ أنَّ الغزالةَ تطلعُ

الطّباق

الطّباق والمطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظتين، نثراً كان أم شعراً. والطّباق نوعان:

طباق الإيجاب:

وهو ما اتفق فيه الضدان إيجاباً وسلباً، كقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾. فالطّباق في لفظي (أيقاظاً ورقود) ، وكلاهما في المعنى ضد الآخر.

وقول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحَكَ والـذي   أمـاتَ وأحيَـا والـذي أمـرُهُ الأمْـرُ

الطّباق في صدر البيت بين لفظي (أبكى وأضحك)، وكلاهمـا معنـاه ضـد الآخـر، وفي عجز البيت بين لفظي (أمات وأحيا)، وكلاهما معناه ضد الآخر.

طباق السلب:

وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، كأن يؤتى بفعلين أحدهما مثبـت والآخـر منفي، نحو قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، حيث الطّبـاق في اللفظين (تعلم ولا أعلم).

ملاحظة:

كما يكون الطّباق في اسمين، أو فعلين، يكون في حرفـين، كقولـه تعـالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ .

فالطّباق في الحرفين (لها وعليها).

وهناك نوع من الطباق يسمى الطباق الضمني وهو ليس كلمة ضد كلمـة في المعنى وإنما معناهما يؤدي إلى التضاد وفق موقعهما في الكلام، مثال ذلك قول ابن زيدون:

لا يكـــن عـــهدُك ورداً   إنَّ عـــهدي لَـــكَ آسٌ

الطباق في كلمتي (ورداً وآس)، ويلاحظ أن الورد ليس ضدّ الآس من حيث المعنى، ولكن مايرمزان إليه يؤدي الى التّضادّ.

فـ (الورد) يدلّ على سرعة الزّوال.

و (الآس) يدُلُّ على طول البقاء.

لاحظ أنواع الطّباق فيما يلي:

1- قال تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾، طباق في كلمتي: ميتاً وأحييناه، وهو طباق إيجاب في اسم وفعل.

2- قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الطباق في لهن وعليهن، وهو طباق إيجاب في حرفين.

3- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾، الطباق في كلمتي تؤتي وتنزع، وبين كلمتي تذل وتعز، وهو طباق إيجاب في الأفعال.

4- قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾، طباق سلب في الفعلين يستخفون ولا يستخفون.

5- قال المنفلوطي: «يا أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». الطباق في كلمتي (السعداء، والبائسين)، وكلمتي (الأرض)، و (السماء).

تطبيقات

* وضّح الطّباق في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

2- ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾

3- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

4- قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

5- قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾

6- قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾

7- قال الرسول ﷺ: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة».

8- قال امرؤ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كَجُلْمودِ صخرٍ حَطَّهُ السَّيلُ من عَلِ

9- قال قريط بن أنيف:

يجزونَ من ظُلمِ أهلِ الظُّلْمِ مَغْفرةً ... ومِنْ إساءةِ أهْلِ السُّوءِ إحْسَانا

10- قال السموأل:

وَنُنْكِرُ إن شِئْنَا على الناسِ قَولَهم ... ولا ينكرونَ القَولَ حين نقولُ

11- قال أبو تمام:

في الشّعر طولٌ إذا اصطكّتْ قصائِدُهُ ... في معشرٍ وبه مِنْ مَعْشَرٍ قصرُ

12- قال أبو فراس الحمداني:

يا حَسْرةً ما أكادُ أحْمِلُها ... آخرها مزعجٌ وأوّلها

13- قال الشاعر:

سأحرقُ أشعاري وكلّ خواطري ... وأخرجُ منها لا عليّ ولا ليا

المقابلة

أحد فنون الطباق، وتكون بأن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثمّ يؤتى بما يقابلهما أي ضدهما في المعنى على الترتيب. وهكذا فإن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدين مفردين فقط، شرط أن يكونا لفظين.

والمقابلة عدة أنواع؛ منها:

1- مقابلة اثنين باثنين، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾، فقد قابل بين (فليضحكوا وليبكوا) وبين (قليلاً وكثيرا).

وكقول المعري:

يا دهرُ يا منجزَ إيعادِه   ومخلفَ المأمولَ من وعدِهِ

2- مقابلة ثلاثة بثلاثة، كقوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾، وقول أبي دلامة:

ما أحسنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجتمعا   وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

3- مقابلة أربعة بأربعة، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾. فقد قابل على التوالي بين (أعطى وبخل) وبين (اتقى واستغنى) وبين (صدق وكذب) وبين (اليسرى والعسرى).

ومعنى استغنى أي زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وذلك يتضمن عدم التقوى.

وقول جرير:

وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينهِ   وقابضُ شرٍّ عنكمُ بشمالهِ

4- مقابلة خمسة بخمسة ، كقول صفي الدين الحلي:

كَان الرِّضا بُدُنوِّي مِـن خَواطِرِهِـمْ فصارَ سخْطي لبُعْدِي عن جِوارهـم

فالمقابلة بين (كان وصار) و (الرِّضا والسخط) و (الدنو والبعد) و (من وعن) و(خواطرهم وجوارهم).

5- مقابلة ستة بستة، كقول الصاحب شرف الدين الأربلي، وينسب لعنترة:

على رأس عبدٍ تاجُ عزٍّ يزينهُ وفي رجلِ حرٍّ قيدُ ذلٍّ يشينهُ

حيث المقابلة هنا بين (على وفي) و (رأس ورجل) و (عبد وحر) و (تاج وقيد) و (عز وذل) و (يزينه ويشينه).

تطبيقات

◆ وضّح المقابلة في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ .

3- قال الرسول ﷺ: «إنكُم لتكثرُون عندَ الفزَع، وتقلُّونَ عند الطَّمع».

4- قال بكر بن النطّاح الحنفي:

أذكي وأوقد للعداوةِ والقرى نارَين نارَ وغىً ونار زنادِ

5- قال المتنبي:

أزورهُم وسوادُ اللَّيل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصُّبحِ يُغري بي

6- قال البحتري:

فإذا حاربُوا أذلُّوا عزيزاً وإذا سالَمُوا أعزُّوا ذليلاً

7- قال أبو تمام:

يا أمةً كانَ قُبحُ الجور يُسْخِطُها دهراً فأصبحَ حسنُ العدلِ يُرضِيها

8- قال العباس بن الأحنف:

اليوم مثل الحول حتى أرى وجهك والساعة كالشّهر

9- قال الشاعر:

فواعجباً كيف اتَّفَقْنا فناصحٌ وفيٌّ ومطويٌّ على الغلّ غادرُ

10- قال بعض الخلفاء: «من أقعدته نكاية اللئام أقامته إعانة الكرام».

* راجع سورة (الغاشية) ثم تحدث عن المقابلة فيها.

حسن التعليل

هو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ومن ذلك قول ابن الرومي:

أمّا ذُكاءُ فلمْ تصفرَّ إذ جنحتْ   إلاّ لفُرقةِ ذاكَ المنظرِ الحسنِ

فابن الرومي يرى أن ذكاء، أي الشمس لم تصفرَّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء، ولكنها اصفرّت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

وكقول المتنبي في مدح بدر بن عمّار:

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكنْ   يتَّقي إخلافَ ما تُرْجُو الذئابُ

إن سبب قتل الأعادي هو أن يسلم الممدوح من أذاهم وضرهم، لكن المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً، فرأى أن الباعث لابن عمار على قتال أعاديه هو عدم إخلاف وعده للذئاب التي تعودت أن تأكل لحم قتلاه، وهذا دليل على شجاعة الممدوح وشهرته في مجال الحرب حتى لدى الحيوان، بالإضافة إلى محبته إجابة طالب الإحسان.

تأمل الأمثلة الآتية:

1- قال المتنبي يمدح أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوراجي الكاتب، وكان من المتصوفين:

لم يحكِ نائلكَ السحابُ وإنّما   حُمّت بهِ فَصَبيبُها الرُّحَضاءُ

ومعنى البيت أن ماء السحاب لا يشابه عطاءك الجم لأن عطاءك أكثر من عطائه، وأن هذا العطاء الوافر أخجل السحاب حسداً فأصابته من جراء ذلك الحمى، وأنّ ما ينضب من مائه إنما هو الرحضاء (العرق) نتيجة إصابته بالحمى.

2- قال الصلاح الإربلي يعلل عدم نزول المطر بأرض مصر، وبطء جريان النيل:

ما قصَّرَ الغيثُ عن مصرٍ وتُربتِها   طَبْعاً ولكنْ تعدّاكم منَ الخَجَلِ

ولا جَرى النيـلُ إلا وهـوَ معـترفٌ   بِسَـبقكُم فلـذا يجـري علـى مـهلِ

فعلة قلة نزول المطر خجله من الممدوح، وعلة بطء النيل ثقتـه بـأن الممـدوح سابق له.

3- قال ابن نباتة:

فكأنّمـا لطـمَ الصَّبـاحُ جبينـهُ   فـاقتصَّ منـهُ فخـاضَ في أحشـائهِ

يقول إن الصبح اعتدى على فرسه، فلطمه في جبينه، فهذا البياض الـذي في جبين الفرس هو ليس إلا من لطمة الصبح، ولكن هذا الفرس أراد أن يقتص من الصبـح فلـم يكتف أن يلطمه لطمة واحـدة، بـل خـاض بقوائمـة في أحشـاء الصبـح، فـابيضت هـذه القوائم، وفي البيت استعارة مكنية كذلك.

4- قال حفني ناصيف يصف زلزالاً حدث في مصر:

ما زُلزلت مصرُ من كيـدٍ يُـراد لهـا   وإنمـا رقصـتْ مـن عدلـهِ طربـا

يدّعي الشاعر أنّ الزلزال الذي حدث في مصـر لم يكـن ناشـئاً عـن سـوء أصابـها، ولكنها شهدت عدلَ الممدوح يعُمّ أرجاءها فراحت ترقصُ طرباً وتهتزُّ سروراً.

5- قال الشاعر:

لا يطلـعُ البـدرُ إلاّ مـن تشـوُّقهِ   إليكَ حتّى يُـوافي وجـهكَ النَّضـرا

يُنكر الشاعر السبب المعروف لطلوع القمر، ويدّعي أنه إنما يطلع شوقاً إلى الممدوح، ورغبة في رؤية وجهه الصبوح.

تطبيقات

◆ **وضّح حسن التعليل في ما يلي:**

1- قال حافظ إبراهيم:

يعيبون شوقي إذا يُرى غَـير مُنشـدٍ   ومـا ذاكَ عـن عـيٍّ بـهِ أو ترفُّـعِ

ولكــنْ حيــاءً لَمْ يفــارقْ طبعَـــهُ   وطبـعُ الكريـمِ الحرِّ فـوقَ التطبُّعِ

2- قال أبو العلاء المعري في الرثاء:

ومــا كُلفــةُ البــدرِ المنــيرِ قديمــةً   ولكنَّــها في وجهــه أثــرُ اللطـــمِ

3- قال مسلم بن الوليد:

يـا واشـياً حَسُـــنتْ فينــا إســاءتهُ   نجّى حـذارُكَ إنسـاني مـن الغـرقِ

4- قال أبو هلال العسكري:

زعــم البنفســـج أنـــه كَعُـــذاره   حُسـناً فسلّوا مـــن قفـاهُ لســانهُ

5- قال الخطيب القزويني (بيت مترجم عن الفارسية):

لـو لم تكـن نيـةُ الجـوزاءِ خِدمتــهُ   لما رأيـــتَ عَلَيــها عِقــدَ مُنتطــقِ

6- قال المتنبي يمدح علي بن مكرم التميمي:

ومـا ريـحُ الرِّيـــاضِ لهـا ولكـــن   كسـاها دفنـــهم في الـــترب طيبـــا

7- قال أبو تمام:

لا تُنكري عَطَلَ الكريم مـن الغنـى   فالسـيلُ حـربٌ للمكـانِ العـالي

8- قال ابن المعتز:

قـالوا اشـتكتْ عينـهُ فقلـتُ لهـــم   مـن كـثرة القَتلـى نالَـها الوَصَـــبُ

حُمرتُـها مـن دمـــاءِ مَـنْ قَتَلَـتْ   والـدّمُ في النَّصْـلِ شـاهدٌ عجـــبُ

9- قال ابن نباتة يصف فرساً:

وأدهَـــمٍ يســـتمدُّ الليـــلُ منـــهُ   وتطلُـــعُ بـــين عينيـــه الثُّريّـــا

سَرَى خلـفَ الصَّبـاحِ يطـيرُ زهـواً   ويطـوي خلفـه الأفـلاكَ طيّـــا

فلمـا خـافَ وشـكَ الفـوتِ منـــهُ   تَشَـــبّثَ بـــالقوائمِ والمُحَيّـــا

10- قال الشاعر:

أرى بـدرَ السَّـماءِ يلـوحُ حينـاً ويبـدو ثـم يلتحـفُ السَّـحَابا

وذاكَ لأنّـهُ لَمّـا تبـدَّى وأبصَـرَ وجهـهُ استحيا وغَابـا

تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيد المدح بما يشبه الذم هو أن يُستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح بتقدير دخولها فيها، أو أن يُثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة أخرى مستثناه من مثلها. ومثال ذلك قول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة:

ولا عَيْبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سُيوفَهم   بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

فالشاعر قد صدّر قوله بنفي العيب عن الممدوحين، ثم أتى باستثناء يوهم السامع أن هناك عيباً سيذكره الشاعر، ولكن يلاحظ وجود صفة مدح تؤكد قوله السابق أي المدح، فالشاعر نفى العيب عن ممدوحيه مستثنياً فلول سيوفهم من ضرب الأعداء ، وهذه الفلول (أي الكسر الذي يصيب السيف في حده) ليست صفة ذم بل هي صفة مدح، لأنها تدل على شجاعة الممدوحين، وكثرة قتالهم الأعداء.

وقول النابغة الجعدي:

فتىً كَمُلَتْ أخلاقُه غيرَ أنّهُ   جوادٌ فما يُبقي من المالِ بَاقيا

فالشاعر أتى بصفة مدح للمدوح في صدر البيت، ثم أتى بأداة استثناء ليوهم السامع بأن هناك عيباً سوف يذكره ويصرح به، و سرعان ما يخدع السامع لدى سماعه صفه مدح تؤكد المدح الأول. وقول الشاعر:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن ضُيوفَهُم   تُعابُ بنسيانِ الأحِبَّةِ والأهلِ

ويلاحظ أن أدوات الاستثناء مثل (غير، سوى، إلا، بيد) تأتي في مثل هذا الباب بمعنى (لكنّ) التي هي للاستدراك، ويجري الاستدراك فيها مجرى الاستثناء.

ومن ذلك قول ابن الرومي:

ليس له عيبٌ سوى أنّهُ   لا تقعُ العينُ على مِثْلِهِ

فقد جعل انفراد محبوبه في الدّنيا بالحسن دون أن يكون له قرين مماثل عيبا، فزاد بذلك من توكيد حسنه.

تأكيد الذم بما يشبه المدح

هو أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم، أو أن يثبتَ لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، مثال ذلك قول القائل:

فلانٌ لا خيرَ فيه إلا أنه يسيءُ إلى من أحسن إليه.

فقد استثنى القائل هنا من صفة المدح المنفية صفة ذم بتقدير دخولها في صفة المدح المنفية.

وكقول الشاعر:

هُـو الكلـبُ إلاّ أنَّ فيـهِ ملالـةً   وسُوءَ مراعاةٍ ومـا ذاكَ في الكلبِ

صدر الشاعر كلامه بصفة ذم، ثم أتى بأداة استثناء ليوهم السامع بأن هناك صفة مدح سوف يذكرها، ولكنه أتى بصفة ذم أخرى تؤكد الأولى.

ومن ذلك قول القائل: «فلان فاسق إلا أنه جاهل».

وتكمن أهمية هذا الأسلوب في قوة المفاجأة والدهشة اللتين تخلفهما أداة الاستثناء.

تطبيقات

◆ **بيّن في ما يلي تأكيد المدح بما يشبه الذم أو عكسه:**

1- قال أبو هفّان الشاعر:

ولا عيبَ فينا غيرَ أنَّ سَماحَنا   أضَرّ بنَا، والبأس من كلِّ جانبِ

فأفنَى الرَّدى أرواحنا غير ظالمٍ   وأفنى النَّدى أموالَنا غيرَ عائبِ

2- قال أبو هلال العسكري:

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنَّ ذوي النَّدَى   خساسٌ إذا قِيسُوا بهِ ولئامُ

3- قال جمال الدين بن نباتة:

لا عيبَ فيه سوى العزائم قصرتْ عنها الكواكبُ وهيَ بعد تحلّق

4- وقال آخر:

وجُوهٌ كأزهار الرِّياضِ نضارةً ولكنَّها يومَ الهياجِ صخورُ

5- وقال آخر:

تعدّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لي إلا العلا والفضائلُ

6- وقال آخر:

لئيمُ الطِّباعِ سَوى أنهُ جبانٌ يهونُ عليهِ الهوانُ

7- وقال آخر:

ليسَ فيهِ عيبٌ سِوى أنَّ إحسا نَ يديهِ يستعبدُ الأحْرارا

8- قال ابن الرومي:

عَيْبُهَا أنَّها إذا غنّتِ الأحْ رارَ ظَلّوا وهُم لديها عبيدُ

9- الجاهلُ عدوٌّ نفسهِ لكنّه صديق السفهاء.

اللفّ والنّشر (الطيّ والنّشر)

هو ذكر متعدد تفصيلاً أو إجمالاً (وهذا هو اللف)، ثم ذكر ما لكل جزء من المتعدد دون تعيينه، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به (وهذا هو النشر)، وهو نوعان:

أ- مرتب: أي أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي، بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فقد جمع بين الليل والنهار، ثم ذكر السكون لليل وابتغاء الرزق للنهار على الترتيب.

ومن أمثلته شعراً قول ابن الرومي:

آراؤكُمْ وَوُجُوهكُم وسُيوفكم ... في الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نُجومُ

فيها معالم للهُدى ومَصَابح ... تجلو الدُّجى والأخرياتُ رُجومُ

فقد جمع بين الآراء والوجوه والسيوف، ثم ذكر معالم الهدى للآراء، ومصابح تجلو الدجى للوجوه، والرجوم (أي المنايا) للسيوف.

ب- غير مرتب: أي غير مرتب اللف، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾، ذكر الله تعالى الليل والنهار ثم أضاف ابتغاء الفضل للثاني، وعلم الحساب للأول على غير ترتيب.

ومنه قول ابن حيوس الإشبيلي:

كيفَ أسْلو وأنتَ حقفٌ وغصنٌ ... وغزالٌ لحظاً وقَدّاً وردفا

فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف (وهو الرمل العظيم المستدير يشبه به الكفل في العظم والاستدارة)، وذلك من غير ترتيب.

تطبيقات

◆ بيّن اللف والنشر في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

2- قال الشاعر:

ألستَ أنتَ الذي مِنْ وردِ نعمتهِ ... وورد راحتِه أجني وأغترفُ؟

3- قالت حميدة الأندلسية:

ولمّا أبى الواشونَ إلا فِراقنا ... وما لهمُ عندي وعندكَ من ثار

غزوناهم منْ ناظريكَ وأدمُعي ... وأنفاسِنا بالسيفِ والسيلِ والنار

4- قال الشاب الظريف شمس الدين بن العفيف:

رَأى جَسَدي والدمع والقلب والحشا ... فأضْنى وأفنى واستمال وتيما

5- وقال آخر:

ولحظهُ ومحياهُ وقامتُهُ ... بدرُ الدُّجى وقضيبُ البانِ والرّاحُ

6- وقال آخر:

عيونٌ وأصداغٌ وفرعٌ وقامةٌ ... وخالٌ ووجناتٌ وفرقٌ ومرشف

سيوفٌ وريحانٌ وليلٌ وبانةٌ ... ومسكٌ وياقوتٌ وصبحٌ وقرقفُ

الإرصاد (التسهيم)

هو أن يذكر قبل القافية من البيت الشعري، أو الفاصلة من النثر ما يدل عليها إذا عرف الرويّ. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾

لو قرأنا الآية الكريمة على الشكل التالي: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل..» وتوقفنا، وطلب من السامع أن يكمل الآية الكريمة لتوقّع زيادة «غروبها» عفوياً، وذلك لذكر «طلوع الشمس».

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

فلو قرئت الآية الكريمة: وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم.. ومن ثمّ تمّ التوقف، وطلب من سامع إكمالها لتوقع زيادة (يظلمون) عفوياً وذلك لذكر (ليظلمهم).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾.

فإذا وقف السامع على قوله: (وإن أوهن البيوت)، فيعلم أن ما بعده (بيت العنكبوت) حيث إنّ المتقدم دلّ على المتأخر.

ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب:

إذا لْم تستطعْ شيئاً فدعهُ   وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وقول زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ   ثمانين حولاً لا أبا لكَ يسأم

فلو قرأنا البيتين بدون كلمتي (ما تستطيع) في البيت الأول و (يسأم) في البيت الثاني، وطلب من السامع إكمال البيتين لتوقع زيادتهما، وذلك لذكر (تستطع) في الشطر الأول من البيت الأول، و(سئمت) في الشطر الأول من البيت الثاني.

تطبيقات

◆ **عيّن الإرصاد في ما يلي:**

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

3- قال تعالى:﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾.

4- قال البحتري:

أبكيكُما دمعاً ولو أني على ... قدر الجَوَى أبكي بكَيتكُما دمَا

5- وقال:

أحلّتْ دَمي من غيرِ جُرمٍ وحَرّمَتْ ... بلا سببٍ عندَ اللقاءِ كَلامي

فليسَ الذي حَلّلْتهِ بمُحَلّلٍ ... وليسَ الذي حَرّمتهِ بحَرامِ

6- قال المتنبي:

وكمْ من جبالٍ جُبتُ تشهدُ أنني الـ ... جبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنّني البحرُ

7- قال ابن فارس اللغوي:

مَشَينَاها خُطىً كُتبت علينا ... ومن كُتبتْ عليهِ خُطَىً مَشَاها

8- قال ابن الرومي في رثاء ولده الأوسط:

طواهُ الرّدى عنّي فأضحى مزارهُ ... بعيداً على قربٍ قريباً على بُعدِ

التقسيم

هو أن يُذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين، كقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾.

فالآية الكريمة ذكرت (ثمود) و (عاد) ،وقسمت الهلاك لكل منهما لتكذيبهما القيامة، فأهلكت الأولى بالطاغية، أي بالصيحة الشديدة، وأهلكت الثانية بريح قوية. وقد يطلق التقسيم على:

أ- أن تُذكر أحوال الشيء، مضافاً إلى كل منها ما يليق به، كقول الشاعر:

بدتْ قمراً ومالتْ خوطَ بانٍ ... وفاحتْ عنبراً ورنتْ غزالا

ب- أن تستوفى أقسام الشيء، كقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

وقول أبي تمّام:

إن يعلموا الخير يُخفوهُ وإن علموا ... شراً أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبوا

والآن لاحظ التقسيم في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾

نلاحظ تقسيم الله سبحانه وتعالى الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، لأنه سبحانه إما يفرد العبد بهبة الإناث، أو يهبه الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهب شيئاً.

نرى التدرج من الأدنى للأعلى، واستخدام المعنى المناسب، إذ عدلَ عن لفظ (الهبة) إلى لفظ آخر وهو (يجعل) لمافيها من معنى الحرمات.

2- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾.

التقسيم في: خوفاً وطمعاً، فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار.

3- قال المتنبي في مدح محمد بن سيار التميمي:

سأطلبُ حقّي بالقنا ومشايخ كأنّهمُ من طولِ ما التثموا مُردُ
ثقالٍ إذا لاقوا خفافٍ إذا دعوا كثيرٍ إذا شدُّوا قليلٍ إذا عُدّوا

ذكر المتنبي المشايخ الذين سيساعدونه في طلب حقه، وقد أضاف المتنبي إلى كل حال ما يلائمها، وقسّم أحوالهم، منهم: ثقال إذا لاقوا، أي أنهم شديدو الوطأة على الأعداء وثابتون في الحروب، وخفاف إذا دعوا للنجدة، فهم يسرعون لنجدة من يطلبهم، وكثير إذا شدّوا، أي أن أفعالهم كثيرة، وقليل إذا عدّوا، أي أن عددهم قليل، فهم يبدون كثراً لكثرة أفعالهم بالرغم من قلة عددهم.

4- قال البحتري يصف قتله ذئباً:

فأتبعتُها أخرى فأضْلَلْتُ نصلها بحيثُ يكونُ اللبّ والرعبُ والحِقْدُ

التقسيم في: اللب، الرعب، الحقد.

تطبيقات

◆ بيّن التقسيم في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾
إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ

عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴾

2- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾

3- قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

4- قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾

5- قال الرسول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك».

6- قال نصيب:

فقالَ فريقُ القومِ: لا، وفريقُهم: نعم ، وفريقٌ، وايمن الله، لا ندري

7- قال زهير:

وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنّني عن علمِ ما في غَدٍ عَمِ

8- وقال:

فإن الحقَّ مقطعهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

فذلكم مقاطعُ كلِّ حقٍّ ثلاث كلهنَّ لكم شفاءُ

9- قال عمر بن أبي ربيعة:

وَهَبْها كشيء لم يكُنْ أو كَنازحٍ به الدّارُ أو من غَيَّبَتْهُ المقابر

تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلاً لنكتة وغاية، وهذه الغاية قد تكون:

1- المبالغة في المدح، ومثال ذلك قول البحتري:

ألمعُ برقٍ سَرى أم ضوء مصباحِ أم ابتسامتُها بالمنظرِ الضاحي؟

فالشاعر يتساءل عما إذا كان الذي رآه هو لمع برق أو ضوء مصباح أم ابتسامة صاحبته بهذا الوجه الظاهر، وهو يدري أن الذي رآه هو ابتسامتها، ولكنه تجاهل ما يعرفه للمبالغة.

2- التعريض، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾

3- التوبيخ، كقول ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد:

أيا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً كأنكَ لم تجزعْ على ابن طريفِ؟

4- الإيناس، لأن المقام مقام هيبة ورهبة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾

5- التدله في الحب، كقول الحسين بن عبدالله الغزي:

باللّهِ يا ظَبيات القاع قُلن لنا ليلايَ منكنَّ أم ليلى مِنَ البَشَرِ؟

6- المبالغة في الذم والتحقير، كقول زهير:

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ؟

7- التعجب، كقوله تعالى: ﴿ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾

وتجاهل العارف بأغراضه المختلفة- عدا التعريض- من الاستفهام البلاغي.

تطبيقات

◆ بيّن تجاهل العارف في ما يلي ووضّح الغرض منه:

1- قال تعالى: ﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾.

2- قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

ما بالُ عينـك منـها دمعـها سَـربُ   أراعَـها حـزنٌ أم عادَهـا طَـرَبُ؟
أم ذكر صخـرٍ بُعيـدَ النـومِ هيَّجَـها   فالدمعُ منها عليهِ الدهرُ ينسـكبُ؟

3- قال المتنبي في مدح أبي أحمد عبيدالله بن يحيى البحتري:

أريقُـك أم مـاءُ الغمامــة أم خمـرُ   بفـيّ بـرودٌ وهـو في كبـدي جمـرُ؟
أذا الغصنُ أم ذا الدِّعصُ أم أنتِ فتنةٌ   وذيـا الـذي قبَّلْتـهُ الـبرقُ أم ثغـرُ؟

4- قال ابن هانئ الأندلسي:

فتكـاتُ طرفـكِ أم سـيوفُ أبيـكِ   وكـؤوسُ خمـرٍ أم مراشـفُ فيـكِ؟

5- وقال آخر:

أهــذا وجــهُ هنــد أم هــلالُ   وفيــه عنــبرٌ أم فيــه خــالُ؟

6- وقال آخر:

أوَ ميـضُ بـرقٍ في الأبـيرق لاحَـا   أم في رُبــى نجـدٍ أرى مصباحـا؟

المبالغة

هي وصف شيء وصفاً مستبعداً أو مستحيلاً، وتقسم إلى ثلاثة أنواع:

1- التبليغ: هو وصف الشيء بما هو ممكن عقلاً وعادة، كقول امرىء القيس في وصف فرسه:

فَعادى عِداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دراكاً ولم ينضحْ بماءٍ فيغسلِ

فقد وصف فرسه بأنه طارد ثوراً ونعجة من بقر الوحش وأنه أدركهما وقتلهما في شوط واحد من غير أن يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده، أي أدركهما وصادهما دون معاناة، وذلك أمر ممكن عقلاً وعادة.

ومن ذلك قول الشاعر نفسه:

واصرعُ أيّ الوحش قفيته به وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ

2- الإغراق: وهو وصف الشيء بما هو ممكن عقلاً لاعادة، ومثال ذلك قول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونُكرمُ جارنا ما دام فينا ونتبعهُ الكرامةَ حيثُ مالا

فإكرامهم للجار مدة إقامته بينهم من الأخلاق الحميدة، ومدّه بالكرم عند رحيله وجعل هذا الكرم يتبعه ويشمله حيث كان وفي كل مكان يذهب إليه هو الإغراق.وهذا أمر ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلاً.

ومن ذلك قول زهير:

لو كان يقعدُ فوقَ الشّمسِ من كرمٍ قومٌ بأوّلهم أو مجدهم قَعَدُوا

فاقتران هذا الجملة بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذي جعلها مستحسنة في باب الإغراق.

3- الغلو: وهو وصف الشيء بما هو مستحيل عقلاً وعادة، ويقسم إلى قسمين:

أ- الغلو الحسن، وهو ما دخل عليه أو اقترن به أداة من الأدوات التي تقربه إلى الصحة، والقبول نحو: (قد) للاحتمال، و (لو) و (لولا) للامتناع، و (كأن) للتشبيه، و (يكاد) للمقاربة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾. فإن إضاءة الزيت من غير مسّ نار مستحيلة عقلاً، ولكن لفظة (يكاد) قربته فصار مقبولاً.

وقول أبي صخر:

تكادُ يدي تَندَى إذا ما لمستها ... وينبتُ في أطرافها الورق النّضرُ

ب- الغلو غير المقبول، ويتمثل في المعنى الذي يمتنع عقلاً وعادة مع خلوه من أدوات التقريب التي تدنيه إلى الصحة والقبول، ومراتب القبول في الغلو تتفاوت، فمن ذلك قول ابن هانىء الأندلسي في مطلع قصيدة يمدح بها المعزّ لدين الله الفاطمي:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ ... فاحكم فأنتَ الواحدُ القهّارُ

فادّعاء أن مشيئة المعزّ فوق مشيئة الأقدار، وأنه هو الواحد القهار غلو يوهم بالكفر.

تطبيقات

♦ وضّح نوع المبالغة في ما يلي:

1- قال تعالى في وصف أعمال الكافرين: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾.

2- قال عمرو بن كلثوم:

إذا بلغَ الفطامُ لنا صبيٌّ ... تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

3- قال امرؤ القيس في وصف محبوبته:

من القاصراتِ الطّرْفِ لو دبّ مُحْوِلٌ

مِن النّملِ فوقَ الإتبِ منها لأثّرا

4- قال المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ   لولا مخاطبتي إياك لم ترني

5- وقال في مدح سيف الدولة:

وصُولٌ إلى المستعصيات بخيله   فلو كان قرنُ الشمسِ ماءً لأوردا

6- وقال في مدحه:

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً له   تفارقُهُ هَلكى وتلقاهُ سُجّدا

7- وقال في مدحه:

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعة والنُّهى   إلى قولِ قومٍ أنت بالغيبِ عالمُ

8- وقال في مدحه:

أتوكَ يَجُرُّونَ الحديدَ كأنَّما   سروا بجيادٍ ما لهنّ قوائمُ

9- وقال مفتخراً:

إذا صلتُ لم أترك مصالاً لصائل   وإن قلتُ لم أترك مَقالاً لقائلِ

10- وقال مفتخراً:

ولو برزَ الزُّمانُ إليّ شخصاً   لخضَّبَ شَعْرَ مفرقهِ حُسَامي

11- قال أبو نواس يمدح هارون الرشيد:

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتَّى إنَّهُ   لتخافكَ النُّطَفُ التي لم تُخلق

12- قال أبو العلاء المعري:

تكادُ قسيُّهُ من غيرِ رامٍ   تمكّنُ من قلوبهمُ النِّبالا

تكادُ سيوفهُ من غيرِ سلٍّ   تجدُّ إلى رقابِهِمُ انسِلالا

13- قال البحتري في مدح المتوكل:

ولـو أنّ مشـتاقاً تكلّـفَ فـوقَ مـا   في وسـعِه لسَـعى إليـه المنـبرُ

14- قال ابن حجة الحموي:

وقد تجاوزَ جسمي حدَّ كـلِّ ضنـى   وها أنـا اليـوم في الأوهـامِ تخييـل

مراعاة النظير

مراعاة النظير: هو الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسب وائتلاف ما، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التضايف، الذي سبق في الطباق، ويكون هذا التناسب بين معنيين فأكثر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.

النجم: النبات الذي لا ساق له، والشجر: النبات الذي له ساق.

وفي سورة (الرحمن) أمثلة متعددة من أمثلةمراعاة النظير.

ومن أمثلة ذلك قول البحتري يصف الإبل التي يهاجر على ظهورها من بلاد تنكرت له، بالهزال الشديد:

يترقرن كالسَّراب وقد خُضْـ ـنَ غِماراً من السَّراب الجاري

كالقِسيِّ المعُطَّفاتِ بَلِ الأسْـ ـهُمِ مبريَّة بلِ الأوتار

فجمع في تشبيهاته أشياء بينها تناسب وتلاؤم، إذ (القسي) جمع (قوس) ويجمع على (أقواس) تناسب (الأسهم) وتناسب (الأوتار)، لأنها كلها في آلة واحدة.

تشابه الأطراف

وهو أن يعيد الشاعر لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه، ومثال ذلك قول تأبط شراً في وصف الرجل السيد الذي يركن إليه:

لكنما عــولي إن كنــت ذا عــول   على بصــير بكســب الحمـد سـباق
سـباق غايــات مجــد في عشــيرته   مرجـع الصـوت هـذا بـين أرفـاق

وكقول ليلى الأخيلية:

إذا نــزلَ الحجّــاجُ أرضــاً مريضــةً   تَتَبّــعَ أقصَــى دائــها فَشَــفاها
شفاها من الـدّاءِ العُضَـالِ الـذي بـها   غــلامٌ إذا هــزّ القنــاةَ سَــقَاها
ســقاها فرواهــا بشــرب ســجالها   دمـاء رجـال حيــث مــال حشــاها

التوجيه

وهو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السـواء لغيـاب مـا يرجّـح أحـد المعنيين على الآخر كمـا هـو الحـال في التوريـة... وإذا كـانت التوريـة - ظاهرياً- تلـزم القارىء بالوقوف على المعنى الظاهري إذا افتقر إلى ما يعرفه عنه من إحالات إلى الخـارج أو فهم لدلالة اللفظة الثانية البعيدة، فإن التوجيه يضع القارىء على مفـترق طريقـين ولا يرشده إلى أي من هذين الطريقين يسلك.

وذكر البلاغيون أنّ السابق إلى استخدام هذا الفنّ في الأدب بشار بن برد وأنه كـان كثير العبث به، ومن أخباره فيه أنه أراد أن يخيط قباء، (ثوب يُلبس فـوق الثيـاب أو فـوق القميص، ويتمنطق عليه) عند خياط، قيل: اسمه (عمرو) وقيل: اسمـه (زيـد)، فقـال لـه الخياط ممازحاً: سأخيط لك هذا الثوب فلا تدري أهو جبة (ثوب سـابغ واسـع الكمـين، مقدمه مفتوح، يلبس فوق الثياب، وهي مما يلبسه علماء الدين ورجال الديـن، والمنتمـون إليهم)، أم قباء.

فقال له بشار: إذاً أنظم فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت به لك، أم دعوت بـه عليك، وكان الخياط أعور، فلما فعل الخياط ما وعد به، قال فيه بشار:

خـــاط لي (زيــــدٌ) قبــــاءْ   ليـــــت عينيـــــه سَـــــواءْ

قـــل لمـــن يعـــرف هــــذا   أمديــــــحٌ أم هجـــــــاءْ

هل دعا له أم عليه بقوله (ليت عينيه سواء)، أكان يتمنى أن تكون العين الصحيحة مثل العوراء (دعاء عليه)، أو أنه أراد أن تكون العين العوراء مثل الصحيحة (دعاء له)؟

الاستخدام

وهو أن يؤتى بلفظ ذي معنيين، ظاهر وباطن، نردفه بضمير يعود إلى المعنى الباطن، أو بضميرين يعود أحدهما إلى المعنى الظاهر والثاني إلى المعنى الباطن، ودواعي الغموض هنا متأتية من كون الضمير لايعود إلى الظاهر وإنما إلى معنى متضمن في اللفظ، فإن لم يكن المعنى الباطن معلوماً يعجز القارىء عن إعادة الضمير إلى ما هو له، ويغمض تبعاً لذلك المعنى.

ومن ذلك قول جرير ويروى لغيره:

إذا نزلَ السَّماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غِضَابا

فإن لفظة (سماء) تفيد، علاوة على المعنى المعروف الظاهر، المطر لأنه يسقط من السماء (وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية)، وتفيد اللفظة أيضاً معنى النبات، لأن المطر سبب في نموه (وهذا مجاز مرسل علاقته السببية)، أما الضمير في (رعيناه) فيعود إلى المطر أو النبات وليس السماء. وقد أراد الشاعر أن يقول إنه إذا نزل المطر وأخرج النبات في أرض قوم رعينا هذا النبات.

ومن ذلك قول البحتري من قصيدة يمدح بها (ابن نُيبَخْتْ):

فَسَقَى الغَضَا والنَّازليه وإن همُ شَبُّوهُ بين جوانحٍ وقُلوبِ

لفظ (الغضا) أراد به أولاً المكان، وأعاد الضمير عليه بعبارة: (والنازليه) على هذا المعنى، وأعاد الضمير عليه بعد ذلك على معنى شجر الغضا وحطبه الصلب ذي النار الحارّة إذا اشتعل، فقال: (شبّوه) أي: أوقدوه.

المشاكلة

هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته مجازاً، كقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾، وقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾

- وقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا   فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

الرجوع

فنٌّ في مجرى الكلام يرجع فيه المتكلم إلى كلامه السابق فينقضه ويبطله، لداع بلاغي، كالتحسر، والتحزّن، ودفع توهم قد يسبق إلى الذهن، وبيان للمراد من الكلام السابق.

- ومن أمثلة ذلك قول اسحق الموصلي:

إنّ ما قلَّ منكَ يكثرُ عندي   وكثيرٌ ممّن تحبُّ القليلُ

- وقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

وجوُدك بالمقامِ ولو قليلاً   فما فيما تجودُ به قليلُ

- وقول اسحق الموصلي:

وحسبي قليلٌ من جزيلِ عطائهِ   وهل من أميرِ المؤمنينَ قليلُ

العكس (التبديل)

هو أن يؤتى بأجزاء تالي الكلام على عكس ما جاء في أجـزاء مقدّمـه، ومـن أمثلـة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾

وقوله: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾

وقوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

ومن أمثلـة ذلـك: «كـلام الأمـير أمـير الكـلام»، و «عـادات السـادات، سـادات العادات».

حسن التعديد

وهو أن يؤتى بالألفاظ المفردة المتتالية على سياق واحد، دون أن يكون بينها ما يشذّ وينبو عن الذوق الأدبي الرفيع في دلالاتها وفي ألفاظها، وأكثر ما يوجد هـذا في الصفـات المتتاليـات، ومـن أمثلـة ذلـك قولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقد يكون التردد خالصاً لصيغة الاسمية كقول المتنبي:

الخيـلُ والليـلُ والبيـداءُ تعرفـني والطَّعْنُ والضَّربُ والقِرْطاس والقَلَـمُ

المحسنات البديعية اللفظية

ومن هذه المحسنات:الجناس، والاقتباس، والتضمين، ورد العجز على الصدر، والسجع، والتصريع، والموازنة، والترصيع، والتشطير، والتشريع، والمماثلة، ولزوم ما لا يلزم.

الجناس

هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. والجناس نوعان: الجناس التام، والجناس غير التام.

الجناس التام:

وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي:

1- نوع الحروف.

2- عدد الحروف.

3- ترتيب الحروف.

4- هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾.

(الأبصار) الأولى معناها العيون،و(الأبصار) الثانية معناها العقول.

وقول أبي العلاء المعري:

لو زَارنا طيفُ ذاتِ الخالِ أحيانا ونحنُ في حُفَرِ الأجْداثِ أحْيانا

(أحيانا) الأولى بمعنى في بعض الأوقات،و(أحيانا) الثانية فعل ماض معناه ردنا إلى الحياة.

وقول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لَمْ يكنْ ذا هِبة فَدَعْهُ فدولتهُ ذاهبة

(ذاهبة) مركبة من مضاف هو (ذا) بمعنى صاحب، ومضاف إليه هو (هبة) أي عطية، والثانية كلمة مفردة، اسم فاعل من ذهب أو من الذهاب بمعنى مُولية.

وقول الشاعر:

علا نجمهُ في عالمِ الشّعر فجأةً   على أنّهُ ما زالَ في الشّعر شاديا

(علا) الأولى فعل ماض من العلو.

(على) الثانية حرف جر.

واختلاف الرسم بسبب الإملاء لا يؤثر على الجناس؛ لأن العبرة فيه بالنطق لا بالكتابة، لاحظ مثلاً قول الشاعر:

طرقتُ البابَ حتّى كلَّ متني   فلمّا كلَّ متني كلّمتني

(كلّ متني) = تعب ظهري، (كلّمتني)= حدثتني.

الجناس غير التام:

هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.

1- اختلاف اللفظين في أنواع الحروف، ويشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾.

الجناس في لفظي (ينهون وينأون)، وذلك لتشابه اللفظين واختلافهما في حرف واحد في وسط الكلمة وهو (الهاء) في ينهون، والهمزة في (ينأون).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾.

الجناس في لفظي (هُمزة ولُمزة) وذلك لتشابه اللفظين واختلافهما في حرف واحد في أول الكلمة هو (الهاء) في همزة، و (اللام) في لُمزة.

2- اختلاف اللفظين في عدد الحروف، ويسمى هذا الجناس ناقصاً، وذلك لنقصان حروف أحد اللفظين عن الآخر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ ، حيث الزيادة هي حرف الميم في لفظة (المساق). والجناس في لفظي الساق والمساق.

وقول البهاء زهير:

أشكو وأشكرُ فعله فاعجَبْ لشاكٍ منهُ شاكرْ
طرفي وطرف النجم فيـ ـك، كلاهما ساهٍ وساهرْ

الجناس في البيت الأول بين لفظي (شاك وشاكر)، حيث الزيادة في حرف الراء في لفظة شاكر.

الجناس في البيت الثاني بين لفظي (ساه وساهر)، حيث الزيادة في حرف الراء في لفظة ساهر.

وكقول حسّان بن ثابت:

وكُنّا مَتى يغزُ النبيُّ قبيلةً نصلْ جانبيه بالقَنا والقنابلِ

حيث الجناس بين اللفظين (القنا والقنابل)، أما الزيادة فهي حرفا الباء واللام في لفظة (القنابل)، والقنابل: واحدها قنبلة والقنبل بفتح القاف فيهما: الجماعة من الناس أو الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

3- اختلاف اللفظين في هيئة الحروف، ويقسم إلى قسمين:

أ- الجناس المحرّف: وهو ما اتفق فيه اللفظان في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات فقط، ومثاله قول أبي العلاء المعري:

والحُسْنُ يظهرُ في بيتين رونقهُ بيتٍ من الشّعرِ أو بيتٍ من الشَّعر

حيث وقع الجناس بين اللفظين (الشّعر والشَّعر) ، وكلاهما متفقان في عدد الحروف وترتيبها، ومختلفان في الحركات فقط.

ب- الجناس المصحف: هو ما اختلف فيه اللفظان في النّقط فقط، ومثال ذلك قول أبي فراس:

من بحرِ جُودِكَ أغْترف وبفَضْلِ علمك أعْترِف

الجناس في (أغترف وأعترف)، والاختلاف في النقط فقط.

4- اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف، ويسمى هذا الجناس جناس القلب (العكس

اللفظي)، ويكون بأن يشتمل كل من اللفظين على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقصان، مخالفاً أحدهما ترتيب الآخر، ومن أمثلة ذلك قول الشاب الظريف:

سـاقٍ يريـني قلبـه قَسـوةً   وكـلُّ سـاق قلبـهُ قـاسِ

فالجناس بين اللفظين (ساق وقاس) فـ (ساق) مقلوب (قاس) و (قاس) مقلوب (ساق).

وقول أبي تمام:

بيضُ الصَّفائح لا سُودُ الصَّحَائف في   مُتُونِـهنَّ جَـلاءُ الشـكِّ والرِّيَـب

وقع الجناس بين لفظتي (الصفائح والصحائف)، وهما مختلفتان في ترتيب بعض الحروف، مع الحفاظ على تعدادها في الكلمة الواحدة.

وقول القاضي الأرجاني:

مَوَدَّتُـهُ تـدومُ لكـلِّ هـولٍ   وهـل كـلٌّ مودَّتُـه تـدومُ

حيث تقرأ كل كلمة في هذا البيت مستوية ومعكوسة دون أيّ تغيير في اللفظ أو المعنى.

لاحظ الجناس في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

فالجناس غير التّام بين كلمتي (ناضرة) و (ناظرة)، لاختلافهما في الحرفين: (الضاد) و (الظاء).

2- قال الرسول ﷺ: «اللهم كما حسنت خَلقي فحسّن خلُقي».

(خلقي) الأولى معناها التسوية.

(خلقي) الثانية معناها السجية أو الطبع.

الكلمتان متفقتان في عدد الحروف مختلفتان في الحركات (جناس غير تام).

3- قال القاضي الفاضل:

عضّنـا الدّهـرُ بنابـه   ليـتَ مـا حـلَّ بنـا بـهْ

لا يـــــوالي الدَّهـــــرُ إلا خـــاملاً ليـــس بنابـــه

نابه الأولى: السنّ أي الناب.

بنا به الثانية: الباء حرف جر، (نا) ضمير، (به) حرف وضمير متصل يعود على الدهر.

بنابه الثالثة: الباء حرف جر، (نابه): أي (ذي شرف ورفعة).

5- قال المتنبي:

لـكِ يـا منـازلُ في القلـوبِ منـازلُ

فالجناس في كلمة منازل.

(منازل) الأولى: تعني البيوت.

(منازل) الثانية: تعني المكانات.

6- قال شمس الدين الكوفيّ:

إنسـان عيـني مُذْ تنـاءت داركُـمُ مــا راقــهُ نظـــرٌ إلى إنســـان

فالجناس في كلمة (إنسان):

(إنسان) الأولى: العين، بؤبؤ العين.

و (إنسان) الثانية: الإنسان.

تطبيقات

◆ **بيّن الجناس في الأمثلة الآتية، ووضّح نوعه:**

1- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

5- قال الرسول ﷺ : «الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير».

6- قال أبو نواس:

عبّاسُ عبّاسٌ إذا احتدم الوغى والفضلُ فضلٌ والرّبيعُ ربيعُ

7- قال العباس بن الأحنف:

حُسامُك فيه للأحبابِ فتحٌ ورُمحُك فيهِ للأعداءِ حتفُ

8- قال ابن الفارض:

هَلاّ نَهاكَ نُهاكَ عن لومِ امرئ لم يلفَ غيرَ مُنعمٍ بشفاءِ

9- قال أبو تمام:

يمدّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قَواضِبِ

10- قال البحتري:

إذا العينُ راحت وهيَ عينٌ على الجوى فليسَ بسرٍّ ما تُسرّ الأضالعُ

11- قال البهاء زهير:

واعْجَبَني التجنيسُ بيني وبينهُ فلمّا تبدّى أشنباً رحتُ أشيبا

12- قالت الخنساء:

إنَّ البكاءَ هُوَ الشّفَا ءُ من الجَوى بينَ الجَوانِح

13- قال النابغة:

فيا لكَ من حَزْمٍ وعَزْمٍ طواهما جديدُ الرّدى بين الصّفا والصّفائحِ

14- وقال:

لها نارُ جنٍّ بعدَ إنسٍ تحولوا وزالَ بهم صرفُ النّوى والنّوائبِ

15- قال أبو تمام:

إذا الخيلُ جابتْ قَسْطَلَ الحربِ صدّعوا ... صُدورَ العوالي في صُدورِ الكتائبِ

16- قال البحتري:

هلْ لما فاتَ مِنْ تلاقٍ تلافٍ ... أم لشاكٍ مِنَ الصَّبابةِ شافي

17- قال المعتمد بن عباد يدعو محمد بن الطيب المصري إلى مجلس أنس:

أيها الصّاحبُ الذي فارقتْ عيـ ... ـني ونفسي منهُ السَّنا والسَّناءَ

نحنُ في المجلسِ الذي يَهَبُ الرَّا ... حةَ والمسْمَعَ الغنَى والغناءَ

نتعاطَى التي تُنسيكَ في اللَّـذْ ... ذة والرِّقة والهَوى والهَواءَ

فأتِهِ تُلْفِ راحةً ومُحَيًّا ... قد أعدَّا لكَ الحَيا والحياءَ

18- قال ابن رشيق:

إذا رماكَ الدَّهرُ في معشرٍ ... قد أجمعَ النَّاسُ على بُغْضِهِمْ

فَدارهِمْ ما دُمْتَ في دارهِمْ ... وأرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أرضِهِمْ

19- قال الشاعر:

وسَمَّيْتُهُ يحيى ليحيا فلمْ يكُن ... إلى ردِّ أمرِ اللَّهِ فيهِ سبيلُ

◆ **وضّح الجناس في القصيدة الآتية:**

قال ابن زيدون مخاطباً صديقه الوزير الكاتب أبا حفص بن برد وهو في السّجن:

ما على ظَنِّيَ باسُ ... يَجرحُ الدَّهرُ ويأسُو

رُبَّما أشرفَ بالمرْ ... ءِ على الآمالِ ياسُ

ولقدْ يُنجيكَ إغفا ... لٌ ويُرديكَ احتراسُ

والمحــــــاذيرُ سِــــــهامٌ   والمقــــــاديرُ قيـــــاسُ
ولَكَــمْ أجــــدى قُعــودٌ   ولكـــم أكـــدى التمــاسُ
نَلْبَــسُ الدُّنيـــا ولكــنْ   مُتعــــةٌ ذاك اللّبـــــاسُ
يــا أبــا حفــصٍ ومــا ســا   واك في فـــــهمٍ إيـــاسُ
أذؤبٌ هــــامتْ بلحمـــي   فانتــــهاشٌ وانتــــهاسُ
إن قســا الدّهــرُ فللمــا   ءِ مــن الصَّخــر انبجَــاسُ
ولئــن أمســيتُ محبــو   ســاً فللغيــثِ احتبــاسُ
لا يكــن عــهدُك ورداً   إنَّ عــهدي لــكَ آسُ
واغتنــم صَفْــوَ اللّيــالي   إنّمــا العيــشُ اختــلاسُ

الاقتباس والتضمين

الاقتباس:

هو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلاً.

ومن أمثلة ذلك قول البحتري:

نُعمى مِن اللهِ اصطفاهُ بفضلِها   واللهُ يرزقُ من يشاءُ ويقدرُ

وقول أبي جعفر الأندلسي:

لاتعادِ الناسَ في أوطانِهم   قلّما يرعى غريب الوطنِ

وإذا ما شئتَ عيشاً بينهم   خالقِ الناسَ بخلقٍ حسنِ

ففي المثال الأول ضمن الشاعر بيته عبارة من القرآن الكريم (والله يرزق من يشاء)، وفي المثال الثاني ضمن بيته الثاني عبارة من الحديث الشريف (خالق..).

أما التضمين:

فهو أن يدخل الشاعر أو الكاتب في شعره أو نثره أقوالاً مشهورة لغيره.ومن أمثلة ذلك قول الشهاب بن الأنباري:

وَقُلْ لمن لامكَ في وَصْلها   قد أحوجتْ سَمعي إلى ترجمانِ

وقول ابن نباتة المصري:

أتاني علي البانياسي مُنشداً   فيا لكَ من شعرٍ ثقيلٍ مطوّلِ

مكرٍ مفِرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً   كجلمود صخر حطّه السيلُ من علِ

ففي المثال الأول ضمن الشاعر بيته عجز بيت مشهور لعوف بن محلم السعدي، حيث يقول:

إنَّ الثمانين وبلّغتها   قد أحوجتْ سَمعي إلى تُرجمان

وهذا يسمى (التضمين الجزئي)؛ لأن الشاعر أثبت جزءاً من البيت المشهور.

أما في المثال الثاني فقد ضمن الشاعر قصيدته بيتاً كاملاً مشهوراً لامرئ القيس في وصف فرسه، وهو: مكر مفر.. وهذا ما يسمى (التضمين الكلي)؛ لأن الشاعر أثبت كل الجزء المشهور ، وهو البيت كاملاً.

والغرض من الاقتباس والتضمين أن يستعير الشاعر أو الكاتب من قوة ما يستعير قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه.

تطبيقات

◆ **وضّح الاقتباس والتضمين في الأمثلة الآتية:**

1- قال شهاب الدين محمود:

وبتنا على حُكم الصبابة مطمعي   زفيري وأشجاني وشُربي المدامعُ
وخلّي يُعاطيني كؤوسَ سُلافة   وينشدُني والسهمُ للقلب صادعُ
فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ   من الرّقشِ في أنيابِها السمُّ ناقعُ

2- قال الأبيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتُها   في باخلٍ ضاعت به الأحسابُ
فإذا تناشَدَهَا الرواةُ وأبصَروا المـ   ـدوحَ قالُوا ساحرٌ كذّابُ

3- قال الحريري على لسان الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

على أنّي سَأنشِدُ عِنْدَ بيعي   أضَاعُوني وأيَّ فتىً أضَاعُوا

4- قال القاضي الفاضل في الإفرنج: «وغَضِبوا زادَهم الله غَضَباً، وأوقدوا ناراً للحرب جَعَلهم الله لها حَطَباً».

5- قال ابن نباتة المصري: «فيا أيُّها الغفلةُ المطرقُون، أمَا أنتم بهذا الحديث مُصدِّقون، ما لكُم لا تشفقون، فوربِّ السماءِ والأرضِ إنّه لحقٌّ مثل ما أنكم تَنطِقون».

6- قال الشاعر:

قالَ لي مذ نزلت وهـوَ مـن السّكْـ رةِ بـالهمِّ طـافحٌ ليـس يَصحُـو
لِم تَغرَّبْتَ؟ قلتُ: قالَ رسـولُ الـ لّـه والقـولُ منـهُ نصـحٌ ونجـحُ
«سافروا تغنمـوا» فقـال: وقـد مـا ل تمام الحديث: «صُوموا تَصِحّوا»

رد العجز على الصدر (التصدير)

هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررين (المتفقين في اللفظ والمعنى)، أو المتجانسين (المتفقين في اللفظ دون المعنى)، أو ملحقين بهما اشتقاقاً أو شبه اشتقاق في أول الفقرة، والآخر في آخرها.

فالمكرران نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾.

والمتجانسان نحو: سائِلِ اللئيمَ يرجعْ ودمه سائل.

فسائل الأولى من السؤال، وسائل الثانية من السيلان.

والملحقان بالمتجانسين اشتقاقاً، كقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾.

والملحقان بالمتجانسين شبه اشتقاق، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾.

وفي الشعر بأن يجعل اللفظان المكرران أو المتجانسان أو الملحقان بالمتجانسين اشتقاقاً أو شبه اشتقاق على الوجه الآتي: يأخذ أحدهما موقعاً ثابتاً لا يتغيّر هو آخر البيت، ويتردد الآخر بين أن يكون، أول المصراع الأول أو في حشوه، أو آخره، أو أول المصراع الثاني... ويمكن ملاحظة ذلك في الأمثلة الآتية:

1- مثال اللفظين المكررين، كقول عمر بن أبي ربيعة:

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِد وشَفَتْ أنفُسنا مما تَجِدْ

واستبدّتْ مرةً واحدةً إنّما العاجِزُ من لا يَسْتَبِدْ

2- مثال اللفظين المتجانسين، كقول القاضي الأرجاني:

دَعاني من ملامكما سفاها فداعي الشوق قبلكما دَعَاني

(دعاني) الأولى بمعنى اتركاني (فعل أمر)، (دعاني) الثانية من الدعاء بمعنى الطلب (فعل ماض).

وقول الحريري:

فمشـــغوفٌ بآيـــاتِ المثـــاني ومفتـــونٌ برنّـــاتِ المثـــاني

(المثاني) الأولى بمعنى القرآن الكريم، (المثاني) الثانية: المزامير.

3- مثال اللفظين الملحقين بالمتجانسين للاشتقاق، كقول امرىء القيس:

إذا المـرءُ لم يخـزن عليـه لسـانه فليسَ على شيءٍ سواهُ بخـازن

يخزن + خازن يجمعهما الاشتقاق.

وقول ابن عيينة المهلبي:

فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضَـا ئِـري أطنَـينُ أجنِحَـةِ الذُّبـابِ يَضِـير

ضائري + يضير يجمعهما الاشتقاق.

تطبيقات

◆ وضّح التصدير في الأمثلة الآتية:

1- قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

2- قال الشاعر:

حُسـنُ ذاك الوجـه لا يُسـلمني أبـداً منـه إلى غـير حسـنِ

3- قال الشاعر:

ذوائـبُ سـود كالعنـاقيدِ أرسـلتْ فمن أجلها منـها النُّفُـوسُ ذوائـبُ

4- قال أبو تمام:

ومن كان بالبيضِ الكواعبِ مُغرمـاً فما زلتُ بالبيضِ القواضبِ مغرمـا

5- قال الشاعر:

سكران: سُكْرُ هوىً وسُكْرُ مدامـةٍ أنّـى يفيـقُ فتـىً بـه سُـكرانِ؟

السّجع

هو اتفاق فواصل الكلام في الحرف الأخير دون تقيد بالوزن، وأفضله ما تساوت فقره. والسجع في النثر أربعة أضرب، هي:

1- المرصّع: وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والحرف الأخير، ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾، حيث كل لفظة في الآية الأولى يقابلها لفظة في الآية الثانية على وزنها وفي الحرف الأخير.

وسمي بالمرصع تشبيهاً له بجعل إحدى اللؤلؤتين في العقد في مقابلة الأخرى مثلها.

2- المتوازي: وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من المقطع الأول، مع نظيرتها في المقطع الثاني، في اللفظ والحرف الأخير، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾، فالسجع واقع بين اللفظتين (مرفوعة) و (موضوعة)، وهما متفقتان في الوزن والحرف الأخير .

3- المطرّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾. وسمي مطرفاً لأنه خارج في التوغل في الحسن إلى الطرف بخلاف غيره، أو لأن ما وقع به التوافق وهو الاتحاد بين الفاصلتين إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير دون ما يعم وهو الوزن.

4- المشطور (التشطير): وهو أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني، وهذا القسم خاص بالشعر، كقول أبي تمام:

تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ ... لله مرتغبٍ في الله مرتقبِ

حيث للشطر الأول قافيتان (معتصم ومنتقم) رويهما حرف (الميم)، وللشطر الثاني قافيتان (مرتغب ومرتقب) قافيتهما حرف (الباء)، وهما مغايرتان للقافيتين في الشطر الأول.

ونلاحظ أن موطن السجّع هو النثر، إلا أنه قد يقع في الشعر أحياناً.

ولا يحسن السجع إلا إذا كانت مفرداته رشيقة خفيفة على السمع، يخلو من التكلف، بحيث لا تأتي الألفاظ على حساب المعاني، وأن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة، وأن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى جديد، حتى لا يحدث تكرار.

ويقسم السجع من حيث الطول والقصر إلى قسمين:

1- السجع القصير: هو ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين مولفة من ألفاظ قليلة: من لفظتين مثلاً أو ثلاثة إلى عشرة، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾.

2- السجع الطويل: هو ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ كثيرة، قد تصل إلى عشرين كما في قوله تعالى:

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾. ومن السجع الطويل ما تزيد الألفاظ في فقراته على هذا العدد.

تطبيقات

◆ وضّح السجع في ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

3- قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

4- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾.

5- قـال تعـالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

6- قال الرسول ﷺ : «رحم الله عبداً قال خيراً فَغَنِم، أو سَكَتَ فَسَلِم».

7- قال قس بن ساعدة : «من عاشَ مات، ومن ماتَ فات، وكل ما هو آتٍ آت».

8- قال الثعالبي : « الحقُّ صدأ القلوب، واللجاجُ سببُ الحروب».

9- قال الحريري: «يطبعُ الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرعُ الأسماع بزواجِر وعظهِ».

10- قال ابن الأثير: «الكريمُ من أوجبَ لسائلهِ حقًّا، وجَعَل كواذبَ آمالهِ صدقا».

11- قال المتنبي:

فنحـنُ في جَـذَلٍ والـرُّومُ في وجَـلٍ   والـبرُّ في شـغلٍ والبحـرُ في خَجَـلِ

التصريع

التصريع: هو توافق نهايتي الشطرين في بيت الشعر الواحد (المصراعين) وبقافية متشابهة، وغالباً ما يكون ذلك في مطالع القصائد، تمييزاً للقصيدة عن غيرها، وليعرف منذ الشطر الأول روي القصيدة، وقافيتها، والتصريع تكرار حرفي يقوي النغم.

مثال ذلك قول المتنبي:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ ... بما مضى أم بأمرٍ فيكَ تجديدُ

- المصراع الأول: عيد.
- المصراع الثاني: تجديد.

وقول امرىء القيس الذي أكثر من التصريع:

قِفَا نبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومنزل ... بسقْطِ اللّوى بين الدّخول فَحَوْملِ

الموازنة

الموازنة: هي تساوي الكلمتين الأخيرتين من القرينتين أو المصراعين في الوزن دون التقفية.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

التاء تاء التأنيث والفاء غير الثاء، فالقافية غير متحققة في مصفوفة ومبثوثة ولكن الوزن متحقق وهو (---). ومعظم آيات القرآن فيها السجع والموازنة.

وقول الشاعر:

هو الشّمسُ قدراً والملوكُ كواكبٌ ... هُو البحرُ جوداً والكرامُ جداولُ

ف (جداول) على وزن (كواكبٌ) (ب-ب-).

التّرصيع

الترصيع لغة: وضع الجواهر والأحجار الكريمة في الذهب.

أما (التّرصيع) اصطلاحاً فهو سجع في بيت الشعر الواحد، ومثال ذلك قول الخنساء:

حمّال ألويةٍ هبّاطُ أوديةٍ شهّادُ أندية للجيش جرّارُ

فالنهايات التي تنتهي بها كل فقرة تسمى (ترصيعاً) وهي هنا في (ألوية) و (أودية) و (أندية).

وقول أبي تمام:

تدْبيرُ مُعتصمٍ بالله منتقم لله مُرتغبٍ في الله مُرتقبِ

فالنهايات التي تنتهي بها كل فقرة في هذا البيت تسمى (ترصيعاً) وهي (معتصم) و (منتقم) في الشطر الأول، و(مرتغب) و (مرتقب) في الشطر الثاني.

التشطير

هو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها، فهو يشطر شطر البيت وبه يصير البيت أربعة أشطر بعد أن كان شطرين، ومثال ذلك قول أبي تمّام:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب

فقافية الشطر الأول حرف الميم، وقافية الشطر الثاني حرف الباء.

وكقول صفي الدين الحلي:

بكلّ مُنتصرٍ للفَتْحِ مُنتظرٍ وكل مغترمٍ بالحقّ ملتزمِ

التشريع

وهوبناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل واحدة منهما. ومنه قول الحريري:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّةِ إنَّها شركُ الرَّدى، وقرارةُ الأكدار
دارٌ متى ما أضحكتْ في يومِها أبكتْ غدا، بُعداً لها من دار
غاراتُها لا تنقضي وأسيرُها لا يُفتدى، بجلائلِ الأخطار

فأنت تستطيع أن تقف عند عبارة (شرك الردى) وعليه ينبغي أن تقف عند (أبكت غدا) في البيت الثاني و (لا يفتدى) في البيت الثالث. ومنه أيضاً قول الشاعر:

وإذا الرياحُ مع العشيِّ تناوحت هدج الرئالِ تكبهن شمالا
الفيتنا نقدى العبيط لضيفنا قبل العيال ونقتل الأبطالا

إذ يصح الوقوف عند (هدج الرئال) و (قبل العيال).

ومع أن تعدد القافية في القصيدة يزيدها نغماً، إلا أنه أقرب ما يكون إلى التكلف والصنعة.

المماثلة

هي أن يكون في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن وحده.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

وكقول أبي تمام:

مَها الوحشِ إلا أن هاتا أوانسٌ قَنا الخطِّ إلا أنَّ تلكَ ذوابلُ

فالموازنة تامة بين كل لفظة وما يقابلها في المصراعين عدا اللفظين (هاتا وتلك).

وقوله:

فأحجمَ لَمّا لم يجدْ فيكَ مطمعاً   وأقدمَ لَمّا لم يجدْ عنكَ مَهْرَباً

كلمات الفقرتين متفقات في الوزن:

فأحجم - لَمّا- لَمْ- يَجد- فيكَ- مطمعاً.

وأقدم- لمّا- لَمْ- يجدْ- عنكَ- مهرباً.

لزوم ما لا يلزم

هو فنٌ في الشعر وفي السجع يلتزم فيه الشاعر أو الساجع قبل الحرف الأخير من أبيات قصيدته، أو سجعاته ما لا يلزمه، كأن يكون الحرفان الأخيران متماثلين في كلّ القوافي، أو الثلاثة الأخيرة، أو تكون الكلمات مع ذلك متماثلة الوزن، إلى غير ذلك من التزام ما ليس بلازم في نظام التقفيات.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾

ولزوم ما لا يلزم يكون في أحد أمور ثلاثة هي:

1- حرف وحركة معاً، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾.

2- حرف فقط هو الميم في (القمر) و (مستمر) في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾

3- حركة فقط، كقول ابن الرومي:

لما تُؤذن الدُّنيا به من صُروفها   يكونُ بكاءُ الطِّفلِ ساعةَ يُولَدُ

وإلا فما يُبكيه منها وإنَّها   لأفسَحُ ممّا كانَ فيه وأرغَدُ

ويلاحظ أن هذا يكون في بيتين أو أكثر، أو فاصلتين أو أكثر.

ويكثر هذا الفنّ البديعي عند أبي العلاء المعري.

الترديد

هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردّها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه، وذلك نحو قول زهير:

من يلــقَ يومـاً علـى عِلاّتِـه هَرِمـاً   يلقَ الســماحةَ منـهُ والنّـدى خُلُقـا

وقول أبي نواس:

صفراء لا تـنزِلُ الأحـزانُ سـاحَتها   لـو مسَّــها حَجَـرٌ مسّــتْهُ سَـرّاءُ

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾

تلحظ تردد حرف الجر (من) مع اتصالـه بضمـير المخـاطبين (منكـم)، ثـم ضمـير الغائبين (منهم).

ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

يَطْعَنُهُم ما ارتَمَوا حتّـى إذا اطَّعنـوا   ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقـا

وهكذا يكون المردد جملة ومفرداً اسماً أو فعلاً أو حرفا.

ويمكن أن نجد الترديد في سورة الرحمن، وسورة المرسلات، وسورة الشعراء.

ملحوظات عامة:

1- إن تقسيم المحسنات إلى لفظية ومعنوية يقوم على النظر إلى اللفظـة وشـكلها (الـدالّ)، وإلى المعنى الذي تحمله اللفظة (المدلول)، والمهم أن ننظر إلى اللفظة من خلال علاقاتها بالألفاظ الأخرى.. هذه العلاقات التي تكسبها وظيفة جديدة، قد تنبثق منـها وظـائف دلالية أخرى، أو إيقاعات موسيقية معينة.

2- إنّ تقسيم المحسنات إلى لفظية ومعنوية لا يمنع التداخل بينها، فالمقابلة مثلاً وهي محسن معنوي لا تنفصل عن التقسيم وهو محسن لفظي.

3- يشكل التكرار القانون الأساسي لظواهر الإيقاع في الكلام، وهو مظـهر جمـالي يعتمـد على قوانين ثانوية، وللتكرار قيمة إيقاعية موسيقية وقيمة دلالية تعبيرية كما مرّ معنا في

مبحث الإطناب.. وينتظم قانون التكرار معظم أساليب التعبير القائمة على الاهتمام باللفظ، أي المحسنات اللفظية، وبعض المحسنات المعنوية، ومنها:

1- الجناس بأنواعه. 2- السجع.
3- التصريع. 4- التشريع.
5- رد العجز على الصدر. 6- تشابه الأطراف.
7- لزوم ما لا يلزم. 8- التقسيم.
9- الترصيع. 10- الموازنة.
11- المقابلة. 12- الرجوع.
13- حسن التعديد. 14- العكس والتبديل.
15- المشاكلة. 16- الترديد.
17- المجاورة: التي قد تكون على مستوى البنية الثنائية، كقول علقمة:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنمِ مُطعِمُهُ أنّى تُوَجَّهَ والمحرومُ محرومُ

فقد تحقّقت المجاورة التكرارية مرتين (الغنم- الغنم)، (المحروم - محروم).
أو على مستوى البنية الثلاثية، كقول أبي هلال العسكري:

كأنَّ الكأسَ في يده وفيهِ عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقِ

وقيمة التكرار قد تكون دلالية في نص ما، أو نغمية في نص آخر، أو دلالية ونغمية في نص ثالث، ولا بدّ أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى العام.

4- تحدث البلاغيون عن أنماط عديدة من العلاقات التي يمكن أن تقام بين المعاني، ومن هذه العلاقات:

1- علاقات التغاير (التضاد):
أ- المطابقة. ب- المقابلة.
ج- في العكس. د- المغايرة.

2- علاقات الغموض والإيهام، وهذه العلاقات موجودة في المجاز، والاستعارة والكناية، وبعض أنواع البديع التي منها:

أ- التورية. ب- التوجيه.

ج- الاستخدام. د- حسن التعليل.

هـ- الأسلوب الحكيم. و- المضاعفة.

ز- الجناس (في بعض الآراء) حيث إنه من المشترك اللفظي.

3- علاقات التناسب، ومنها:

أ- الاستتباع. ب- الاستطراد.

ج- مراعاة النظير. د- تشابه الأطراف.

هـ- الإرصاد. و- تأكيد المدح بما يشبه الذم.

ز- تأكيد الذم بما يشبه المدح. ح- اللف والنشر.

ط- التفويف.

تطبيقات عامة

◆ وضّح المحسنات البديعية (المعنوية واللفظية) في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾.

3- قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ .

4- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾.

8- قال تعالى:﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾.

9- قال تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

10- قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾.

11- قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

12- قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

13- قال المتنبي:

بِرَغْمِ شَبيبٍ فارقَ السَّيفُ كَفَّهُ وكانا على العِلاّتِ يَصْطَحِبانِ

كأنّ رقابَ النّاسِ قالتْ لسَيْفِهِ رفيقُكَ قَيْسِيٌّ وأنتَ يمانِ

14- قال ذو الرمة:

وإن لم يكن إلا معرج ساعةٍ قليلاً فإني نافعٌ لي قليلُها

15- قال ابن المعتز:

قالوا اشتكت عينُه فقلتُ لَهم من كثرةِ القتلى نالها الوصبُ

حمرتُها من دماءِ من قتلت والدّمُ في النصلِ شاهدٌ عجبُ

16- قال الشريف الرضي:

ومنظر كان بالسّرّاءِ يضحِكُني يا قربَ ما عادَ بالضّرّاءِ يُبكيني

17- قال الحريري:

فقلتُ للائمي أقصر فإني سأختارُ المقام على المقام

18- قال أبو نواس:

فقلتُ هاتِ وأسمعنا عَلى طربٍ ودّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرتحل

19- قال الحريري:«فلمْ يكن إلا كلمحِ البصر، أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب».

20- قال أبو فراس الحمداني:

وأفعالُنا للرّاغبينَ كرامةٌ وأموالنا للطالبينَ نهابُ

21- قال ابن الفارض:

كأني هلال الشكّ لولا تأوّهي خفيتُ فلم تهد العيون لرؤيتي

22- قال شوقي في رثاء المنفلوطي:

يا مرسلَ العبراتِ في الدّنيا وما فيها على ضجرٍ وضيق ذراعِ

ومرقرقَ العبراتِ تجري رقّةً للعالمِ الباكي من الأوجاعِ

23- قال الشاعر:

فلما نأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها أنخنا فخالفنا السُّيوفَ على الدهرِ

فَما أسلمتنا عندَ يومِ كريهةٍ ولا نحنُ أغْضَيْنَا الجفونَ على وقرِ

24- قال الشاعر:

وإنّ قليلاً منكِ لو تبذلينهُ شفاءٌ وقُلٌ ليس منك قليلُ

25- قال الشاعر:

رمتني وسترُ الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميمُ

رميمُ التي قالت لجارات بيتها ضمنتُ لكم ألا يزال يهيمُ

26- قال الشاعر:

فمكارمٌ أوليتها متبرعاً وجرائمٌ ألغيتها متورعا

27- قال الشاعر:

ولو أنّ وصلاً عللّوهُ بقربهِ لما أنّ من حَمْلِ الصَّبابةِ والجوى

28- قال أبو تمام:

له منظرٌ في العين أبيض ناصع ولكنّهُ في القلبِ أسود أسفع

29- قال المتنبي في مدح علي بن مكرم التميمي:

ومـاريحُ الرِّيـاضِ لهـا ولكـنْ   كساها دفنـهم في الـتُّرْبِ طيبـا

30- قال ابن عربي:

أتتـني تؤنبـني بالبكـاء   فـأهلاً بـها وبتأنيبـها
تَقُـولُ وفي قولهـا حشـمة   أتبكـي بعـين تراني بـها
فقلـتُ إذا استحسـنت غـيركم   أمـرتُ الدُّمـوعَ بتأديبـها

31- قال ابن حبّوس:

فعـل المـدام ولونـها ومذاقـها   في مقلتيـه ووجنتيـه وريقـه

32- قال بدر الدين الذهبي:

رفقـاً بخِـلٍّ نـاصحٍ   أبليتـهُ صـدّاً وهجـراً
وافـاك سـائلُ دمعـهِ   فرددتـهُ في الحـالِ نـهراً

* بين صور البديع اللفظي والمعنوي في النّص الآتي لأبي تمام:

السّيفُ أصـدَقُ أنبـاءً مِـنَ الكُتُـبِ   في حـدِّهِ الحَـدُّ بـينَ الجِـدِّ واللَّعـبِ
بيضُ الصَّفائحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ في   مُتُونـهِنَّ جـلاءُ الشَّـكِّ والرِّيَـبِ
والعِلمُ في شُـهُبِ الأرمـاحِ لامعـةً   بين الخميسينِ لافي السَّبْعةِ الشُّـهُبِ
أين الروايةُ؟ بل أيـن النجـومُ ومـا   صاغوهُ من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِبِ
تخَرُّصـاً وأحاديـثاً مُلفّقـةً   ليسـت بنبـعٍ إذا عُـدَّتْ ولا غَـرَبِ
عجائبـاً زعمـوا الأيـامَ مُجْفِلـةً   عنهنَّ في صَفَرِ الأصفَـار أو رَجَـبِ
وخوَّفُوا النّاسَ مـن دَهْيَـاءَ مُظْلِمَـةٍ   إذا بَدا الكَوكَبُ الغربيُّ ذو الذَّنَـبِ
وصَـيَّرُوا الأبـرُجَ العُليـا مُرَتَّبـةً   مـا كـان منقلبـاً أو غـيرَ مُنْقَلـبِ

فَتْحَ الفُتوحِ تعالى أن يُحيط بهِ نظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أو نثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
فتحٌ تُفَتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لهُ وتبْرُزُ الأرضُ في أثوابِها القُشُبِ

◆ وضّح النكت البلاغية في الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

3- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾.

4- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

5- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾.

6- قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

7- قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾.

8- قال تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾.

9- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾.

10- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

11- قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾.

12- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾.

13- قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾.

14- قال تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾.

15- قال معن بن أوس المزني في ابن أخته:

أعلِّمُهُ الرمايةَ كلَّ يوم ... فلما استدَّ ساعِدُهُ رَماني

وَكَمْ علَّمتُه نظْمَ القوافي ... فلمّا قالَ قافيةً هَجاني

16- قال الأخطل الصغير:

عيناهُ عالقتانِ في نفقٍ ... كسراجِ كوخٍ نصفَ مُتَّقدِ

17- قال صفي الدين الحلي:

والبدرُ في كَبِدِ السَّماءِ كدرهمٍ ... ملقىً على ديباجةٍ زَرقاء

18- قال البحتري:

كرمٌ تبينَ في كلامِكَ ماثلاً ... ويبين عتقُ الخيلِ من أصواتِها

19- قال أبو نواس:

فالخمر ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ ... من كفِّ جاريةٍ ممشوقةِ القدِّ

20- قال عمرو بن معد يكرب:

الضاربينَ بكلِّ أبيضَ مخذمٍ ... والطاعنينَ مجامعَ الأضغانِ

21- قال حافظ إبراهيم يصف الحرب الروسية اليابانية:

قد أقسمَ البيضُ بصُلبانِهم ... لا يهجرونَ الموتَ أو يُنصروا

وأقســـمَ الصُّفْـــرُ بأوثانِـــهم لا يَغْمـدون الســـيفَ أو يظفـــروا

22- قال المتنبي:

الجدُ عـوفي إذ عوفيـتَ والكـرم ُ وزالَ عنـكَ إلى أعدائِــك السّــقمُ

23- قال الشريف الرضي:

يـا ظبيـةَ البـانِ ترعـــى في خمائلــهِ ليـهنكِ اليـومَ أن القلـبَ مَرعـــاكِ

24- قال الشاعر:

بكتْ لؤلؤاً رطْباً ففاضت مَدامعـي عقيقاً فصارَ الكُـلُّ في نحرِهـا عقـدا

25- قال المتنبي يخاطب سيف الدولة:

أحبُّـك يـا شمـسَ الزّمـانِ وبـدره وإنْ لامـني فيـكَ السُّـها والفراقـدُ

26- وقال:

إذا رأيـتَ نيـــوبَ الليْـــثِ بـــارزةً فــلا تظنــنَّ أنَّ الليـــث يبتســـمُ

27- وقال:

أمعفّــرَ الليـــثِ الهزبـــرِ بســـوطِه لمــن اتخــذتَ الصــارمَ المســلُولا

28- وقال:

فلا الجودُ يفني المــالَ والجـدُّ مقبـلٌ ولا البخلُ يبقي المالَ والجـدُّ مدبـرُ

29- وقال:

ممنعــــــــةٌ منعمـــــــــةٌ رداحٌ يكلّــفُ لفظُــها الطــيرَ الوُقوعـــا

30- قال سراج الدين الورّاق:

أصــون أديـمَ وجـهي عـن أنـــاسٍ لقـــاء المـــوتِ عندهـــم الأديـــبُ

وربُّ الشّــعرِ عندهـــم بغيـــضٌ ولـــو وافـــى بـــه لهـــم حبيـــبُ

31- قال دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِه فبكى

32- قال عبد الله بن رواحة في مدح رسول الله ﷺ:

تحملُه الناقةُ الأدماءُ معتجزاً بالبرد كالبدر جلّى نورُهُ الظّلما

33- قال ابن النبيه:

فَحريقُ جمرةِ سيفهِ للمُعتدي ورحيقُ خمرةِ سيبِهِ للمعتفي

34- قال الصمة بن عبد الله القشيري (وتروى لغيره):

أقولُ لِصَاحِبي والعيسُ تهوي بنا بينَ المنيفة فالضِّمار

تمتّعْ من شَميمِ عرار نجد ٍ فما بعدَ العشيَّة من عَرار

35- قال صلاح الدين الصفدي:

وصَاحبٍ لما أتاه الغنى تاه ونفسُ المرء طَمّاحة

وقيل هل أبصرتَ منه يداً تشكرها قلتُ ولا راحة

36- قال ابن نباتة السعدي في سيف الدولة:

لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمّلُهُ تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أملِ

37- قال بديع الزمان الهمذاني:

هُو البدرُ إلا أنه البحرُ زاخراً سوى أنه الضرغامُ لكنه الوبلُ

38- قال الثعالبي:

وإذا البلابلُ أفصحتْ بلغاتِها فانفِ البلابلَ باحتساء بلابلِ

39- قال الشاعر:

أيُّها المُعْرِضُ عنّا حَسْبُكَ اللّهُ تَعَالى

40- قال الشاعر:

سـألتهُ عـن قومـهِ فـانثنى   يُعجبُ من إفـراطِ دمعي السَّخي
وأبصـرَ المسـك وبـدرَ الدُّجـى   فقـالَ: ذا خـالي وهـذا أخـي

41- قال الشاعر:

سَـلْ سَـبيلاً إلى النَّجـاةِ وَدَعْ دمـ   ـعَ عُيونـي يجـري لهـم سلسـبيلا

42- قال الطغرائي:

حلوُ الفكاهةِ مرُّ الجدّ قـد مزجـتْ   بشـدّةِ البـأسِ منـه رقّـةُ الغـزَلِ

43- قال صفي الدين الحلّي:

لا عيبَ فيهم سوى أن النَّزِيلَ بـهم   يَسلو عن الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ

44- قال أبو تمّام:

نامتْ هُمومي عنّي حين قلـتُ لهـا   هـذا أبـو دُلَـفٍ حَسْـبي بـهِ وكفـى

45- وقال:

إنْ يَعْلَمُوا الخيرَ يُخفوهُ وإنْ عَلمُـوا   شرّاً أذاعـوا وإنْ لمْ يَعلمُـوا كذبـوا

46- قال ابن رشيق:

أصحُّ وأقوى ما سمعناهُ في النَّـدى   مـنَ الخـبرِ المـأثور منـذُ قديـمِ
أحاديثُ ترويها السُّيول عـن الحيـا   عنِ البحرِ عـن جـودِ الأمـيرِ تميـمِ

47- قال شوقي:

إلى عرفـاتِ اللّـهِ يـا خـيرَ زائـرٍ   عليـكَ سـلامُ اللّـهِ في عرفـاتِ

48- وقال:

قلـبي ادّكـرتَ النـومَ غـيرَ مُوفَّـقٍ   أيـامَ أنـتَ مـعَ الشَّـبابِ مُوفَّـقُ

49- قال أبو تمام:

يا يومَ وقعةِ عمُوريَّةَ انصرَفَتْ   عنكَ المنى حُفَّلاً معسولةَ الحلَبِ
لقد تركتَ أميرَ المؤمنينَ بها   للنّار يوماً ذليلَ الصَّخرِ والخشبِ
غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهو ضُحى   يَشُلُّهُ وسْطَها صُبحٌ من اللهبِ
حتّى كأنّ جلابيبَ الدُّجى رغبتْ   عن لونها وكأنّ الشَّمسَ لم تغبِ

*- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ
اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا
أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا
لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ
وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

استخرج من الآيات القرآنية السابقة:

1- التشبيهات.	2- الاستعارات.
3- المجاز المرسل.	4- أسلوب القصر.
5- الفصل والوصل.	6- المحسنات البديعية.

◆ - **وضّح الصور البلاغية في الأبيات الآتية:**

قال البحتري يصف بركة المتوكل:

يا من رأى البركَةَ الحَسناءَ رُؤيتَها ... والآنساتِ إذا لاحَت مَغَانيهَا
بحسبها أنّها من فضلِ رُتبتها ... تُعدُّ واحدةً، والبحرُ ثانيهَا
ما بالُ دجلةَ كالغيرى تُنافِسُها ... في الحُسنِ طوراً، وأطواراً تُباهيهَا
أما رأت كالئَ الإسلامِ يكلأُها ... من أن تُعابَ، وباني المجدِ يبنيهَا
كأنَّ جِنَّ سُليمانَ الّذينَ ولُوا ... إبداعَها فأدقُّوا في معانيهَا
فَلو تَمرُّ بها بلقيسُ عَن عُرُضٍ ... قالت: هي الصَّرحُ تمثيلاً وتشبيهَا
تنحَطُّ فيها وفودُ الماءِ مُعْجَلَةً ... كالخيلِ خارجةً من حبلِ مُجريهَا
كأنّما الفضَّةُ البيضاءُ سائلةً ... من السَّبائكِ تجري في مَجاريهَا
إذا علتها الصَّبا أبدتْ لها حُبُكاً ... مثلَ الجواشنِ مصقولاً حواشيهَا
فرونقُ الشَّمسِ أحياناً يُضاحِكُها ... وريِّقُ الغيثِ أحياناً يُبَاكيها
إذا النُّجومُ تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبتَ سَماءً رُكِّبت فيهَا
لا يبلغُ السَّمَكُ المحصُورُ غايَتَها ... لِبُعدِ ما بينَ قاصيها ودانيهَا
يَعُمنَ فيها بأوساطٍ مُجنَّحَةٍ ... كالطَّيرِ تَنقَضُّ في جَوٍّ خوافيها
لَهُنَّ صحنٌ رحيبٌ في أسافِلها ... إذا انحططنَ، وبهوٌ في أعاليهَا
صُورٌ إلى صورةِ الدُّلفينِ يُؤنسُها ... منهُ انزواءٌ بعينيهِ يُوازيهَا

تُغْنى بَساتِينُها القُصوى برؤيتِها ... عَن السَّحائبِ مُنحَلاً عزاليها

كأنَّها حين لَجَّتْ في تدفُّقِها ... يَدُ الخليفةِ لَمَّا سالَ واديها

وزادَها زينةً من بعدِ زينتِها ... أنَّ اسمهُ حينَ يُدعى من أساميها

محفوفةٌ برياضٍ لا تزالُ ترى ... ريشَ الطواويسِ تحكيهِ ويحكيها

وَدَكَّتينِ كمثلِ الشِّعْرَيَيْنِ، غدَتْ ... إحداهُما بإزا الأخرى تُساميها

إذا مَساعي أميرِ المؤمنينَ بدَتْ ... للواصفينَ فلا وصفٌ يُدانيها

◆ **تحدّث عن جماليات الصورة البلاغية في الأمثلة الآتية:**

1- قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

2- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾.

3- قال النابغة مخاطباً النعمان بن المنذر:

فإنَّكَ كالليلِ الذي هُو مُدركي ... وإنْ خِلتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

4- قال مجنون لَيلى:

فأصبحتُ من لَيلى الغداة كقابضٍ ... على الماء خانتهُ فروجُ الأصابعِ

5- قال ابن المعتز:

قد انقضتْ دولةُ الصِّيام وقَدْ ... بَشَّرَ سُقمُ الهلالِ بالعيدِ

يَتلو الثُّريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاه لأكلِ عُنْقُودِ

6- قال إبراهيم ناجي في قصيدته (الأطلال):

يقظةٌ طاحتْ بأحلامِ الكَرى ... وتولّى اللّيلُ والليلُ صديقْ

وإذا النـــورُ نذيـــرٌ طـــالعٌ   وإذا الفجـــرُ مطـــلٌ كـــالحريقْ
وإذا الدُّنيـــا كَمـــا نعرِفُـــها   وإذا الأحبـابُ كـــلٌ في طريـــقْ

7- قال بدر شاكر السياب:

عَيناكِ غابتا نخيـلٍ ساعة السَّحَرْ
أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القَمَرْ
عيناكَ حين تَبْسُمانِ تُورقُ الكُرومْ
وتَرْقصُ الأضواءُ كالأقمار في نَهَرْ
يرجّهُ المجدافُ وهنا ساعةَ السَّحَرْ
كأنما تنبضُ في غَوريهما النُّجومْ
وتغرقانِ في ضبابٍ من أسىً شَفيفْ
كالبحرِ سرّحَ اليدين فوقهُ المساءْ
دفءُ الشتاءِ فيه وارتعاشةُ الخريفْ
والموتُ والميلادُ والظّلامُ والضياءْ...

* قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

أفردت الآية الشريفة السابقة بتآليف عديدة لما اشتملت عليه من فنون البلاغة، حتّى عدّ بعضهم فيها عشرات الأنواع البلاغية، استعن بالكتب الآتية لتوضيح هذه الأنواع:

- عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة.
- السكاكي، مفتاح العلوم.
- ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير.
- محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات.
- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة.

مصادر ومراجع في البلاغة العربية

- الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت - باريس، 1991م.
- اتجاهات البلاغة العربية، أحمد مطلوب، بغداد، 1965م.
- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي (-911هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م.
- الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، مجيد عبدالحميد ناجي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1976م.
- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبدالقادر حسين، دار غريب، القاهرة، 1998م.
- الأدب والبلاغة، إبراهيم أبو الخشب، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1959م.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري (-538هـ).
- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م.
- الاستعارة في دراسات المستشرقين، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997م.
- الاستعارة: نشأتها، تطورها، أثرها في الأساليب العربية، محمود السيد شيخون، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1977م.
- الاستعارة والمجاز المرسل، ميشال لوغورن، ترجمة حلاج. صليبا، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 1988م.
- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني (-471 أو 473هـ)، تح. هـ ريتر، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- أسرار التكرار في لغة القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983م.

- أسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية، عبدالمتعال الصعيدي، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1955م.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، 1997م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبدالحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.
- الأسلوب، محمد كامل جمعة، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، 1959م.
- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.
- الأسلوب الصحيح في البلاغة والعروض، تأليف جماعة من الأساتذة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975م.
- الأسلوب الكنائي نشأته، تطوره، بلاغته، محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة، 1994م.
- الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية، عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
- الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبدالمنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، عبدالعزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992م.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ابن عبدالسلام الشافعي (-660هـ)، دار الحديث، القاهرة.
- الإشارة والتنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (-729هـ)، تح. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- ابن أبي الأصبع المصري بين علماء البلاغة، حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- الأصول، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981م.
- أصول البلاغة، كمال الدين البحراني (-679هـ)، تح. عبدالقادر حسين، دار الثقافة، الدوحة، 1986م.

- أصول البيان العربي (رؤية بلاغية معاصرة)، محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية، 1986م.
- الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، إبراهيم بن محمد بن عربشاه (-943هـ)، تح. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، 1971م.
- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978م.
- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني (-403هـ)، تح. السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1963م.
- إعجاز القرآن البياني، حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1970م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1965م.
- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي (-429هـ)، تح. محمد التونجي، دار النفائس، بيروت، 1992م.
- الألوان البديعية، حمزة الدمرداش زغلول، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1987م.
- أمراء البيان، محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، علي بن معصوم المدني (-1120هـ)، تح. شاكر هادي ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1968م.
- الإيجاز في علم المجاز، لطف الله بن محمد الظفيري (-1035هـ)، تح. محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1988م.
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية)، مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبدالرحمن القزويني (-739هـ)، تح. لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، القاهرة، بإشراف: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- البحث البلاغي عند العرب، أحمد مطلوب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1982م.
- البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم)، شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.

- بدائع القصر في النظم العربي، إبراهيم علي حسن داود، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1986م.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- البديع (تأصيل وتجديد)، منير سلطاني، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1986م.
- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، 1979م.
- البديع في علم البديع، يحي بن معطى، تح. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، (- 584هـ)، تح. أحمد أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (-654هـ)، تح. حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة.
- البديع لغة الموسيقى والزخرف، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- البديع : المصطلح والقيمة، عبدالواحد علام، مكتبة الشباب، القاهرة، 1992م.
- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم بن وهب (حوالي القرن الرابع الهجري)، تح. أحمد مطلوب، و خديجة الحديثي، بغداد، 1967م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999م/ 2000م.
- البلاغة، أبو العباس المبرد (-285هـ)، تح. رمضان عبدالتواب، دار مطابع الشعب، القاهرة، 1965م.
- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبدالعزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989م.
- البلاغة التطبيقية (دراسة تحليلية لعلم البيان)، محمد رمضان الجربي، منشورات جامعة ناصر الخمس، ليبيا، 1997م.
- البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم، أحمد موسى، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1963م.
- البلاغة : تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1999م.

- البلاغة العالية (علم البيان)، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000م.
- بلاغة العرب في بيئات الإسلام، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- البلاغة العربية، سعد سليمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.
- البلاغة العربية (البيان والبديع)، ناصر حلاوي وطالب الزوبعي، بغداد، 1991م.
- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، محمد عبدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية، سعد أبو الرضا، شركة الطوبجي للطباعة، القاهرة، 1984م.
- البلاغة العربية تاريخاً وقاعدة وتطبيقاً، المحمدي عبدالعزيز الحناوي، مكتبة الحناوي، القاهرة، 1978م.
- البلاغة العربية : تاريخها، مصادرها، مناهجها، علي عشري زايد، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982م.
- البلاغة العربية : تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1985م.
- البلاغة العربية في دور نشوئها، سيد نوفل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م.
- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات أبو علي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1991م.
- البلاغة العربية في فنونها، محمد على سلطاني، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1980م.
- البلاغة العربية : قراءة أخرى، محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997م.
- البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، أحمد مطلوب، بغداد، 1980م.
- البلاغة العربية نشأتها وتطورها، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.
- البلاغة العربية الواضحة، راجي الأسمر، المكتبة الثقافية، بيروت، 1998م.
- البلاغة العربية: وسائلها وغاياتها في التصوير البياني، هلال عطا الله عثمان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1994م.

- البلاغة العربية : وسائلها وغايتها في التصوير والبيان، ربيعي محمد علي عبدالخالق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.
- البلاغة "عرض وتوجيه وتفسير"، محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمّان، 1982م.
- البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، القاهرة، 1964م.
- البلاغة (علم المعاني)، مزيد إسماعيل نعيم، مطبعة ابن خلدون، دمشق، 1981/ 1982م.
- البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1964م.
- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م.
- البلاغة : فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
- البلاغة : فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- البلاغة الفنية، علي الجندي، القاهرة، 1956م.
- البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
- بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، جمع: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، 1971م.
- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي عامر، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1975م.
- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية، عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م.
- بلاغة الكلمة والجملة، منير سلطاني، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1993م.
- البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1999م.
- البلاغة المقارنة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.

- البلاغة من منابعها (علم المعاني)، محمد هيثم غرة، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، 1999م.
- بلاغة النص، جميل عبدالمجيد، دار غريب، القاهرة، 1999م.
- البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة محمد العمري، منشورات مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، 1989م.
- البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، مصر، 1964م.
- البلاغة الوافية، محمود السيد شيخون، مكتب الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م.
- البلاغة والتحليل، أنطوان مسعود البستاني، دار المشرق، بيروت، ط2، 1977م.
- البلاغة والتحليل الأدبي، أحمد أبو حاقة، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.
- البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ط2، 1990م.
- البلاغة والعروض، إبراهيم السعافين وآخرون، الشركة الجديدة للطباعة، عمان، 1999م.
- البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، عبدالواحد الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1986م.
- البلاغة والنقد بين التاريخ والفن، مصطفى الصاوي الجويني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987م.
- البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنقدية، عبدالفتاح لاشين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1978م.
- البيان العربي "دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى"، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م.
- البيان فن الصورة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.

- البيان في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
- البيان القراني، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1971م.
- البيان القصصي في القرآن الكريم، إبراهيم عوضين، القاهرة، 1977م.
- البيان النبوي، عدنان زرزور، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1393هـ.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (-255هـ)، تح. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1960م.
- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1977م.
- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1950م.
- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (- 276هـ)، شرح: السيد أحمد صقر، ط2، دار التراث، القاهرة.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (- 751هـ)، تصحيح : طه يوسف شاهين، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968م.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، عبدالواحد بن عبدالكريم المعروف بابن الزملكاني (-651هـ)، تح. أحمد مطلوب، و خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1964م.
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (- 743هـ)، تح. هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1987م.
- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري (-654هـ)، تح.حفني محمد شرف، القاهرة، 1383هـ.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، (-476هـ)، تح. زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.

- تحفة الإخوان في علم البيان، أحمد الدردير (-1201هـ)، البابي الحلبي، القاهرة، 1953م.
- التحليل الدلالي للصور البيانية عند ميشال لوغوارن، بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، ع 48-49، بيروت، شباط، 1988م، ص ص 25-36 .
- التشبيه والتمثيل، يوسف البيومي، مطبعة عابدين، القاهرة، 1973م.
- التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، عبدالفتاح عثمان، مكتبة الشباب بالمنيرة، 1993م.
- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الأطرقجي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م.
- التصوير البياني، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1970م.
- التصوير البياني، محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1980م.
- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1980م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، القاهرة.
- تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، عمر الملا حويش، مطبعة الأمة، بغداد، 1972م.
- تطور مشكلة الفصاحة، فخرالدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت- دار الفكر، دمشق، 1998م.
- تطور مفهوم البلاغة في صناعة الكتابة الفنية، عبدالرازق أبو زيد زايد، مكتبة الشباب بالمنيرة، 1992م.
- التعبير الفني، رؤية بلاغية نقدية، شفيع السيد، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة، 1995م.
- التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، 1973م.
- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (-816هـ)، تح. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، 1987م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، 1977م.
- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981م.

- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، فايز القرعان، المركز الجامعي للنشر..، إربد، الأردن، 1994م.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمد بن أحمد الشريف الرضي (-406هـ)، تح. محمد عبدالغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.
- التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبدالرحمن القزويني (-739هـ)، ضبط وشرح: عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1906م.
- التنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبدالواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، 1999م.
- التورية وخلو القرآن منها، محمد جابر فياض، دار المنارة، جدة، 1985م.
- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، محمد غاليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني (-386هـ)، والخطابي (-388هـ)، وعبدالقاهر الجرجاني (-471هـ أو 473هـ)، تح. محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، نصرالله بن محمد ابن الأثير (-637هـ)، تح. مصطفى جواد، و جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1956م.
- الجامع لفنون اللغة العربية والعروض، عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م.
- الجديد في البيان والعروض، سعيد سمعان، مكتبة لبنان، بيروت، 1969م.
- الجديد في علوم البلاغة، مصطفى صفوان، مجلة فصول، ج1، ع3، مج4، 1984م.
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، وزارة الثقافة، بغداد، 1980م.
- جماليات الأسلوب، فايز الداية، دار الفكر، دمشق- دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م.
- الجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي (-485هـ)، تح. مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1974م.
- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1999م.

- جوهر الكنز، نجم الدين أحمد بن إسماعيل الحلبي (-737هـ)، تح. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة، عبدالرحمن بدوي، القاهرة، 1961م.
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ، بيروت، 1984م.
- الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته وكتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، دمشق، 1981م.
- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عزالدين السيد، مكتبة وهبة، القاهرة، 1973م.
- الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، ابتسام أحمد حمدان، دار طلاس، دمشق، 1992م.
- حسن التوسل، محمود الحلبي (-725هـ)، تح. أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد والحرية، بغداد، 1980م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر (-388هـ)، تح.جعفر الكناني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979م.
- الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، محمد علي المالكي، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة.
- حول مفهوم الكناية، عادل فاخوري، مجلة الفكر العربي، السنة الرابعة، العدد السادس والعشرون، 1982م، ص ص 107-114 .
- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (-255هـ)، تح. عبدالسلام محمد هارون، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1969م.
- خزانة الأدب، ابن حجة الحموي (-837هـ)، مطبعة بولاق، 1874م.
- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، ط2، 1980م.
- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1971م.
- الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية، محمد الخضر حسين، جمع : علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972م.

- الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي، محمود قاسم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969م.
- دراسات بلاغية ونقدية، أحمد مطلوب، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1978م.
- دراسات في الأدب والبلاغة، سعد مظلوم وآخرون، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1975م.
- دراسات في البلاغة، محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمّان، 1982م.
- دراسات في البلاغة العربية، محمود السيد شيخون، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1982م.
- دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.
- دراسات في علم المعاني، محمد أبو موسى، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة.
- دراسة تفصيلية شاملة لبلاغة الجرجاني، عبدالهادي العدل، القاهرة، 1950م.
- دروس في البلاغة العربية، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م.
- دفاع عن البلاغة، أحمد الزيات، عالم الكتب، القاهرة، 1967م.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، علق عليه محمود أحمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.
- دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1979م.
- الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، علي جميل سلوم وحسن محمد نورالدين، دار العلوم العربية، بيروت، 1990م.
- ديوان المعاني، الحسن بن سهل العسكري (-395م)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352م.
- رائق التحلية في فائق التورية، أحمد بن زرقالة (-770هـ)، تح. محمد رضوان الداية، دار الحكمة، دمشق.
- رسائل البلغاء، محمد كرد علي، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1946م.
- روضة الفصاحة، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تح. أحمد النادي شعلة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1982م.
- رؤية جديدة للإيجاز والإطناب، عبدالغني محمد بركة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1983م.

- سحر البلاغة وسر البراعة، أبو منصور عبدالملك الثعالبي (- 429هـ)، تح.عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (-466هـ)، شرح: عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1969م.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة، محمد هاشم دويدري، دار الحكمة، دمشق، 1970م.
- شرح عقود الجمان في علم البيان، عبدالرحمن السيوطي (-911هـ)، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1939م.
- شروح التلخيص، مجموعة من المؤلفين والشراح، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1937م.
- الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969م.
- صناعة الكتابة، فيكتور الكك وأسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط5، 1984م.
- صور البديع (فن الأسجاع)، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1951م.
- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1966م.
- الصور البيانية بين النظرية والتطبيق، حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1965م.
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983م.
- صورة البلاغة "الكتاب الأول من فن القول"، أمين الخولي، البابي الحلبي، القاهرة، 1947م.
- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي، محمد بركات أبو علي، مكتبة الرسالة، عمان، 1979م.
- الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق، حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.
- الصورة بين البلاغة والنقد، أحمد بسام ساعي، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، 1984م.
- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية (الأصول والفروع)، صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986م.

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، 1974م.
- الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبدالقادر الرباعي، جامعة اليرموك، إربد، 1980م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م.
- الصورة في شعر الأخطل الصغير، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985م.
- الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبدالله، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، يحي بن حمزة العلوي، (- 749هـ)، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1914م.
- عبدالقاهر الجرجاني "بلاغته ونقده"، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.
- عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، أحمد أحمد بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- عبدالقاهر والبلاغة العربية، محمد عبدالمنعم خفاجي، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1952م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي السبكي (-773هـ)، ضمن شروح التلخيص، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1937م.
- العقد البديع في فن البديع، الخوري بولس عواد، (-1944م)، تح. حسن محمد نورالدين، دار المواسم، بيروت، 2000م.
- علم أساليب البيان، غازي يموت، دار الفكر اللبناني، 1995م.
- علم البديع، عبدالرازق أبو زيد زايد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.
- علم البديع، عبدالعزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1998م.
- علم البديع (رؤية جديدة)، أحمد أحمد فشل، دار المعارف، القاهرة، 1996م.
- علم البديع والبلاغة عند العرب، إ.ج. كراتشكوفسكي، ترجمة : محمد الحجيري، دار الكلمة للنشر، ط2، 1983م.
- علم البيان، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

- علم البيان، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م.
- علم البيان، يوسف البيومي، مطبعة عابدين، القاهرة، 1972م.
- علم البيان: دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.
- علم البيان في الدراسات البلاغية، علي البدري، ط2، 1984م.
- علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان، البديع)، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995م.
- علم الفصاحة العربية، محمد علي الخفاجي، دار المعارف، مصر، 1979م.
- علم المعاني، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية، الأحساء، 1998م.
- علم المعاني، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000م.
- علم المعاني، قصي سالم علوان، جامعة البصرة، 1985م.
- علم المعاني ومقتضى الحال، أسعد علي، منشورات جامعة دمشق، ط2، 1991-1992م.
- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2002م.
- علوم البلاغة، محمود أبو عجمية ومحمد صايل حمدان ومحمود مهيدات، دار الهلال، عمان، 1990م.
- علوم البلاغة العربية، محمد أحمد ربيع، دار الفكر، عمان، 1991م.
- علوم البلاغة عند العرب والفرس، إحسان صادق سعيد، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، 2000م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني (-456هـ)، تح. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (-322هـ)، تح. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة، 1956م.
- فخر الدين الرازي بلاغياً، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977م.

- الفصاحة : مفهومها وبم تتحقق قيمتها الجمالية، توفيق علي الفيل، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة السابعة والعشرون، 1985م.
- فصول في البلاغة، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م.
- فصول في علم المعاني، عبدالعظيم الروبي ومحمد جمعة، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1962م.
- فض الختام عن التورية والاستخدام، صلاح الدين الصفدي، (- 764هـ)، تح.المحمدي عبدالعزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1979م.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، لطفي عبدالبديع، النادي الأدبي الثقافي، جدة، كتاب (32)، ط2، 1986م.
- الفلك الدائر على المثل السائر، عبدالحميد بن أبي الحديد (-656هـ)، تح. أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، دار نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، 1963م.
- فن الاختيار والبلاغة العربية، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1996م.
- فن الاستعارة: دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، أحمد عبدالسيد الصاوي، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية، 1979م.
- فن البديع، عبدالقادر حسين، دار الشروق، بيروت، 1993م.
- فن البلاغة، عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، 1973م.
- فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1952م.
- فن الحياة، فن الكتابة، أسعد علي، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1991-1992م.
- فن القول، أمين الخولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.
- فنون بلاغية (البيان -البديع)، أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.
- الفوائد الغياثية في علوم البلاغة، عضد الدين الإيجي (-756هـ)، تح. عاشق حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1990م.
- الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (- 751هـ)، محمد أمين الخانجي وشركاه، مصر، الآستانة، 1327هـ.

- في الأدب والبيان، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1984م.
- في البلاغة العربية، رجاء عيد، مكتبة الطليعة، أسيوط.
- في البلاغة العربية (علم البديع)، محمود أحمد المراغي، دار العلوم العربية، بيروت، 1991م.
- في البلاغة العربية : علم المعاني، محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، 1990م.
- في البلاغة العربية (علم المعاني)، وليد عبدالمجيد إبراهيم، مؤسسة الوراق، عمان، 2000م.
- في البلاغة والأداء الفني، عباس بيومي عجلان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.
- في تاريخ البلاغة العربية، عبدالعزيز عتيق، مطبعة دار النهضة العربية، بيروت، 1970م.
- في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري (-382هـ)، ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية، الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ.
- في علم البيان، عبدالرازق أبو زيد زايد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م.
- قاموس قواعد البلاغة وأسرار النقد والتذوق، معهد الهواري، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1995م.
- قانون البلاغة، محمد بن حيدر البغدادي (-517هـ)، تح. محمد غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.
- قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، مكتبة الكتاني، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، 2001م.
- القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز، محمد عبدالغني حسن، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة.
- القرآن والصورة البيانية، عبدالقادر حسين، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1975م.
- القزويني وشروح التلخيص، أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، 1967م.
- قصة البلاغة، أحمد الخوص، المطبعة العلمية، دمشق، 1992م.
- قضايا النقد الأدبي والبلاغة، محمد زكي العشماوي، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.
- قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي، علي محمد حسن العماري، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م.

- قواعد الشعر، أحمد بن ثعلب (-291هـ)، تح. رمضان عبدالتواب، دار المعرفة، القاهرة، 1966م.
- الكافي في علوم البلاغة، عيسى العاكوب وعلي الشتيوي، دار الهناء، بنغازي، 1993م.
- الكافية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي (-626هـ)، تح. نسيب نشاوي، دمشق، 1983م.
- كتاب البديع، عبدالله بن المعتز (-296هـ)، نشر وتعليق: أغناطيوس كراتشقوفسكي، دار الحكمة، دمشق.
- كتاب جامع العبارات في تحقيق الاستعارات، أحمد مصطفى التونسي (1167هـ)، تح. محمد رمضان الجربي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، 1986م.
- كتاب جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفدي، (- 764هـ)، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت.
- كتاب سر الفصاحة لابن سنان "دراسة وتحليل"، عبدالرازق أبو زيد زايد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م.
- كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، الحسن بن سهل العسكري (-395هـ)، تح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، محمد بن جمال الدين بن مالك (-686هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1937م.
- كتاب المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي (-482هـ)، دار البيان، دار صعب، بيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (-538هـ)، تح. مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1946م.
- كشاف مصطلحات الفنون، التهانوي، محمد علي(-1158هـ)، كلكتا، 1317هـ.
- الكناية، محمد جابر فياض، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1989م.
- الكناية: أسسها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين أحمد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985م.

- الكناية والتعريض، أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي، تح. عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م.
- مبادئ البلاغة (المعاني والبديع)، ج2، وهيبة البيطار، عبدالجبار الفقيه، تيسير البسطامي، عمان، 1992م.
- المبالغة في الشعر العباسي، عبدالعزيز بن عبدالله الشبيلي، النادي الأدبي، الرياض، 1980م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (-637هـ)، تح. أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، 1959م.
- المجازات النبوية، الشريف الرضي محمد بن الطاهر أحمد الموسوي (- 406هـ)، تح. طه محمد الزيني، دار الأضواء، بيروت، 1986م.
- المجاز العقلي بين الترابط التركيبي والاستبدالي، عبدالواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 2002م.
- المجاز في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي، دار الدعوة، حماة، سورية، 1974م.
- المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه، عبدالعظيم إبراهيم المطعني، مطبعة حسان، القاهرة، 1985م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى (-206هـ)، تعليق : محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ودار الفكر، القاهرة، 1970م.
- المجاز المرسل والحداثة، بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، ع 38، بيروت، 1986م.
- المجاز المرسل والكناية (الأبعاد المعرفية والجمالية)، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي، محمد بدري عبدالجليل، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1975م.
- مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة، أسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1979م.
- محاضرات في البلاغة العربية، محمد زغلول سلام، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية.
- محاضرات في البلاغة العربية، مصطفى الحلوة، عمان، 1993م.
- محاضرات في علم البديع، محمد بدري عبدالجليل، مكتب كريدية إخوان، بيروت، 1983م.